# التطور النحوى

## للغة العربية

سلسلة محاضرات القاها فى الجامعه المصريه

الاستاذ

**BERGSTRAESSER.**

أستاذ اللغات الساميه بجامعة ميونخ

سنة ١٩٢٩ م

مطبعة السماح بشارع حسن الاكبر

عني بطبعها

محمد حمدي البكري

أيها الساده

أن الغـرض من محاضراتى التى سألقيها عليكم هو درس اللسان العربى من الوجهة التاريخية أى من جهة نشأته وتـكونه وأصول حروفه وأبنيته وأشـكال الجملة فيه والتغيرات التى وقعت فيه مع توالى الأزمان واستنتاج العوامل التى سببت خصائص اللسان العربى التى تميز بها في أزهى عصوره يعنى فى خلال القرون الأولي بعيد الهجرة والوجهة الثانية التى يمكننا اتجاهها فى علم اللسان هى النظامية وهى أن تنظر الى طور معين من أطوار تاريخ لغة معينة ونتساءل أى هى خصائص اللغة فى هذا الوقت وكيف ترتبط كل واحدة منها بسائرها وما فائده حروفها وابنيتها وما تحوزه من الوسائط لتأدية المعانى وكيف تستعملها . ولنبين الفـرق بين هاتين الوجهتين نورد مثل الجمع المكسر فى اللغة العربية فالمسألة التاريخية فيه هى : ماهو أصله ؟ وكيف نشأ من ذلك الأصل ؟ فنجد أنه من الأصل ليس بجمع بل هو اسم جملة Collectif يعنى أنه يدل على جنس متركب من غير واحد من الافراد والجمع يدل على الافراد المتعددة . ونجد أيضا أن أوائل استعمال الجمع المكسر ترجع الى زمان قديم وأن القليل من أبنيته يوجد نظيره فى اللغات السامية الشمالية وأكثرها خاص بالعربية والحبشية الى آخر ذلك

والمسألة النظامية هى أى نسبة تقوم بين الجمع المكسر والجمع السالم وسائر الأبنية الدالة علي جملة أو كثره وما الفرق بين هذه الانواع كلها فى المعني وفى الاستعمال الى آخر ذلك . فتبين أن هذه الوجهة الثانية قريبة من الصرف والنحو العاديين غير أنها هي أيضا علمية محضة لا عملية وذلك أنه لارعاية فيها ألى هل يجوز أن يقال كذا وكذا أولا بل يـكتفى بأثبات الموجود حقيقة فى السماع دون تفريق بين المقبول منه والمردود ومع ذلك فالوجهة النظامية أقرب إلي المعتاد من الوجهة التاريخية ولهذا السبب آثرنا أن نتبع فى هـذا الدرس طريقة التاريخ وإن لم نرد أن نعرض موضوعنا على ترتيب تاريخى بل نطلع على أبواب الصرف والنحو بابا بابا ونفحص عن مسائلها التاريخية . وأما ماقلناه من أنا نقتصر على المسائل التاريخية الخاصة باللغة العربية في طور كمالها فيدل علي أن درسنا يحتاج الى تكملة

وهى تاريخ اللغة العربية من ذلك الحين الى الآن وأهم موضوعاته تكون اللهجات الدارجة على اختلافها

والنظر إلي اللسان العربى من الوجهة التاريخية له فائدتان أولاهما واضحة وهى أكمال معرفة اللغة العربية وشئونها

والأخرى هى التوصل الى معرفة طرائق علم اللغة الغربى على العموم بأسهل وجه: وذلك أن علم اللغة الغربى له طرقات السؤال والبرهان بعيدة عن تعليم اللغات العادى فى المدارس لا يسهل تفهم مقاصدها والتعود على استعمالها فالأسهل أن يقرب الواحد اليها ويتعلمها فى لغته التي يعرفها أتم معرفة لا فى لغة أجنبية وغرضنا الأهم فى هذا الدرس أن نسهل تفهم معني علم اللغة التاريخى بواسطة النظر ألى اللغة العربية

والآن قبل أن نبتدىء بنفس الموضوع نريد أن نشير ألى بعض المصنفات التى تتناوله وما يقرب منه وليس بينها ما يختص بالبحث فى تاريخ اللغة العربية وحدها ولكنها كلها تشمل الكلام عن تاريخ اللغات السامية وعنه ضمنا وخير كتاب في تاريخها ومقايستها هو

C. Brockelmann Grundriss der verglisdenden Grammatik der semitischen Sprachen. 1.1908. 2. 1912

« المطول فى المقايسة النحوية للغات السامية » وهو مجلدان كبيران أولهما فى الحروف وفى أبنية الاسم والفعل . وثانيهما في الجملة . وهذا الكتاب لا يستغني عن الرجوع اليه كل من يشتغل باللغات السامية أيتها كانت فأنه كنز لا يفنى ومنبع لا ينضب معينه لمعرفة أحوال اللغات السامية ، عجيب الأحاطة بها كلها من الأكدية ألى اللهجات الدارجة العربية والآرامية والحبشية ، كثير النظريات الجديدة المصيبة . وأهم مجلديه هو المجلد الثانى فأن أكثره جديد لم يسبق مؤلفه إليه أحد وله كتابان أصغر حجما من المذكور يقتصران على موضوع المجلد الاول منه وأصغرهما نقل ألى الفرنسية بزيادات مفيدة ومع ذلك فمنفعته قليلة بالنسبة ألى الكتاب الكبير لا يمكنه القيام مقامه أصلا ، واللغة الفرنسية لا يوجد فيها

كتاب خاص باللغات السامية وصرفها ونحوها غير المذكور إلا أنه يوجد فصل خاص بها في كتاب

A. Meillet et M.Cohen,Les Langues du Monde. 1924.

ولمؤلف هذا الفصل كتاب مهم يتناول الفعل فى اللغات السامية وتأديته لمعانى الماضى والحاضر والمستقبل وهو

M Cohen, leSystème verbal sémitique et l'expression du temps. 1924.

واللغة الانكليزية فيها كتابان من هذا النوع أولهما هو أقدم كتاب صنف فى هذا الفن وهو

W. Wright, Lectures on the comparative Grammar of the semitic Languages.1890.

وكان مهما مفيدا فى زمانه ولم يبق له كثير من الفائدة الآن والثانى أحدث كتاب صنف من هذا الباب وهو

De Lacy O'Leary. Comparative grammar of the Semitic Languages. 1929

وغلطاته كثيرة فائدته قليلة

# الباب الأول

والآن نبدأ بالباب الاول في الحروف الصامتة les consonnes ونتكلم فيه عن تاريخ الحروف السامية فى اللسان العربى

وقبل ذلك يلزمنا أن نبحث بايجاز فى بعض قواعد علم الأصوات العمومى .

ولم يسبق الغربيين فى هذا العلم إلاقومان من أقوام الشرق وهما أهل الهند يعنى البراهمة والعرب وأول من وضع أصول هذا العلم من العرب الخليل بن أحمد المتوفى سنة ١٧٧ هـ . أوسنة ١٨٠ هـ . وقدكان علم الأصوات في بدايته جزءا من أجزاء النحو ثم استعاره أهل الأداء والمقرئون وزادوا فيه تفصيلات كثيرة مأخوذة من القرآن الكريم

وكان أهم إعتناء كلهم ترتيب الحروف على المخارج والصفات والمخرج

أو المخرج هو الموضع من الفم ونواحيه الذى يخرج أو يخرج منه الحرف .
فاختلفوا فى عدد المخارج فمنهم من عد سبعة عشر ومنهم من عد ستة عشر ومنهم من عد دون ذلك . والمشهور هو سبعة عشر لكن أولها ليس بمخرج حقيقى وسنهمله الآن على أن نعود ألى الكلام عنه فيما بعد أما الستة عشر الباقية فهى

(١) مخرج ء ، هـ من أقصي الحلق
(٢) « ع ، ح من وسط الحلق
(٣) « غ ، خ من أدنى الحلق ألي الفم
(٤) مخرج ق من أقصى اللسان مما يلى الحلق ومافوقه من الحنك

حروف طرف اللسان

(٥) « ك من أقصى اللسان من أسفل مخرج القاف قليلا وما يليه من الحنك
(٦) « ج ، ش ، ى من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك
الحروف الشجرية
(٧) مخرج ض من أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس

الحروف الذلقية

(٨) « ل من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرفه وما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى
(٩) « ن من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا أسفل اللام قليلا
(١٠) « ر من مخرج النون من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا العليا

(١١) « ط ، د ، ت من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا مصعدا
الحروف النطعية إلى جهة الحنك
(١٢) مخرج ص ، س ، ز من بين طرف اللسان فويق الثنايا السفلى
وهى الحروف الأسلية
(١٣) مخرج ظ ، ذ ، ث من بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا
وهى الحروف اللثوية

(١٤) الحروف الشفهية } مخرج ف من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا
(١٥) أو الشفوية } » و ، ب ، م مما بين الشفتين

(١٦) مخرج الغنة من الخيشوم

فهذا كله صحيح مافيه شك من وجهة نظر علماء الغرب . غير أن فيه نقصا مخلا لأن المخرج يشترك فيه أكثر من حرف واحد لأنه يمكننا أن نلفظ من مخرج واحد أحرفا عديدة مختلفة فى صفاتها وعلى ذلك فلا يكفى لمعرفة الحرف وتمييزه تحديد المخرج وحده دون علامة ثانية هى صفة الحرف مثال ذلك أنه اذا أطبقنا الشفتين ثم فتحناهما فالصوت الخارج إما الباء أو الپاء الافرنجيه P والفرق الأهم بينهما أنه إذا نطقنا الباء وجد صوت ثان علاوة على صوت فتح الشفتين وهو صوت خارج من الحنجرة من اهتزاز الأوتار الصوتية وعند نطق الپاء P ينعدم هـذا الصوت وأسهل طريق للوقوف على الفـرق بينهما هو سد الأذنين بالأصابع فانه يسمع إذاً عند نطق الباء رنة لاتسمع عند نطق الپاء P . واذا لم نطبق الشفتين تماما بل تركنا فتحة صغيرة ليخرج الهواء من بين الشفة السفلى والثنايا العليا صار الصوت فاء فهذه الحروف الثلاثه يعنى الباء والپاء الافرنجيه والفاء قريبة المخرج بعضها من بعض مختلفة الصفات فالحرفان أى الباء والپاء آنيان وثالثها أى الفاء متماد وأول الآنيين أى الباء صوتى والثانى والثالث أى الپاء الافرنجية P والفاء غير صوتيين فيمكن أن نقسم هذه الحروف الثلاثة على ثلاثه أنواع (١) آنى صوتى وهو الباء (٢) وآنى غير صوتى وهو الپاء P (٣) ومتماد غير صوتى وهو الفاء . وأما النوع الرابع أى المتمادى الصوتى فلا يوجد حرف شفهى منه فى اللسان العربى لـكنه يوجد فى كثير من اللغات وهو الـ V الفرنسية والانكليزية

| | آنى ( شديد ) | متماد ( رخو ) |
|---|---|---|
| صوتى ( مجهور ) | ب . حروف القلقه | V |
| غير صوتى ( مهموس ) | پ . P | ف |

فهذا التقسيم على الأنواع الأربعة المذكورة جائز أيضا فى سائر الحروف غير الشفهية . ونحو يو العرب ومقرئوها استعملوه كما نستعمله فى الزمان الحاضر لكن بين تقسيمهم وتقسيمنا فرقين الأول أن لهم إصطلات غير إصطلاحاتنا أصل بعضها غامض لكن معناها واضح وهى مجهور بمعنى صوتى ومهموس بمعنى غير صوتى وشديد بمعنى آنى ورخو بمعنى متماد فعندهم حروف مهموسة شديدة ورخوة شديدة الخ . فأما الحروف المجهورة الشديدة كالباء فلها عندهم اسم خاص وهى حروف القلقلة. — والفرق الثانى — هو أنهم أثبتوا صفة ثالثة بين الشدة والرخوة وهى التوسط والحروف المتوسطة كلها مجهورة عندهم وهي ع ، ل ، ن ، ر ، م فنقول إنه وإن كانت هذه الحروف إلا العين متمادية بدون شك فلهم مع ذلك حق فى تميزها عن الحروف الرخوة المجهورة كالذال والغين لأن أمثال الذال والغين لها دوي ناشىء من مخرجها من الفم مع الصوت الناشىء من الحنجره وتلك الاربعة أي ل ، ن ، ر ، م لادوى فيها البته ومن أجل ذلك نفرقها نحن عن سائر الحروف فرقاناما ونسميها صوتية محضة ونسمي غيرها ذوات دوى وأما العين وهوالحرف الخامس من الحروف المتوسطة المذكورة فصعب تكييفها ونطقها متنوع فهى أحيانا متمادية وأحيانا آنية والدوى الممازج لها أحيانا قوى وأحيانا ضعيف فهى فى الحقيقة متوسطة بين الحروف ذوات الدوى الصوتية المحضة وبين الحروف الشديدة والرخوة وهذا الجدول يبين تقسيم الحروف على الصفات المذكورة

| | شديدة | متوسطة | رخوة |
|---|---|---|---|
| مجهوره | ء ، ق ، ج ، ط ، د ، ب<br>وهي حروف القلقلة | ع ، ل ، ن ،<br>ر ، م | غ ، ى ، ض ، ذ ، ظ ،<br>ذ ، و |
| مهموسه | ك ، ت | | ه ، ح ، خ ، ش ، ص<br>س ، ث ، ف |

هذه هي صورة الجدول الموجودة عند أهل التجديد المتأخرين لكن مادته قديمة ما تغيرت منذ زمان الخليل وسيبويه وهذه الصفات الخمس المقسمة عليها الحروف في هذا الجدول ليست بكافة الصفات التي يمكن وصف بعض الحروف بها بل نجد عند قدماء العرب وعند الغربيين صفات متعددة سواها أهمها أن العرب قسموا الحروف الى مستعلية ومستفلة . فالمستعلية هي التي يستعلي اللسان عند تلفظها ويرفع نحو الحنك وهي غ ، خ ، ق ، ض ، ط ، ص ، ظ .. والمستفلة أي التي يستفل اللسان عند تلفظها وهي باقي الحروف ولبعض الحروف المستعلية وهي ض ، ط ، ص ، ظ صفة خاصة وهي الأطباق فهي مطبقة أي emphatiques في الأصطلاح الغربي وسنذكر معنى هذه الصفة بعد ذلك . فهذه تسع صفات والعاشرة أن ش ، ص ، س ، ز توسم بحروف الصفير وهذا بين لا يحتاج إلى تفسير وما عدا هذه الصفات العشر المذكورة نضرب عنه صفحا لعدم أهميته لتاريخ اللغات

ونفهم من الجدول والصفات المذكورة بعده ومن جدول المخارج أن بعض الحروف يختلف نطقه الحالي عنه في الزمان القديم وهي ق ، ج ، ط ، ض ، ظ أما القاف فهي في العادة اليوم مهموسة لكنها في الجدول مجهورة كما هي الآن عند بعض البدو والطاء أيضا مهموسة اليوم مجهورة في الجدول . والفرق بينهما وبين القاف أن نطق القاف العتيق لا يزال باقيا في بعض الجهات ونطق الطاء العتيق قد إمحى وتلاشي تماما وأما الجيم فهي عند أكثر العرب معطشة مركبة من لفظي الدال والزاي أي الـ ge الفرنسية وهي في الجدول بسيطة مجهورة شديدة مثل نطقها الحالي عند المصريين لكنها لم تكن مثل الجيم المصرية بعينها لأن مخرج الجيم المصرية هو مخرج الكاف ومخرج الجيم العتيقة في جدول المخارج وهو مخرج الشين والياء فالرأى الأقرب من الصواب أن الجيم العتيقة كانت مثل الكاف التركية في مثل كلمة كاه أي أنها كانت مشجرة palatalisé وهذا الرأي يعضده أن كثيرا من البدو لا يزال ينطقها كذلك حتي اليوم وأنه يحتمل أشتقاق نطق الجيم الكثير الأختلاف عند غيرهم من العرب

من هذا النطق المذكور فالجيم المصرية g مثله إلا أنه لاتشجير فيها والجيم العادية المعطشة أصلها أن نطق $g^i$ المذكور صار $d^i$ ثم $d^i_z$ وهذا الانقلاب كثير في تاريخ اللغات نجده مثلا في الطليانية فإن الكلمة اللاتينية gentem صارت – $g^i$entem ثم $d^i$entem ثم gente وأما النطق الأوسط في هذه السلسلة بين الـ $g^i$ العتيق والجيم الاعتيادية المعطشة وهو الـ $d^i$ فموجود أيضا عند بعض البدو وبعضهم يلفظون الجيم مثل الياء الألمانية أي j وهذا النطق مشتق من $d^i$ فأنا إذا أردنا أن نلفظ الـ $d^i$ لزمنا أولا أن نعمد طرف اللسان على أصول الثنايا العليا وقسما من ظهر اللسان على الحنك وإذا لم نعمد للسان بل قربناه من الثنايا والحنك زالت الدال وبقيت الياء الألمانية وأما نطق الزاي القائمة مقام الجيم عند كثير من أهل الشام وغيرهم فمنشأه من الجيم المعطشة مثل منشأ نطق الياء الالمانية من الـ $d^i$ . .

الى هنا نختم بحثنا في الجيم وهي ثالث الحروف التي لفظها العتيق غير لفظها الحاضر وأما رابعها وهي الضاد فهي الآن شديدة عند أكثر أهل المدن وهي رخوة في الجدول كما هي الآن عند أكثر البدو ومع ذلك فليس لفظها البدوي الحاضر نفس لفظها العتيق لأن مخرج الضاد في جدول المخارج من حافة اللسان ومن القدماء من يقول من جانبه الأيسر ومنهم من يقول من الأيمن ومنهم من يقول من كليهما فمخرجها قريب من مخرج اللام الذي هو أيضا من حافة اللسان وذلك يدل على أن الضاد كانت تشبه اللام من بعض الوجوه والفرق بينهما هو أن الضاد من الحروف المطبقة كالصاد وأنها من ذوات الدوي واللام غير مطبقة صوتية محضة فالضاد العتيقة حرف غريب جدا غير موجود حسب ما أعرف في لغة من اللغات إلا العربية ولذلك كانوا يكنون عن العرب بالناطقين بالضاد ويغلب على ظني أن النطق العتيق للضاد لا يوجد الآن عند أحد من العرب غير أن للضاد نطقا قريبا منه جدا عند أهل حضرموت وهو كاللام المطبقة . ويظهر أن الأندلسيين كانوا ينطقون الضاد مثل ذلك ولذلك استبدلها الأسبان بالـ ld في الكلمات العربية المستعارة في لغتهم مثال ذلك أن كلمة القاضي صارت في الاسبانية alcalde . ومما يدل أيضا

على أن الضاد كانت فى نطقها قريبة من اللام أن الزمخشرى ذكر فى كتاب المفصل أن بعض العرب كانت تقول الطجع بدل اضطجع . ونشأ نطق الضاد عند البدو من نطقها العتيق بتغيير مخرجها من حافة اللسان الى طرفه ونطقها عند أهل المدن نشأ من هذا النطق البدوي باعتماد طرف اللسان على الفك الأعلى بدل تقريبه منه فقط فصار الحرف بذلك فى نطقه شديدا بعد أن كان رخوا

والآن نتكلم عن آخر الحروف الخمسة التي يختلف نطقها قديما عنه الآن وهو الظاء وهى الآن عند كثير من أهل المدن أحد حروف الصفير وعند سائر العرب مثل ذال مطبقة وهذا هو نفس نطقها العتيق . فنرى من ذلك أن نطق الظاء كان قريبا من نطق الضاد وكثيرا ما تطابقتا وتبادلتا فى تاريخ اللغة العربية وأقدم مثل لذلك مأخوذ من القرآن الكريم وهو الضنين في سورة التكوير فقد قرأها كثيرون الظنين بالظاء مكان الضاد التي رسمت بها فى كل المصاحف وممن قرأها بالظاء ابن كثير وأبو عمرو والكسائي وكذلك النبي ( صلعم ) كما قال مكي فى كتاب الكشف

والآن لكي نقيد خلاصة بحثنا كتابة نحتاج الى واسطة ووسيلة غير الخط العربي وذلك لأن الخط العربي لايبين تماما الاختلافات الجزئية للنطق التى تكلمنا عنها وكذلك الأبجدية اللاتينية فهى لا تفى بالغرض أيضا . ولهذا السبب اخترع الألسنيون أبجديات خاصة صوتية عددها كثير لامحل لذكرها هنا إذ يكفى لغرضنا الأبجدية اللاتينية بزيادة بعض إشارات متممة زادها فيها المستشرقون لتأدية الحروف السامية خاصة فنشير إلى الحروف المطبقة بزيادة نقطة أسفل الحرف اللاتيني نحو ṣ أى الصاد وهذه النقطة نستعملها أيضا لتأدية الحاء فنكتبها ḥ ومنهم من يستعملها لتأدية القاف فيكتبها ḳ ونحن نكتبها q والحروف الرخوة نشير إليها بزيادة خطيط تحت الحرف نحو ḏ ، ṯ فالاول معناه حرف مخرجه مخرج الدال لكنه ليس بشديد كالدال بل رخو أى الذال . والثانى معناه الثاء والحروف المشابهة للشين من حرف الصفير نشير إليها بزيادة زاوية صغيرة فوق الحرف نحو š أى الشين و ǧ أى الجيم المعطشة . والتشجير نشير اليه بزيادة خط

صغير مثل accent aigu نحو 'g وهو نطق الجيم العتيق .. فبقى الغين والخاء والعين والهمز أما الغين فعلامتها ġ والخاء علامتها ẖ والهمز علامته ᵓ مثلا anᵓ أى أن والعين علامتها ᶜ مثلا anᶜ أي عن فنقدر الآن أن نرتب جدولا للحروف العربية حسب نطقها العتيق عند قدماء النحويين والمقرئين وسنرتبه على الترتيب المعتاد عند مستشرقى الغرب

والحروف الصامتة صنفان

(١) الصنف الاول الحروف ذوات الدوى وهى قسمان

ا ـ القسم الاول الحروف الحلقية وهى ء ( ᵓ ) ، ع ( ᶜ ) ، هـ ( h ) ، ح ( ḥ )

ب ـ القسم الثاني الحروف الفمية وهى نوعان

الحروف ذوات الدوى

(١) الحروف الحلقية ᶜ ᵓ h ḥ — (٢) الحروف الفمية

| آ | الصفة | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | شديد | | | | رخو | | | |
| | مجهور غير مطبق | مجهور مطبق | مهموس غير مطبق | مهموس مطبق | مجهور غير مطبق | مجهور مطبق | مهموس غير مطبق | مهموس مطبق |
| من شفة أو شفتين | b | | | | | | f | |
| من الثنايا واللثة | d | ط ḍ | t | | ذ ḏ | ظ ḍ ، ض ḍ' | ṯ | |
| من الحنك الأدنى | g' | | k | | | | | |
| من الحنك الأقصى | ق q | | | | غ ġ | | ẖ | |
| ب حروف الصفير | | | | | | | | |
| المشابهة للسين | | | | | t | | s | ṣ |
| المشابهه للشين | | | | | | | š | |

(٢) القسم الثاني الحروف الصوتية المحضة

(٢) الحروف الفمية r ، l

(ب) الحروف الفمية الأنفية

المخرج الفمي { من الثنايا n
من الشفتين m }

و $\underset{-}{d}^{l}$ في هذا الجدول علامة خاصة اخترعناها لتأدية ذلك النطق النادر العتيق للضاد ومعناها حرف رخو مجهور مطبق مخرجه قريب من مخرج الدال وهو يشبه اللام

ويمكننا الآن أيضا أن نقيد تغيرات نطق الحروف التي ذكرناها فنكتب q > g = ق . هذه الإشارة تفيد أن الحرف أو الكلمة قد تغير نطقه إلى نطق آخر وضدها علامة > ومعناها أن الحرف أو الكلمة صدر من حرف آخر أو كلمة أخرى

| | | |
|---|---|---|
| عند المصريين | g > g' | = ج |
| عند سائر أهل المدن | ǧ > d' | = ج |
| | ṭ > ḍ | = ط |
| | ḍ > ḏ > ḏ' | = ض |
| عند كثير من أهل المدن | ḍ > ṯ | = ظ |

فهذه هي خلاصة بحثنا المتقدم والآن نوجه نظرنا إلى مسألة أخرى وهي العلاقة بين نطق الحروف العربي القديم ونطق الحروف في اللغة السامية الأم أي الأصلية التي نفرض أن كل اللغات السامية نشأ منها . هل كانت الحروف تنطق في اللغة العربية في عهد الخليل بن أحمد وسيبويه كما كانت تنطق في عهد اللغة السامية الأصلية أم هل تغير نطقها ؟ والفرق بين العهدين كبير جدا يمكننا إدراكه إذا ما علمنا أن اللغة الأكدية أى اللغة السامية التي كانت سائدة في العراق ونواحيه في زمان البابليين والأشوريين ترجع مستنداتها إلى الألف الرابع قبل المسيح ولا ريب أنها أحدث من اللغة السامية الأصلية بأجيال لا نعرف عددها . والاجابة على هذا السؤال يجب علينا مقابلة حروف اللغات السامية كلها وهذا عمل لا يمكننا

تفصيله الآن ونكتفى بأبراز نتائجه وهى أن اللغة العربية رغما لطول الزمان الماضى عليها قبل بروزها فى ميدان التاريخ قد حفظت الحروف الأصلية حفظا أتم من سائر اللغات السامية الأخرى ماعدا لغة الكتابات اليمانية العتيقة أى لغة معين وسبأ إلى آخره . فتستثنى من ذلك الأطلاق عدة عوارض وهى الفاء والسين والشين والحروف المطبقة . أما الفاء فكان أصلها الباء مثل ما نجدها فى كل اللغات السامية غير العربية والحبشية مثلا الفم هو في اللغة الحبشية العتيقة **ap** ( لكنه فى الأكدية **pū** وفى العبرية **pe** وفى الآرامية **pum** . والخط الصغير فوق الحرف الصائت يفيد أنه ممدود . وأما السين والشين فكانتا فى الأصل ثلاثة أحرف سينا وشينا وثالثا لانعرف نطقه الأصلى تماما وربما كان سينا جنبية مخرجها من حافة اللسان أو شجرية . أما الجنبية فتوجد فى بعض اللهجات اليمانية الدارجة كالمهرية أما الشجرية فتشبه حرف **ich** فى اللغة الالمانية فالنسبة بين هذه الأحرف الثلاثة والأصلية وبين الحرفين المذكورين العربيين غريبة جدا فأنا نجد السين بقى نطقها على ما كان عليه مثاله كلمة أسر التى هى es êru فى الأكدية و esar فى الآرامية والشين الأصلية صارت سينا عربية مثاله كلمة سمع التى هى šemu فى الأكدية و šāma فى العبرية و šma فى الآرامية.

وأما الحرف الثالث وهو السين الجنبية والشجرية وعلامتها **ś** فصارت شينا مثاله كلمة عشر التى هي éser في العبرية و ōser فى المهرية وأما فى الأكدية فصار هذا الحرف شينا مثل ما صار فى العربية فعشر فيها ešru وفى الآرامية صار أخيرا سينا بعد ما كان في أول الأمر كالحرف العبرى نطقا فعشر فيها śar ثم صار sar

فالسين العربية نشأت من حرفين السين السامية الأصلية فى بعض الكلمات والشين فى بعضها . والشين العربية نشأت من السين الجنبية أو الشجرية

| | | | |
|---|---|---|---|
| سامي أصلي | s | š | ś |
| عربي وحبشي | s | s | š |
| عبري | s | š | ś |
| اكدي | s | š | š |
| آرامي | s | š | ś > s |

ونود الآن أن نعلم متى حصل الانقلاب المذكور الذي تبادل به بعض حروف الصفير في اللغة العربية . وليس لنا من سبيل لتعيين ذلك الوقت تاريخا مطلقا أي لنعين في أي سنة كان أو في أي جيل ولكن يمكننا أن نؤرخه تاريخا نسبيا أي بالنسبة إلى حوادث معروفة حصل قبلها أو بعدها وهذا هو الطريق المؤدي الى ذلك

إنا نرى بعض الكلمات الآرامية المعربة اشتركت في هذا التبادل فصارت الشين الآرامية فيها سينا عربية والسين الجنبية أو الشجرية الآرامية شينا عربية . مثال ذلك السارية أي العمود والخشبة الكبيرة معربة من **šarīta** والسياع أي الكلس الذي يبيض به الجدار معرب من **šia'a** ( **i** علامة الياء ) وبالعكس اسم دمشق مأخوذ من **dammeseq** والشيطان معرب من **sātānā** فمن المحال أن تكون العرب بدلت الشين بالسين والسين الجنبية أو الشجرية بالشين عند استعارتها لهذه الكلمات بل كانت عربت مثلا **šarīta** بالشارية ثم صارت بعد ذلك سارية وقت ما صارت الشين سينا في كل الكلمات العربية والكلمات المعربة معها ومع ذلك فإنا نري بعض الكلمات الآرامية المعربة لم يمسها تبادل حروف الصفير نحو كلمة الشرقرق وهو اسم طائر معرب من **šraqrāqā** والسكين المعربة من Śakkina والسبب في عدم تغيرها وبقاء حروفها على ما كانت عليه في الآرامية هو أنها عربت بعد زمان تغير حروف الصفير فإنه لو كانت عربت قبله في وقت تعريب السياع وما من نوعه لكان الشرقرق صار سرقرقا كما صار الشياع سياعا . فالحاصل أن تبادل بعض حروف الصفير في اللغة العربية وقع في طور تعريب الكلمات الآرامية

الموجودة فى اللغة العربية منذ أقدم زمان وأما نفس هذا التعريب فهو أيضا لا يمكن أن يؤرخ إلا تاريخا نسبيا وذلك أنا نعلم أن العرب جاورت الآراميين وخالطتهم منذ حوالي القرن الخامس قبل الميلاد . فهذا وقت ابتداء لاستعارة الكلمات الآراميه أى وقت لا يمكن أن تكون استعيرت إلا بعده وإما وقت انتهاء لها أى وقت لم تستعر إلا قبله فيستنتج من أن كلمة السكين تقع فى القرآن الكريم فنرى أن السين السامية صارت سينا فى العربية والسين الجنبية أو الشجرية صارت سينا فى مدة الألف سنة بين القرن الخامس قبل الميلاد والهجرة

ويلزمنا الآن أن نعود إلى مسألة الأطباق التى كنا أهملناها عند الكلام عن صفات الحروف . . فالأطباق فى اللغة العربية نوع من الاستعلاء الذي هو رفع أقصى اللسان نحو ما يليه من الحنك ويزاد على ذلك تقاص ما في الحلق وأقصى الفم وهذا الضرب من النطق للحروف المطبقة سائد فى كل اللهجات العربية والآرامية المستعملة اليوم لكن اللهجات الحبشية يوجد فيها نطق يخالفه تماما وخاصته زيادة صوت كالهمز إلى الحروف المطبقة يعنى أنه قبل إخراج الحرف من مخرجه يغلق فم الحنجرة تماما ثم ينطق الحرف ثم يفتح فم الحنجرة فيصدر من ذلك الصوت الزائد المذكور الشبيه بالهمز نحو t' s' ويحتمل أن يكون هذا النطق الحبشي للحروف المطبقة هو الأصلى أو القريب من الاصلى وأن النطق العربى لها مشتق منه وماعدا ذلك فيظهر أن الطاء والظاء ومعهما القاف كانت مهموسة فى الأصل وصارت مجهورة في اللغة العربية عند انقلاب طريقة الاطباق

وهذه التغيرات كلها مما سماه قدماء العرب أصولا مطردة ونحن نسمية قوانين صوتية ومعنى ذلك أن كل ياء مثلا فى أى كلمة وجدت من اللغة الساميه الأم ( الاصلية ) صارت فاء في اللغه العربية بغير استثناء . وإن وجد استثناءات قليلة فلها سبب خاص يلزمنا استخراجه

وضد المطرد هو الاتفاقى ونسمى تغيرات الحروف اتفاقيه إذا حصلت ليس فى كل كلمه وقع فيها هذا الحرف بل في بعضها فقط فلا قانون لحصولها بل هى في الظاهر حصلت اتفاقا وفى الباطن ينبغى أن يكون لحصولها وعدم حصولها

سبب لا نعرفه نحن والتغيرات المطردة منها مطلقة ومنها مقيدة بالشروط أما المطلقة فكأ بدال الياء فاء فأنا لا نجد لهذا الانقلاب شرطا صوتيا يقيد به وأما المقيدة فمثالها أن الميم الأصلية في أواخر الكلمات صارت نونا عربية وذلك أن قلب الميم نونا مطرد من جهة أنه حصل فى كثير من الكلمات لكنه مقيد من جهة أنه اقتصر على أواخر تلك الكلمات فقط ولم يتعداها إلى أوائلها ولا أواسطها مثاله التنوين فان أصله ميم كما كان فى الأكدية والسبئية مثل بيت baitun ، بيت baitin ، بيتاً baitan أصلها بيم bitum ، وبيم bitim وبيم bitam وكلمة إن in فأنها فى العبرية im وقليل من الكلمات لم يطرأ على أواخرها هذا التغيير لسبب خاص مثالها الضمائر نحو أنتم وهم والسبب في بقاء الميم فيها على حالها هو أن الميم لم تكن فى الأصل انتهائية فى هذه الضمائر فأصلها انتموا وهمو بالواو وكثيرا ما توجد على هذه الصورة فى قراآت القرآن الكريم وفى الشعر

فان تساءلنا أية علة أوجبت هذه الانقلابات الصوتية القانونية أى المطردة لم يمكننا أن نرد جوابا شافيا فأنا لا نعلم علل تغيرات النطق علما بيناً يقينياً إلا فى قليل من الحالات منها أن الأكدية فقدت كل الحروف الحلقية الحنجرية كالعين والحاء . وسبب ذلك أن العراق كان يسكنه في أول الوقت الشوميريون ثم دخله قوم من الساميين وامتزجوا بأهله فاتخذ الشوميريون لغة الساميين لغة لهم ولما كانت الحروف الحلقية غير معروفة لم ينطقوا بها فى اللغة السامية أيضا بل أهملوها فتلاشت ولا توجد فى اللغة الأكدية التى نشأت هكذا . فالعلة التى أوجبت انقلاب الحروف في هذه الحال هى امتزاج اللغتين وهى من أهم علل تغير اللغات عامة — وعلة أخرى — هى ذوق العصر . مثال ذلك فى اللغة العربية أن بعض أهل القاهرة كان استخشن نطق القاف واستغلظه فأبدله بالهمز وهذه العادة سادت بين أهل القاهرة الخاصة ثم العامة ثم سرت منها إلي بعض المدن الكبيرة كدمشق ثم إلى أصغر منها كالقدس الشريف . فهذه أيضا علة مهمة لتغير اللغات لكننا كثيرا مالا يمكننا إثباتها وخاصة في الأزمان السالفة التى لا نعرف كيف كان ذوق أهلها

وإننا إن لم نعرف العلة الأولية لتغيرات الحروف في أكثر الحالات فقد عرفنا أحيانا العلة الثانوية الصوتية وخاصة في التغيرات الاتفاقية وبعض المطردة المقيدة بالشروط وأهم مثال لذلك التشابه والتماثل Assimlation أى أن حروف الكلمة مع توالى الأزمان كثيراً ماتتقارب بعضها من بعض في النطق وتتشابه وهذا التشابه نظير لما سماه قدماء العرب إدغاما غير أن التشابه والأدغام وإن اشتركا في بعض المعاني اختلفا في بعضها : وذلك أن معنى الأدغام اتحاد الحرفين إلى حرف واحد مشدد متماثلا أو اختلفا نحو آمنا وادعى . أما آمنا فالنون المشددة نشأت عن نونين أولاهما لام الفعل والثانية الضمير فاتحادهما إدغام وليس بتشابه وأما ادعى فأصل الدال المشددة دال وتاء : الدال فاء الفعل والتاء تاء الافتعال قلبت دالا فهذا إدغام وهو تشابه أيضا

| إدغام | | تشابه |
| --- | --- | --- |
| آمنا ( n + n ) | إدعى ( dt > dd ) | إضطجع ( dt > ḍṭ ) |

والتشابه في هذا المثال كلي اذ تطابق الحرفان تماما وأما إذا تشابه الحرفان ولم يتطابقا كان التشابه جزئيا نحو اضطجع وازدجر الطاء والدال أصلهما تاء وقلبت طاء لتشابه الضاد ودالا لتشابه الزاى . فهذا تشابه وليس بأدغام إذ الحرفان لم يتحدا إلى حرف واحد مشدد

فينقسم التشابه إلى كلى وجزئى . وينقسم من جهة أخرى الى مقبل ومدبر ومتبادل والأمثلة المذكورة هى من التشابه المقبل فادعى من التشابه المقبل الكلى واضطجع وازدجر من التشابه المقبل الجزئى . ومقبل معناه أن اتجاه التغير من الحرف السابق وهو فاء الفعل الى الحرف التالى وهو تاء الافتعال فأثر الحرف السابق فى التالى وغيره . ومثال التشابه المدبر كلمة عبدت وربطت بأسقاط الدال والطاء وبتشديد التاء فى النطق فاتجاه التغير هنا من الحرف التالى الي السابق وأثر التالى أى تاء الضمير فى السابق أى لام الفعل وقلبه الى مايشابهه فى النطق وإن لم يعتبر التغير فى الأملاء بخلاف المثالين السابقين أى ادعى واضطجع اللذان يكتبان مثل ماينطقان وعبدت وربطت لاتكتبان مثل ماتنطقان بل املاؤهما

تابع لأصل حروفهما . ومثال التشابه المتبادل كلمة ادكر فأن فاء الفعل أى الذال وتاء الافتعال تشابهتا واستبدلتا بحرف ثالث مخالف لهما جميعا هو الدال

| | مقبل | مدبر | متبادل |
|---|---|---|---|
| كلى | ادعى اطرد اذكر | عبدت وربطت اخذتم | ادكر |
| جزئى | اضطجع وازدجر | جنب ( أى جمب ) | |

واذا نظرنا الى أنواع التشابه من وجهة علم الأصوات وجدنا أنها تتفاوت تبع مقدار تغير الحروف فقد تتغير فى الحرف صفة واحدة فقط وأمثلة ذلك عديدة منها ماهو تشابه كلى مقبل نحو كلمة ادعى فأنه تغيرت صفة واحدة للتاء فقط فصارت مجهورة بعد أن كانت مهموسة ونحو كلمة اطرد التى أصبحت تاء الافتعال فيها مطبقة وقد كانت غير مطبقة . ومنها ماهو تشابه جزئى مقبل مثل اضطجع وازدجر ومنها ماهو تشابه مدبر مثل عبدت وربطت . ثم منها تشابه متبادل مثل ادكر فأن الذال الرخوة صارت شديدة أى دالا والتاء المهموسة أصبحت مجهورة أي دالا أيضا . واذا قلنا اذكر بدل ادكر أو أخذتم ( أختم ) بتشديد التاء بدل أخذتم تغير أشد من السابق ذكره فأن أصل الحرف المتغير فى الأولى تاء مهموسة شديدة أصبحت ذالا مجهورة رخوة وفى الثانية على العكس وأمثال ذلك نادرة وقد لايقتصر التغير فى الحرف على صفة أو صفتين بل يتعدى ذلك الى المخرج مثاله كلمة جنب فأن نونها تنطق ميما فصار مخرجها من الشفتين بعد أن كان من طرف اللسان والثنايا العليا وهذا تشابه جزئى مدبر. وقد يصيب التغير المخرج والصفات معا فيتجرد الحرف عن طبيعته تماما ولا يبقى منه أثر الا المدة من الزمان التى كان يحتاج اليها لنطقه فأنها تضاف الى مدة نطق الحرف الآخر فتضاعف ويشدد ذلك الحرف مثال ذلك اتصل واتسر فأن أصل التاء المشددة فيهما تاء الافتعال وفاء الفعل التى هى فى الأصل واو أو ياء مختلفة عن التاء التى قلبت اليها اختلافا تاما

وكل التشابهات المذكورة يتلاحق فيها الحرفان المتشابهان فى كلمة واحدة ويوجد سواها تشابه بين الكلمتين يتشابه فيه آخر حرف من الكلمة الأولى

الى أول حرف من الكلمة الثانية أشهره إدغام النون المجزومة في آخر الكلمة تنوينا كانت أو غير تنوين الى ر ، ل ، و ، ى ، م فأمثلة التشابه بين الكلمتين غير هذه كثيرة في قراآت القرآن الكريم

وأنواع التشابه المذكورة كلها مطردة أى يحصل التشابه فيها في كل الكلمات المماثل بناؤها لبناء الأمثال التى أوردناها . ومنها اتفاقية لاتحصل الا فى بعض الكلمات وعددها كثير جدا نكتفي بذكر القليل منها مثال ذلك مما قاب فيه صفة واحدة كلمة المطقة أى الحلاوة أصلها المتقة بالتاء فأما مطابقتها فى العبرية moteq بالثاء المستبدلة من التاء حسب القوانين الصوتية للغة العبرية فشبهت التاء الغير المطبقة بالقاف القريبة من الحروف المطبقة فصارت طاء مطبقة . ومما قاب فيه المخرج كلمة عند أصلها عمد كما هي في العبرية immadi (ومعناها معى بالميم فصارت الميم الشفهية نونا سنية لسبب جوار الدال السنية . ومما تلاشى فيه الحرف الأصلى تماما كلمة اتخذ فأصل التاء المشددة فيها تاء الافتعال والهمزة التى هي فاء الفعل والفرق بين اتعد واتخذ أن التشابه في الأولى مطرد يشترك فيه كل الأفعال التى فاؤها واوا وفى الثانية اتفاقى لأن كثيرا من الأفعال التى فاؤها همز لايشترك فيه بل يخفف الهمز فيها نحو ايتمر . وهذه الأمثال من التشابه المدبر . أما المتبادل فمثاله كلمة ست اصلها سدث كما هى فى الكتابات اليمانية العتيقة فشبهت الدال بالتاء بالانقلاب الى الهمس بدل الجهر وشبهت الثاء بالدال بالانقلاب الى الشدة بدل الرخوة فصار الحرفان تاء مشددة . واذا كان أصل الست سدثا كان الأولي أن يكون السادس سادثا بالثاء غير أن القاف قلبت سينا مشابهة للسين الابتدائية وهذا التشابه يخالف التشابهات المذكورة كلها في أن الحرفين المتشابهين لايتصل أحدهما للآخر فهو تشابه منفصل بخلاف المتصل وأمثلة التشابه المنفصل أقل بكثير من أمثلة المتصل منها ماذكره نحويو العرب من أن السين اذا وقعت قبل غين أو خاء أو قاف أو طاء جاز إبدالهما صادا كقولك صلخ بدل سلخ وصراط بدل سراط

فخلاصة القول إنه كثيرا ماتشابهت حروف الكلمة بعضها ببعض وأن هذا

التشابه من أهم العوامل التي سببت إبدال الحروف . ومن الغريب وجود هذا الضرب من إبدال الحروف أيضا وهو التخالف dissimilation فإن قال قائل ما بال اللغة تتشابه فيها الحروف المختلفة في بعض الأوقات وتتخالف الحروف المتشابهة في بعضها قلنا أما التشابه فقد رأيناه يحصل في أكثر الحالات بين الحروف المتصلة ونادرا بين الحروف المنفصلة والأمر في التخالف على عكس ذلك . ولهما فرق في العلة أيضا . أما التشابه فانه وان أثرت فيه النفس نوعا فيرجع أكثر التأثير الى الأعصاب والعضلات وكيفية حركتها وذلك أن نتيجة التشابه أبدا تسهيل واختصار للنطق . مثال ذلك أنا إذا نطقنا بكلمة جنب بالنون لزمنا مد اللسان نحو الثنايا العليا وإعماده على أصولها ثم نجتذبه الى وراء ونطبق الشفتين وإذا نطقناها بالميم أي ( جمب ) استغنينا عن حركة اللسان بتقديم إطباق الشفتين لحظة . وكل التشابهات أو أكثرها على هذا المثال . . وأما التخالف فالعلة نفسية محضة نظيره الخطأ في النطق فأنا نرى الناس كثيرا ما يخطئون في النطق ويلفظون بشيء غير الذي أرادوه وأكثر ما يكون هذا اذا تتابعت حروف شبيهة بعضها ببعض لأن النفس يوجد فيها قبل النطق بكلمة تصورات الحركات اللازمة على ترتيبها ويصعب عليها إعادة تصور بعينه بعد حصوله بمدة قصيرة ومن هنا ينشأ الخطأ اذا أسرع الانسان في نطق جملة محتوية على كلمات تتكرر وتتابع فيها حروف متشابهة وكثيرا ما يتسامر الصبيان بالتسابق الى نطق أمثال هذه الجمل بسرعة وبدون خطأ .

وللتخالف نوعان : منفصل ومتصل . فالمنفصل ما كان بين حرفيه فارق نحو كلمة اخضوضر أصلها أخضرضر من أخضر فأبدلت الراء الأولى واوا لجوار مثلها وهذا النوع هو الغالب . والمتصل ما تجاور فيه الحرفان وهو على الأخص في الحروف المشددة . والحرف المشدد هو حرفان مثلان متتاليان مدغمان إلى حرف واحد . وقد يفك الادغام ويصير الحرف المشدد حرفين مختلفين بقلب أول نصفيه إلى حرف آخر مثال ذلك أن السنبلة في العبرية šibbolet وفي الآرامية šebbeltā بالباء المشددة أي البائين وصارت أولاهما في العربية نونا والقنفذ في الآرامية quppdā بالباء المشددة أي البائين وصارت أولاهما في العربية نونا أيضا . وهذا النوع من

تخالف الحروف المشددة بقلب أول حرف منها إلى النون هو الأكثر وقوعا وقد يصير النصف الأول من الحرف المشدد راءا أو لاما نحو كلمة فرقع أصلها فقع بتشديد القاف وكلمة بلطح أى ضرب بنفسه الأرض أصلها بطح بتشديد الطاء

وتخالف الحروف المشددة له علة نفسية أيضا مختلفة قليلا عن علة التخالف المنفصل وهى أن المتكلم يرجوا أن يؤثر فى نفس السامع تأثير زائدا فلا يكتفى بالضغط على الحرف وتشديده بل يضيف اليه حرفا آخر لزيادة ذلك التأثير والتخالف نادر بالنسبة الى التشابه وهو نادر فى اللغة العربية بالنسبة الى بعض اللغات السامية الباقية خصوصا الأكدية والآرامية

ونجد تغيرا آخر أصله قريب من أصل التخالف وهو التقديم والتأخير أي أن حرف من حروف الكلمة يقدم وآخر يؤخر مكانه . وعلته أن ترتيب الحركات فى التصورات أسهل من تغيرها الموجب للتخالف ونحن نشاهد ذلك في الكتابة بالآلة الكاتبة فانا اذا لم نتيقظ كتبنا كل الحروف اللازمة لكن على ترتيب غير ترتيبها

واللغة العربية كثيرا ما حفظت بالصورة الأصلية للكلمة مع الصورة الجديدة أى التى طرأ عليها التقديم والتأخير . فأحيانا يمكن معرفة أيتهما هى الأصلية بالرجوع إلى اللغة العربية وحدها كما هو الحال في كلمة مزراب ومرزاب فحيث أن الفعل منهما زرب لا رزب يتقرر أن الكلمة الأصلية مزراب وأن مرزاب مقلوب منها : وأحيانا نحتاج إلى استعراض الكلمات المقابلة معنى فى سائر اللغات السامية مثال ذلك أنا نجد في العربية شمأل وشامل أي الشمال ونرى من العبرية أن شمال هو الأصلى وشأمل مقلوب منه . وأحيانا فقدت اللغة العربية الصورة الاصلية وحافظت على الصورة الجديدة فقط ومثال ذلك كلمة معً فانها فى العربية دائما على هذه الصورة إلا أنا نجدها تقابل الكلمة العبرية im (فمع العربية مقلوبة من عم ومثال آخر كلمة ركبة هى فى الأكدية birke وفي العبرية berek وفى الآرامية burka وفي الحبشية berk فأصلها بركة ثم قلبت الي ركبة وأمثال التقديم والتأخير عديدة جدا فى اللغة العربية نكتفى بذكر بعضها نحو غضروف أو غرضوف

ومبهوت أو مهبوت وصفحة وصفيحة أو صحفة وصفيحة أو صحيفة وجدث أو جندوجيذ أو جذب

تكلمنا حتى الآن عن تغيرات اتفاقية للحروف أمكننا أن نعرف علتها الثانوية الصوتية وكثيرا مالا يمكننا ذلك فسنعدد أمثلة لها على ترتيب صوتي مع صرف النظر عن سببها . والترتيب الصوتي هو الذى استعملناه عند التكلم عن أنواع التشابه الصوتية . فمن التغيرات الاتفاقية للحروف ماينقلب فيه صفة واحدة للحرف نحو كلمة نزع يقابلها في العبرية nasa بالسين فنرى من ذلك أن أصل الزاي سين مهموسة ، صارت مجهورة . وكلمة سلب التي هى في العبرية salap بالفاء الناشئة عن الباء حسب قوانين الأصوات السائدة في اللغة العبرية فصارت الباء باء في العربية . ومثلها كلمة بذر وهى في العبرية pazar وبرغوث وهو فى العبرية par o s أما سائر حروف هذه الكلمات فهى أيضا فى العربية مخالفة لها فى العبرية غير أن الاختلاف من نوع التغير المطرد السابق ذكره آنفا . فأنا بينا أن الشين السامية صارت سينا فى العربية ونزيد الآن أن الذال السامية صارت فى العبرية زايا والثاء شينا والغين عينا والخاء حاء . وضد الانقلاب من الهمس الى الجهر نشاهده في كلمة جحد فانها فى العبرية Kihed بالكاف فصارت الكاف المهموسة جيما مجهورة مثل المصرية ثم جيما معطشة ففى كل هذه الأمثلة انقلبت فى الحرف صفة واحدة فقط . ومثال ماانقلب فيه صفتان كلمة زاد أى طعام يتخذ للسفر فانها فى العبريه s eda بالصاد فأصبحت الصاد المهموسة المطابقة زايا مجهورة غير مطبقة. ومثال ماانقلب فيه المخرج كلمة نسى يطابقها فى الأكدية masu بالميم الشفهية فأصبحت نونا سنية

وقد يوجد بين تغيرات الحروف ماظاهره اتفاقى وهو فى الحقيقة مطرد مثال ذلك ابدال الثاء بالفاء فى بعض الكلمات نحو الثوم او الفوم وهي على هذه الصورة فى القرآن الكريم . والثدام او الفدام اى المصفاة . والثرقبية والفرقبية أى ثياب بيض من الكتان . والجدث أو الجدف أي القبر. والأرجح أن الأصل فيها كلها هو الثاء والدليل على ذلك ان الثوم بالعبرية sum

وبالآرامية tnma بالشين والتـاء الناشئتين عن الثاء . وحقيقة الأمر في ذلك أنه في بعض لهجات العرب كانت الثاء تنطق فاء في كل الكلمات التي وقعت فيها : فابدال الثاء بالفاء في تلك اللهجة أو اللهجات مطرد غير أن سائر العرب استعار النطق بالفاء بدل الثاء في قليل من الكلمات فقط فيظهر الأبدال عندهم اتفاقيا . وإبدال الفاء من الثاء كثير في تاريخ اللغات نقابله في بعض لهجات اللغة الأنكليزية وخصوصا في اللغة الروسية حتى أن الحرف اليوناني الذي يدل على الثاء صار معناه في الروسية فاء

الى هنا تكلمنا عن إبدالات الحروف بحالة عامة والآن نريد أن نوجه نظرنا بحالة خاصة الى تغيرات بعض الحروف التي كثرت انقلاباتها في العربية وهي زمرتان . أولاهما الحروف الصوتية المحضة . والثانية حروف اللين والهمز . .

أما الحروف الصوتية المحضة وهي ل ، ر ، ن ، م فيتماثل بعضها بعضا من جهة أن الغالب على نطقها كلها الصوت الناشىء عن اهتزاز الأوتار الصوتية في الحنجرة ولهذا السبب كثيرا ما يستبدل بعضها من بعض أو تقدم وتؤخر . ومثال الأبدال كلمة تأمل فانها تقارب الكلمة الاكدية amaru بالراء التي معناها رأى . وكلمة صم وهي في العبرية selem وفي الآرامية salmā باللام . وأحيانا نجد الأبدال في داخل اللغة العربية نحو البرسام والبلسام . ومثال التقديم والتأخير مضافا الى الابدال كلمة خصر بتقديم الصاد الى الوسط وهي في سائر اللغات في آخر الكلمة مع ابدال الراء من اللام أو النون في بعضها فانها في الأكدية hinsu وفي العبرية hlāsaiin وفي الآرمية hansā أو halsā ومثال آخر كلمة صحن وهي في أكثر اللغات السامية باللام مع تأخير الحاء المقدمة في العربية في بعضها فانها في العبرية sallahat وفي الآراميه slāhā أو sahnā وفي الحبشية sahl وأغرب الأمثلة كلمة أرملة المحتوية على ثلاثة من الحروف الصوتية المحضة فانها في الاكدية almattu أصلها almantu وفي العبرية almana مثل الأكدية وفي الحبشية maballat فأبدل واحد من الحروف الصوتية المحضة بالباء التي ليست منها واللغة الآراميه تتفق مع العربية في هذه الكلمة فان فيها armaltā كأرملة

وأحوال الهمز متنوعة والنحويون والمقرئون وفوها حقها شرحا وتفصيلا ونحن نقتصر هنا على مايهمنا منها من وجهة تاريخ اللغة العربية : كثيرا مايحذف الهمز بالأبدال واوا أو ياء أو بغير عوض وأقدم ماحدث ذلك في اللغة السامية الأم قبل أن تفترق الأقوام الناطقون بها . . والقانون الصوتى لهذا الحذف الأقدم هو أنه إذا توالي همزتان أولاهما فى أول مقطع والثانية فى آخره حذفت الثانية ومدت الحركة قبلها . مثال ذلك كلمة آو أصلها أأو ، أأ مقطع أوله همزة وآخره همزة أيضا فحذفت الهمزة الثانية ومدت الفتحة قبلها . والدليل على أن هذا الحذف سامى الأصل وجوده فى العبرية والآرامية أيضا فأن كلمة آمر يطابقها فى العبرية o̅ mer وحركة o̅ نشأت عن الفتحة الممدودة حسب القوانين الصوتية الخاصة باللغة العبرية وفى الآرامية يطابقها e̅mar وحركة e̅ تقابل حركة o̅ العبرية في هذه الحالات . ومثال آخر لهذا النوع من حذف الهمز كلمة إيثروما يوازن بناءها من أبنية الأمر أصلها i̅ tir ومما يدلنا على أن سبب حذف الهمزة الثانية التى هى فاء الفعل هو وقوع همزة قبلها هو أنه إذا وصلنا هذا الأمر بالفاء أو الواو بقيت الهمزة الثانية على حالها لزوال همزة الوصل قبلها فكان فأثر وأثر . ومثال شاذ من هذا النوع كلمة أول فأنها كان يلزم أن تكون أأول على وزن أفعل كما أن المؤنث أولى على وزن فعلى . وأأول لم تصر آول كما أن أأو صارت آو بل عوض عن مد الحركة بتشديد الحرف بعدها فصارت الكلمة أول

هذا هو أقدم أنواع الحذف وبعده أتى النوع الثانى وهو أنه إذا وقع همزتان فى أول مقطعين متتالين خففت الثانية وهذا النوع قسمان . منه مايكون مقطعه الأول من الهمزة المتحركة فقط . ومنه ماتركب مقطعه الأول من الهمزة المتحركة وحرف ساكن . مثال الأول كلمة أيمة أصلها أئمة ومقطعها الأول هو الهمزة المتحركة أ فخففت الهمزة الثانية وأبدلت ياء . ومنهم من يقول أئمة بتحقيق الهمزة والنحويون يستنكرون ذلك . ومنه كلمة رياء أصلها رئاء أي المرآة . وآيب أصلها آئب وجاء أصلها جائى . ومنه أيضا براء جمع بريء وكان الأولى أن تكون برآؤ على قياس ظرفاء جمع ظريف فحذفت الهمزة وامتد المقطعان

وعوض عن المقطع الناقص بالتنوين فصارت الكلمة منصرفة بعد أن كانت غير منصرفة كما أنه عوض بالتنوين عن مقطع محذوف في مثل جوار جمع جارية فأنه على القياس جواري كفواعل غير منصرف . وربما كان من هذا القسم صيغة المتكلم من مضارع الأفعال الرباعية فأنها أفعل وأصلها أأفعل نحو usaksid في الأكدية والشين الأكديه تقابل هنا الهمزة العربية فحذفت الهمزة الثانية مع حركتها وعلى قياس هذه الصيغة حذف الهمز في سائر الصيغ أيضا فقالوا يفعل بدل يؤفعل الخ .

ومن القسم الثاني الذي فيه المقطع الأول مركب من همزة متحركة وحرف ساكن كلمة أريت أصلها أرأيت فحذفت الهمزة الثانية وأرى بدل أراى ومن أرى سرى الحذف إلى يرى وإلى يرى الخ . ومنه كلمة أسل بدل أسأل ومنها سرى حذف الهمز الى تسل وغيرها وبالعكس فأن تحقيق الهمزة أى عدم تخفيفها وحذفها الذى هو صحيح لا مانع له في تسأل نقل إلى المتكلم فقالوا أسأل بدل أسل فكان الأصل هو الحذف في المتكلم الواحد والتحقيق في الباقي نحو يسأل تسأل أسل . ومن المرجح أن تكون كلمة أنا من هذا القسم أيضا فالظاهر أنها مركبة من أن الموجودة في أنت وأنتم ومن أ الموجودة في صيغة المتكلم من مضارع الفعل نحو أفعل كما أن أنت مركبة من أن بعينها ومن ta الموجودة في صيغة المخاطب من مضارع الفعل . ومن ذلك القسم جمع التكسير على صيغة أفعل وأفعال للكلمات التي عينها همز نحو آرس جمع رأس وآبار جمع بئر . والفرق بين هذه الأمثلة والمذكورة قبلها من هذا القسم هو أن حركة المقطع السابق تمد في هذه ولا تمد في تلك فأنا نجد أرى وأسل وأمثالها بالفتحة المقصورة وآرس وآبار وامثالهما بالفتحة الممدودة والعلة في هذا الفرق أنه في النوع الأول الذى لامد فيه حذفت الهمزة في وقت أقدم بكثير من وقت حذف الهمزة في النوع الثاني فأنا نرى كلمة أنا يقابلها في الآرامية ena التى حذفت فيها الهمزة أيضا بغير مد للحركة قبلها . وحذف الهمزة في مثل آرس وآبار مع مد الحركة قبلها خاص باللغة العربية لا يرتقى الى زمان أقدم من زمان افتراق العرب عن الأقوام

السامية الشمالية

وهذا الباب من تخفيف الهمز كله باب من أبواب التخالف المذكور آنفا ضد التشابه وذلك أن سبب الحذف والأبدال فيه توالى حرفين متماثلين لكن يختلف هذا التخالف عن الأنواع الأخرى بأن نتيجته تسهيل النطق أكثر مما لو حذف أو أبدل أي حرف آخر إذ أن الهمزة أصعب إخراجا من غيرها من الحروف فينبغى لأخراجها تغليق فم الحنجرة وهو مفتوح في غيرها فينقطع الزفير المتواصل الخروج أثناء الكلام. والنوعان المذكوران من تخفيف الهمز شائعان في اللغة العربية قديما وحديثا وعليه[1] ونظيرهما فقط تقتصر اللغة العربية الفصحى السائدة اليوم وقراءة القرآن السائدة فى الشرق وهى قراءة حفص عن عاصم. وأما سائر قراآت القرآن الكريم فمنها مايخفف فيه الهمز تخفيفا أكثر من ذلك بكثير والنحويون أيضا يذكرون أن الهمزة كانت تخفف تخفيفا زائدا فى بعض لهجات العرب القديمة المختلفة فكان تدرج تخفيف الهمز من أهم علاماتها وكانت لهجة الحجاز تخفف الهمز أكثر من اللهجات الأخرى ويؤيد قول النحويين رسم القرآن الكريم التابع للهجة الحجاز فكثيرا ما يبدل فيه الهمز بالواو والياء أو يحذف. وإذا أردنا أن نفهم مايدل عليه رسم القرآن فى حالة تخفيف الهمز ينبغى أن نترك كل الحركات والأشكال المضافة للحروف الهجائية مكتفين بالحروف نفسها فنشرحها على الطريقة التى نشرح عليها المستندات الآرامية فأن الخط العربى مشتق من الآرامى والأملاء العربى العتيق قريب من الأملاء الآرامى فأذا اطلعنا على الأملاء الآرامى رأينا الهمزة موسومة بالألف دائما وبالعكس كل الف تشير إلى همزة إلا فى أواخر الكلمات فأن الألف فيها حرف مد يشير إلى الفتحة الممدودة وإلى غيرها من الحركات الممدودة في بعض الأوقات مثال ذلك أن ܡܐܬ بالسريانية المقابلة لمات حرفا بحرف لاتشير الى māt أبدا بل معناها maʾet المقابلة لمائت هي بالعكس، ومܡܐܬ maʾīṯ وܡܝܬ تحتمل أن تقرأ rmā و rāme . فأهم فرق بين الأملاء الآرامى والعربي أن استخدام الألف كحرف مد فى الأملاء العربى لايقتصر على أواخر الكلمات فقط بل

يكون في أواسطها أيضا وهذا نشاهده في رسم القرآن الكريم فى حال الانكشاف لافى حال الكمال فكثير من الألفات المستعملة فى الأملاء العربى العادى لتأدية الفتحة الممدودة ساقط فى القرآن الكريم نحو فعلنه أى فعلناه وفعلت أى فاعلات وكتب أى كتاب ويقوم أى ياقوم وأمثال ذلك كثيرة . . فالخلاصة أن الألف في رسم القرآن تدل على الهمز فى بعض الحالات وعلى المد في بعضها وأنه لا همزة بغير ألف دالة عليها . فأذا وجدنا أن كثيرا من الهمزات لا توسم بالف عزونا ذلك إلى أن الهمزة كانت تخفف في لهجة الحجاز فكانت اذا الهمزة تحذف بعد كل حرف ساكن نحو مل milun بدل mil'un وشطه أى saṭāhu بدل saṭ'āhu وقرنا أى qurānan بدل qur'ānan ومثله الموده أى al-mauūdatu بدل al-mau'ūdatu الا بعد لام التعريف فكانت الهمزة تكتب بالألف نحو الأبل طبقا لرسم الكلمة بغير الألف واللام أى ابل غير أن كلمة أصحاب الأيكة ترسم بالألف فى بعض المواضع وبغيرها أى أصحاب ليكة في بعضها ولا ريب أن سبب ذلك هو أن بعض كتاب القرآن الكريم لم يكن يعرف كلمة ايكة بغير الألف واللام فحذف همزة الأيكة قياسا على حذف سائر الهمزات الواقع قبلها حرف ساكن وكانت الهمزة تحذف إذا وقعت هى ساكنة بعد حركة مع مد هذه الحركة وذلك واضح فى الكسر والضم نحو بير ويوخذ وأما فى الفتح فنجد فى الرسم ألفا فى أكثر الحالات نحو تاويل وأخطانا لا نعرف أهى علامة الهمز أم علامة المد غير أن المقرئين يذكرون أن كلمة إدارتم فى سورة ق ترسم بغير ألف بدل ادارتم ونعثر على أمثلة لذلك غير المذكورة فى كثير من المصاحف العتيقة الكوفية نحو أخطنا بدل أخطانا وتويل بدل تاويل واستجرت بدل استاجرت فنستنتج من ذلك أن الألف فى هذا الباب كله تشير الي المد لا الهمز وأن نطق الكلمات فى لهجة الحجاز كان taūil و ahṭāna الخ . . وأما الهمزة بين حركتين يعني الهمزة المتحركة بعد حرف متحرك أو حرف مد فأنها بعد الكسرة والضمة أو قبلهما كانت تبدل بالياء أو الواو فى أكثر الحالات رسما ونطقا وإذا وقعت بين فتحتين بقيت على حالها في الأملاء العادي وكتبت بالألف بيد أن نطقها علي ماذكره النحويون

كان وسطا بين النطق بالهمز و بغير الهمز ويغلب هذا على رسم القرآن الكريم أيضا . لكننا نجد شواذ لهذه القواعد حذفت فيها الهمزة أصلا منها أن كلمة رأي ترسم برا وخاطئين بخاطين ويستنبئونك يستنبونك ومنها فى بعض المصاحف العتيقة يومذ بدل يومئذ ومطمن بدل مطمئن وجار بدل جائر ولأملن بدل لأملأن واطمنوا بدل اطمأنوا واشمزت بدل اشمأزت وأريتم بدل أرأيتم والمنشت بدل المنشآت . . ومما يشترك فيه لهجات اللغة العربية من هذا أن لا أن صارت لن وأن ياآل صارت يال نحو يالقوم وأن ياأبا كثيرا ماتبدل بيابا

مجمل القول أن أكثر الهمزات كانت لاتنطق في لهجة الحجاز إلا ماكان منها في أوائل الكلمات وبعض ماوقع منها بين حركتين . و بعض لهجات نجد خالفت لهجة الحجاز فى ذلك فبقيت أكثر الهمزات فيها سالمة على حالها كما نشاهدها فى شعرهم . ومما حذف فيه الهمز فى كل اللهجات العربية لسبب خاص لام التعريف فأصلها فيما يظهر أل بهمزة القطع غير أنهم سلكوا فيها مسلك همزة الوصل فأسقطوها فى وسط الكلام وأثبتوها فى الابتداء فقط .. وهمزة الوصل نفسها ليست بحرف أصلى من حروف اللغات السامية وأصلها أن الحرف الأول من بعض الكلمات صار ساكنا فى وسط الكلام نحو يابنى أصله iabini وبسم أصله bisimi وفا فعل وربما كان أصله fa-faʿal فاذا وقعت كلمة منها ابتداء زادوا إلى أولها همزة الوصل لأن الابتداء بساكن لايمكن فى اللغة العربية بخلاف كثير من اللغات فقالوا ابن واسم وافعل ، فى وسط الكلام أى اذا وقعت بعد حركة لاتمس الحاجة الى ألف الوصل إلا أنهم أثبتوها فى الأملاء خلافا للنطق . وقد تكون الهمزة الزائدة أحيانا همزة قطع لاهمزة وصل مثالها أعجوبة بدل عجوبة فتبقى على حالها فى وسط الكلام أيضا نحو بأعجوبة

هذا جل مايهمنا من أحوال الهمز ولننتقل الآن الى الكلام عن الواو والياء وتاريخ تبدلاتهما . وقد عد قدماء العرب هذين الحرفين من سائر الحروف الهجائية وخصصوهما بمخرج وهو الأول عندهم وسموه بالجوف ونحن نخالفهم فى ذلك فأنا نرى نطق الواو والياء أو بالأحري أوضاع أعضاء النطق الخاصة بنطقهما

مطابق تلك الخاصة بنطق الضمة والكسرة مطابقة تامة فنعد الواو والياء بين الحركات أو الحروف الصائتة voyelles لا بين الحروف الصامتة .. غير أنا نثبت فرقا بين الواو والضمة وبين الياء والكسرة من جهة بنية مقطع الكلمة فإن المقطع يتركب من حروف يؤثر على السمع أحدها أكثر من باقيها وأشدها تأثيرا نسميه بمركز المقطع وما عداه من الحروف هو طرفا المقطع . ومركز المقطع يكون فى أكثر الحالات حركة أي حرفا صائتا بيد أنه قد يكون أحيانا حرفا صوتيا محضا من الحروف الصامتة أو حرفا من حروف الصفير أو غيرها . وأمثلة ذلك كثيرة خصوصا فى اللغات الاسلافية slaves وتوجد أيضا فى بعض اللهجات العربية الدارجة وخصوصا فى المغربية مثال ذلك أن لام التعريف كثيرا ما فقدت الحركة السابقة للام فيقولون filbait بدل فى البيت .. فالواو والياء إذا كانت مركزا للمقطع نسميها ضمة أو كسرة وبالعكس اذا كانت الضمة أو الكسرة طرفا للمقطع نسميها واوا أو ياء فالواو في نفسها عين الضمة والياء فى نفسها عين الكسرة وانما تفترق الواو عن الضمة والياء عن الكسرة من جهة وظيفتهما فى مقطع الكلمة . ولذلك نسمى الواو والياء شبهى الحركات ونشير اليهما فى الخط الصوتى بعين علامتى الضمة والكسرة أى u, i بزيادة هلال صغير تحتهما مثل u̯, i̯ ويتقرر مما وصفناه من طبيعة الواو والياء أنهما حرفا العلة لأنه يسهل انتقالهما عن طرف المقطع الى مركزه ويسهل أيضا اتحادهما بالحركات إلى حركة واحدة ممدودة

فالاتحاد نوعان : الأول اتحاد الواو أو الياء الساكنة مع ضمة أو كسرة سابقة لها فمثال الواو مع الضمة يوجد ومثال الياء مع الكسرة سيرة فهتان الحالتان بسيطتان وأما الواو مع الكسرة فتصير كسرة ممدودة نحو ميتة أصلها موتة . والياء مع الضمة منها ما يصير كسرة ممدودة أيضا نحو بيض جمع أبيض أصلها بيض ومنها ما يصير ضمة ممدودة نحو يوبس أصلها ييبس .. والنوع الثانى هو اتحاد الحركة السابقة للواو أو الياء بالحركة التالية لها مع حذف الواو أو الياء نفسها مثال ذلك غزا أصلها غزو ورمى أصلها رمى

وللواو والياء انقلابات غير الاتحاد منها انهما فى بعض الحالات حذفتا إذا وقعتا بعد حرف ساكن نحو مقول بدل مقوول ومخيط بدل مخييط التى أبدلت من مخيوط ولغة بدل لغوة وكرة بدل كروة وقلة بدل قلوة وأرة بدل إرية . والواو أو الياء في هذه الأمثلة تحذف بغير عوض كالهمز فى مثل أرى وأسل وقد يعوض عن الواو أو الياء المحذوفة بمد الحركة التى قبلها كمدها في مثل آرس وآبار مع حذف الهمزة فيهما مثال ذلك كلمة آسق جمع سوق وآدر جمع دار على وزن أفعل .. وحذف الواو والياء فى الأمثال المذكورة مما يشبه التخالف وذلك أن حركة الواو فيها كلها هى الضمة وحركة الياء هي الكسرة فيتتابع حرفان مثلان ومن انقلابات الواو أنها إذا كانت لام الفعل صارت ياء فى كثير من أبنية الفعل وبعض أبنية الاسم مثال ذلك من الدلو أدليت وتدليت وأدل وهى مستمدة عن أدلى التى أبدلت من أدلو ونظيرها عصى جمع عصا أصلها عصوى .. قلبت الواو ياء أيضا في كل الحالات التى وقعت فيها ساكنة قبل ياء أو متحركة بعد كسرة نحو كى من كوى بدل كوى وجياد جمع جواد ورضى من الرضوان وعلى من العلو بدل عليو وأما جوار وطوال وأمثالهما فاشتقت حديثا عن جاوره وطويل فحافظوا فيها على واو أصولها .. وقد تبدل الواو ياء فى غير هذه المواضع نحو ديمومة من الدوام وهذا للتخالف بين المقطعين .. وعكس هذا الانقلاب أى قلب الياء واوا أقل بكثير مثاله الأموى من أمية بواو بدل الياء . وهذا نوع من التخالف أيضا

والواو والياء قد تستبدلان من الهمزة وبها وأكثر هذا التغير اتفاقى يذكر النحويون أمثلة له منها أن أسماء اسم العلم أصلها واسماء وأن أدية اسم علم مذكر تصغير اليد أصلها يدية وأن فى اسم يثرب لغة بالهمز بدل الياء أي أثرب وأن جمع الخال خؤولة ومنه فى القرآن الكريم أقتت بدل وقتت وكذلك قرأها أبو عمرو .. وأحد أنواع تبديل الواو والياء بالهمزة مطرد قديم جدا وهو فى حالة وقوعها بعد فتحة ممدودة مثاله قائم وسائر الى غيرهما . والدليل على أن ذلك التبديل يرتقى الى اللغة السامية الأم هو أنا نجده فى الأكدية والآرامية .

ويوجد فى اللغة العربية شوذ لهذا القانون الصوتى لها علل تختص بها منها قاول وزاوية وزوايا

ونود أن نختم كلامنا عن الحروف الصامتة بمناقشة ماذكره نحويو العرب عنها فقد أفرد الزمخشرى ـ مثلا ـ وهو من أشهر علماء النحو القسم الرابع من كتاب المفصل لما سماه المشترك وهو مايشترك فيه سائر أجزاء الكلام من الاسماء والأفعال والحروف أى الأدوات وهو يقرب مما نسميه نحن بحث الأصوات : وبين أبوابه مايخص الحروف الصامتة باب في تخفيف الهمز وأو ما أنا إليه قبل . وباب فى الأدغام وذكرناه آنفا . وباب فى الاعتلال أى فى الواو والياء . وبابان فى زيادة الحروف وفى إبدال الحروف .. أما باب زيادة الحروف فقد تكلم فيه عن الحروف التي زيدت إلى مادة الفعل لأفادة معنى من المعانى كزيادة الهمز فى الأفعال الرباعية وهذا مما يخص الحروف لا من جهة صوتها ونطقها بل من جهة معناها وخدمتها ولا حاجة لنا الآن الى تفصيله .. وفي باب إبدال الحروف ذكر كثيرا مما هو إبدال للحروف فى الحقيقة غير أن بعضه ليس بعام فى العربية بل هو خاص بلهجة من لهجاتها نحو هن بدل إن عند طيىء وهى تشبه hen الآرامية التي معناها عين معنى إن العربية .. وأضاف الزمخشرى الى ذلك أشياء ليس هذا موضعها . مثال ذلك أنه ذكر أن الهمزة في ماء وأمواء أبدلت من الهاء مستندا فى حكمه على وجود الهاء فى مياه جمع ماء ، وهذا خلاف الحقيقة إذ أنا نستنتج من استعراض اللغات السامية الأخرى أن الصورة الأصلية لكلمة ماء كانت mai أو قريبة منها وأن الهاء فى مياه وما ماثلها من الجموع زائدة . ولو ألم الزمخشرى باللغات السامية لسلم من الوقوع فى هذا الخطأ .. وذكر الزمخشرى أن الميم في كلمة فم أبدلت من الواو ونحن نعرف أنها ميم التميم الذي هو التنوين فى اللغة العربية فكان الرفع fum والخفض fim والنصب fam . والميم فيها لم تصر نونا مع سائر الميمات الأنتهائية بل بقيت على حالها لأنهم كانوا يتلقونها كأنها أصلية فأضافوا إليها الاعراب والتنوين فصارت فم ، فم ، فما فنقلت الميم من آخر الكلمة إلى وسطها ومن اجل ذلك لم يجر عليها القانون الصوتى الذى

بمقتضاه أصبحت الميم الانتهائية نونا فى اللغة العربية وذكر الزمخشري أن التاء فى الأخت والبنت أبدلت من الواو وذلك أنه ظن أن مادتهما أخو وبنو وأن التاء أصلية لام الفعل قامت مقام الواو ونحن نعرف أن الأخ والأبن من الأسماء القديمة جدا التى مادتها مركبة من حرفين فقط لا من ثلاثة أحرف وأن التاء وإن لم تسبقها فتحة هى تاء التأنيث فهى فى غير اللغة العربية وخصوصا فى الأكدية والعبرية كثيرا مالا فتحة قبلها . مثال ذلك أن الخمسة فى الأكدية hamistu وفى العبرية hmeset أصلها hamist كلاهما بشين ساكنة .. ففى الأمثلة المذكورة كلها كان أصل الحرف غير ماذكره الزمخشرى وقد أصاب الزمخشرى فى معرفة أصل الحرف فى كثير من الكلمات غير أنه ضل طريقة الأبدال فى بعضها فزعم أنها قصيرة وهى فى الحقيقة طويلة منحرفة . فقد ذكر مثلا أن التاء فى كلمة تهمة أبدلت من الواو وهذا هو عين الصواب إلا أن التغير ليس من التغيرات الصوتية المحضة كما رآى هو ، وإنما أبدلت الواو بالتاء بواسطة بناء الأبنية وذلك أن الافتعال من وهم هو اتهم بقلب الواو تاء بالتشابه ثم إدغامها فى تاء الافتعال واتهم كما تبع فى مظهرها فظنوا أنها من تهم كتبع فاشتقوا منها كلمات عديدة فاؤها التاء ، منها التهمة . . وأحيانا ذكر الزمخشرى أن حرفا مبدل من آخر والأمر فى الحقيقة على العكس . مثال ذلك أنه زعم أن التاء فى كلمة لصت أبدلت من الصاد الثانية فى لص والحقيقة أن التاء هى الأصل والصاد الثانية مبدلة منها فنحن نعرف أن اللص معرب من اليونانية بواسطة الآرامية أى السريانية وهو فى اليونانية λῃστής أى lestes وفى السريانية lesta , lestes فيتضح من ذلك أن لصت هى الأصل وأن لص أبدلت منها بتشابه التاء للصاد ثم إدغامها اليها ومن هنا نرى أن أكثر ضلالات النحويين واللغويين القدماء نشأ من جهلهم باللغات السامية ، على أن بعضها كان شائع الاستعمال فى زمانهم

والآن بعد الكلام عن الحروف الصامتة ننتقل الى القسم الثانى من الباب الأول فى الحروف الصائتة فنقول إن النحويين القدماء وإن كانوا ألموا بخواص الحروف الصامتة إلماما مقبولا حسنا فلم يوفقوا الى معرفة طبيعة الحروف الصائتة لأنهم كانوا يتأثرون بالخط خلافا للنطق فرأوا أنه فى بعض الأحيان لا يكتب

شيء البتة بين الحروف الصامتة نحو فعل وأحيانا يكتب بينها حرف من حروف المد نحو فاعل فلم يدروا أن الحالتين سيان فى أن تنطق بعد الفاء حركة في كلتيهما إلا أنها مقصورة فى الأولى وممدودة في الثانية بل ظنوا أنه وإن كانت الفاء متحركة في كلتا الحالتين أضيف إلى الحركة فى الحالة الثانية شيء غيرها هو الألف وهذه الضلالة هى منبع ضلالات ومشكلات كثيرة نجتنبها نحن إذا فهمنا أن الحركات منها مقصورة ومنها ممدودة وأن الحركات الممدودة يشار اليها بحروف المد .. ولهذا السبب نرمز للحركة المقصورة والممدودة باشارة واحدة نحو a للفتحة ولا نفرق بين الممدود منها نحو ā .. والمد موضع ثان في تركيب الأصوات غير مد الحركات هو التشديد فان الحروف المشددة وخصوصا المتمادية منها من أهم خصائصها أن امتداد نطقها أطول من امتداد نطق الحروف غير المشددة فالتشديد مد للحروف الصامتة نظير لمد الحروف الصائتة أى الحركات. وفى بعض اللغات تقتصر الحروف المشددة على كونها ممدودة وفى بعضها يحتوى التشديد على خصائص أخرى غير المد

أما عدد الحروف الصائتة فهى فى اللغة العربية ثلاثة : الفتحة أى a والكسرة أى i والضمة أى u والحركات الممدودة الموجودة فى اللغة العربية توافق الحركات الممدودة الموجودة فى اللغة السامية الأم والفرق بينها فى اللغتين طفيف غير أنه يحتمل ان اللغة السامية الأم كان لها حركة ممدودة رابعة هى ē وهذه الحركة صارت ā فى العربية الفصيحة مثال ذلك أن كلمة جار يطابقها في العبرية gēr ونار يطابقها nēr وإن خالفتها فى المعنى فان معنى nēr فى العبرية النور . وعلى فى العبرية ʿlē .. واما الحركات المقصورة فيظهر أنها كانت فى الأصل اثنتين لا ثلاث يعنى حركة كاملة هى الفتحة ، وحركة ناقصة أحيانا تشبه الكسرة وأحيانا تشبه الضمة ونحن نشاهد فى العربية آثارا كثيرة تدل على أن الكسرة والضمة لافرق بينهما فى الأصل معنى ووظيفة منها أن كثيرا من الأفعال ماضيها اما فعل أو فعل وقد يوجد فرق بين الصيغتين لكنه قليل الأهمية بالنسبة إلى الفرق بين فعل وفعل أو بين فعل وفعل .. وكثير من الأفعال مضارعه اما يفعل أو يفعل ولافرق بينهما اقل من الفرق بين فعل وفعل ..وأحيانا لا يقتصر

التطابق على الحركتين المقصورتين بل يتعداهما إلى الممدودتين . مثال ذلك أن فعل وفعول قريب بعضه من بعض

هذه هى الحالة فى اللغة العربية . ومقابلة سائر اللغات السامية تؤكد بالاستنتاج من العبرية وذلك خصلتان : إحداهما أن اللغة الحبشية فيها حركتان مقصورتان فقط هما الفتحة المقابلة للفتحة العربية والـ e المقابلة للكسرة والضمة والأخرى أن كثيرا من الكلمات التى وزنها فعل يقابله فى سائر اللغات السامية فعل وبالعكس . مثال ذلك أن البكر هو فى الأكدية bukru وفى العبرية b k̄ or وفى الآرامية bukrā وظل في الآرامية tullā والأكدية والعبرية توافقان العربية في أن الظل فيهما sel, sillu والبئر في الأكدية būru والآرامية توافق العربية فهو فيها berā وأما العبرية فيوجد فيها كلا الشكلين يعني b erʼ bōr والاسم في الأكدية sumu وفى الآرامية šmā أصلها šum والعبرية توافق العربية فهو فيها šēm وبالعكس قلب فى الأكدية libbu وفى العبرية lēb وفى الآرامية lebbā والأم في العبرية em وفى الآرمية emmā وهى فى الأكدية ummu كما هى فى العربية . ومن الغريب أن بعض القراء قرأوا أم فى القرآن الكريم حسب نطقها فى بعض اللهجات العربية العتيقة . والركبة ذكرنا أنها فى الأكدية birku وفى العبرية berek وهي فى الآرامية burkā بالضمة مثل العربية والظفر في الآرامية tep̄rā وفى العبرية يشتق منه كلمة sipporen وهى في الأكدية supru موافقة للعربية وقد يوجد فى العربية بالكسرة أيضا .. ومما يجب اعتباره أنه فى أكثر الكلمات المذكورة يلاحق الكسرة والضمة حرف شفهى كالباء في البكر والبئر واللب أو الفاء فى الظفر أو الميم في الأم والاسم وسنرجع الى هذه المسألة فيما بعد

وكأني بكم تتساءلون كيف يكون أصل حركتين متضادتين تضاد الكسر والضم حركة واحدة ؟ أجل أن اصلهما واحد وسأعرض لكم من النظريات الصوتية والمشاهدات فى اللغة العربية نفسها ما يثبت لكم صحة ذلك .. إن كل الاصوات صامتة كانت او صائتة جنسان : صوت ثبات وصوت انتقال . وذلك

أن الصوت إما أن يخرج وآلات النطق من اللسان والحنك والشفتين وغيرها ثابتة باقية فى وضعها أو يخرج وآلات النطق تمر وتنتقل وتتحرك من وضع إلى وضع . والأول هو الغالب على النطق ولو لم يكن كذلك لما أمكن فهم الكلام البتة . غير أنه لا بد من تداخل أصوات انتقالية فى الأصوات الثباتية . مثال ذلك أنه إذا نطقنا كلمة ماوجب ضرورة أن تكون الشفتان أولا مطبوقتين ثم مفتوحتين فلا بد من تحركهما وانتقالهما من وضع الانطباق إلى وضع الفتح فاذا نا لا نقطع النطق فى هذه الأثناء بل تظل الحنجرة مفتوحة والأوتار الصوتية مهتزة وسير الزفير متواصلا يخرج صوت أو أصوات أثناء ذلك الانتقال ضرورة وهى أصوات انتقالية غير أن مدة الانتقال قصيرة جدا بالنسبة إلى مدى الثبات قبله أثناء نطق الميم وبعده أثناء نطق الفتحة الممدودة . ولذلك لا ندرك أكثر الأصوات الانتقالية بالسمع

ولنرجع الآن إلى مسألة تطابق الكسرة والضمة فنقول إن الفتحة فى اللغات السامية كانت دائما حرفا ثباتيا فان آلات النطق كانت توضع فى وضع تعين لنطقها فهى حركة كاملة معينة وإن اختلفت أنواع نطقها اختلافا جزئيا ظاهرا . والكسرة والضمة كانتا حرفين انتقاليين ، فهما حركتان ناقصتان غير معينتين ليس بينهما فرق معلوم ثابت بل صوتهما تابع للحروف الصامتة السابقة والتالية لهما فى الكلمة ومما يؤكد ذلك ما ذكرناه من أن التردد بين الكسرة والضمة أكثره فى جوار حرف شفهى فيكون مبدأ انتقال أعضاء النطق أو منتهاه شبيها بمخرج الضمة الذى هو أيضا من الشفتين فيحتمل أن تكون الحركة الانتقالية ضمة تبعا لذلك الحرف الشفهي أو كسرة تبعا لمخرج الحرف الآخر الذى يلاصقه ومن هنا نتوجه إلى المسألة العملية وهى : هل يوجد فى اللغة العربية نطق للكسرة والضمة كالذى وصفناه آنفا ؟ فربما قال قائل إنه توجد حركة متوسطة بين الكسرة والضمة فيما ذكره النحويون والمقرئون من إشمام الكسرة بالضمة أو بالعكس في مثل قيل ورد أى rûdda,qûla بال u الفرنسية أو ال ü المانية فنقول هذا صحيح لاشك فيه غير أن هذه الحركة المتوسطة بين الكسرة والضمة ليست بحرف انتقالي بل هي حرف ثباتي ومخرجها معين فلا علاقة لها بمسألتنا

ومما يعيننا على حلها حقيقة أنا نشاهد فى بعض اللهجات العربية الدارجة مثل لهجة الشام أن الكسرة والضمة كثيرا ماتلفظان بغير مخرج قائم ثابت ، بل في أثناء انتقال أعضاء النطق من مخرج الحرف السابق لهما إلى مخرج الحرف التالى فهما لا كسرة ولا ضمة ولا ü بل أنواع من الصوت مضطربة مبهمة تؤثر على كيفيتها الحروف المجاورة لها وبناء الكلمة . مثال ذلك كلمة quds أى القدس فحركتها حركة لا نظير لها بين الحركات المعينة المحدودة الكاملة بل هى حركة ناقصة انتقالية

فيتضح مما بيناه أن عدد الحركات فى اللغة السامية الأم كان قليلا جدا فكانت الممدودة منها ثلاثا أو أربعا والمقصورة اثنتين . ومعنى ذلك عدد الحركات المتخالفة معني ووظيفة لا نطقا . فانا قد رأينا أن الحركة الناقصة الانتقالية كانت تقارب الضمة فى بعض الحالات والكسرة فى بعضها ولها مع ذلك أنواع لا تحصى ولا تحدد غير أنه لا فرق بينها فى المعنى والوظيفة ، والحركة الكاملة أى الفتحة لها أيضا أنواع من النطق متعددة فتراها أحيانا تقارب الـ e وأحيانا الـ o على حسب طبائع الحروف الصامتة المجاورة لها .. فهذا التنوع فى نطق الفتحة جنس من أجناس التشابه وهو من تشابه الحروف الصائتة للصامتة .. وقد يؤثر على نطق الفتحة عوامل غير المذكور . ونشاهد فى بعض اللهجات العربية مثل لهجة الشام أن أنواع نطق الفتحة متصلة بعضها ببعض لافارق بين اثنين منها وذلك أننا إذا ابتدأنا مثلا بكلمة تنطق الفتحة فيها e نحو telž أمكننا أن نجد كلمة أخرى يفترق نطق الفتحة فيها عنه فى الأولى فرقا لايكاد أن يدرك بالسمع وهلم جرا إلى أن نصل إلى الكلمات التى فيها نطق الفتحة مثل o نحو rotl والأرجح أن الحالة فى الفتحة وسائر الحركات كانت فى اللغة السامية مثل هذه .. فهذا من أهم خصائص اللغة السامية خلافا مثلا للغات الهندية والأيرانية والمغربية الموسومة بالـ indo-europeennes فانا نرى أمها التي اشتقت منها كانت تحتوى على خمس حركات مقصورة متخالفة وظيفة ومعنى . وكثير من بناتها أى اللغات الهندية والأيرانية والمغربية المستعملة اليوم يحتوي على أكثر من ذلك من الحركات المقصورة . والحركات

فى هذه اللغات لاتتصل بعضها ببعض كأنواع الفتحة فى لهجة الشام بل بين كل اثنتين منها فارق فنجد مثلا فى الأنكليزية كلمات bat,bet-but و إملاؤها الضمة ونطقها نوع من أنواع الفتحة ـ لايختلف بعضها عن بعض إلا بالحركة وترى الحركات متقاربة تقاربا بينا غير أن بين كل اثنتين فارقا فلا توجد كلمة في الأنكليزية حركتها بين حركتي bat,bet أو بين but,bat والكلمات المذكورة وإن تقاربت حركاتها فهى مختلفة فى المعنى اختلافا تاما فـ bet معناها الخاطرة ، bat معناها الوطواط ، but معناها لكن

والحركات الممدودة في اللغة السامية الأم عددها أكثر وتنوعها أقل منها فى الحركات المقصورة فالفتحة الممدودة دائما كانت قريبة من ā إلى غير ذلك . وأما اللغة العربية فالفتحة الممدودة على ماقاله النحويون والمقرئون كثيرا ما كانت تقارب حركة ē ونشاهد مثله في كثير من اللهجات الدارجة وهذا ماسموه إمالة الفتحة والألف نحو الكسرة أوالياء . والمقرئون وفوا الأمالة كل حقها مقتصرين على ماوجد منها فى قرآات القرآن الكريم والنحويون لم يوفقوا إلى ضبط حالاتها وتقييد قواعدها تماما وهم يناقضون المقرئين فى كثير من التفصيلات ونحن لا يمكننا ولا يلزمنا هنا تبيين كل ذلك بل نستغنى عنه بنظر عام .. فالأمالة جنسان الأول هو تنوع نطق الفتحة الممدودة تشبيها لها بالحروف المجاورة لها وبسائر حركات الكلمة وهو نظير ماذكرناه من تنوع نطق الفتحة المقصورة ومن هذا الجنس قل مايوجد من الأمالة فى اللهجات الدارجة أو أكثره ومنه أيضا ما أماله القراء البصريون وأشهرهم أبو عمرو وبعض الكوفيين والمدنيين كأمالة الألف الممدودة قبل راء مكسورة فى مثل أبصارهم وحمارك ، وهذا الباب واسع جدا والجنس الثاني وهو أهم الجنسين إمالة مالا داعى لأمالته فى الحروف المجاورة للفتحة الممالة ولا فى سائر حركات الكلمة ومن هذا الجنس ماأومأ إلى إمالته الأملاء وبالأخص رسم القرآن بياء تكون حرف المد بدل الألف نحو رمي ومن المهم أن الياء أثبت فى رسم القرآن قبل الضمائر أيضا نحو رميها والاملاء العادى أبدلها بالالف فى هذه الحالة فكانت رماها فنرى من رسم القرآن أن الفتحة

الممدودة كانت ممالة عند الحجازيين فى أواخر كثير من الكلمات نحو إلي وإحدي ورمى وما يشابهها فى أن لامه ياء ورماها إلى آخره . وقد ذكرنا قبل أن أصل الفتحة الممدودة فى علي وإحدى ومثلهما حركة ō وقد بينا أن الفتحة الممدودة في مثل رمى نشأت من اتحاد aja فى رمى فالأرجح أن الياء كانت أثرت في نطق الفتحتين المجاورتين لها وأمالتهما إلى الـ e فصارت الحركة المتحدة ē لا ā

فيتضح الآن أن لهجة الحجاز حافظت على كثير من الفتحات الممالة أى ē الموجودة فى اللغة السامية الأم ولم تبدلها بالفتحة الخالصة مع أكثر لهجات العرب ولم تحتفظ بها كلها فانا نري كلمتى جار ونار اللتين أصلهما gēr , nēr ترسمان بالألف لا بالياء . والقراء منهم من تبع الرسم فى إمالة الفتحات المرسومة بالياء أو الكثير منها ومنهم من أهمله ولم يمل تلك الفتحات ، والأول هو الحال عند الكوفيين خاصة ماعدا عاصما ولهذا السبب لا تمال الألف في قراءة القرآن الكريم السائدة اليوم فى المشرق وهى قراءة حفص عن عاصم إلا فى قليل من الحالات .. ومن القراء من يميل بعض ماهو مرسوم بالألف أيضا من هذا الجنس من ذلك أن حمزة أمال الفتحة فى مثل جاء وزاد وشاء التى عينها ياء وفى خاف التى عينها واو غير أنها تشبه ذوات الياء فى أن صيغة المتكلم منها خفت على وزن زدت فربما كانت الفتحة الممدودة فى زاد وأمثالها متحدة aja كما هى فى رمى فأصلها ē لا ā ومما يؤكد هذا الرأى أن بعض المصاحف المكية كان رسم فيها جيا بدل جا على مارواه المقرئون فاذا كان الأمر كذلك لزمنا أن نفرض أنه فى لهجة الحجاز المتبعة فى رسم القرآن كانت حركة ō العتيقة سالمة على حالها فى أواخر الكلمات مبدلة من الفتحة الخالصة فى أواسطها وأن لهجة مكة خاصة وبعض لهجات غيرها كانت تحافظ على ē في أواسط الكلمات أيضا

وأكثر تغيرات الحروف الصائتة الواقعة فى اللغة العربية غير المذكورة إلي الآن اتفاقية وليس فيها إلا قليل من المطردة فبقيت الحركات السامية على العموم سالمة على حالها فى اللغة العربية إلا أن الحركة القصيرة الناقصة الانتقالية صارت حركتين كاملتين فى كثير من اللهجات العربية فهى بعضها ضمة وبعضها

كسرة .. وأما التغيرات للحروف الصائتة فهى في الممدودة التقصير وفي المقصورة الأبدال والحذف والزيادة فلا يوجد فى العربية إبدال للحركات الممدودة إلا نادرا جدا إذا صرفنا نظرنا عن الأمالة المذكورة آنفا ولا يوجد مد للحركات المقصورة إلا نادرا أيضا ـ والأبدال هو انقلاب مخرج الحركة ـ فللحروف الصائتة مخارج مثل مخارج الحروف الصامتة غير أن تحديدها وتمييزها مشكل ولا تمس الحاجة الي الكلام عنها هنا .. والمد والتقصير والحذف والزيادة كلها تغيير المدة التى يشغلها نطق الحركة . أما الأبدال فأهم أنواعه التشابه وهو جنسان : تشابه الحركة لحركة أخرى أو تشابهها لحرف صامت ، والأول لابد أن يكون منفصلا لأن بين الحركتين حرفا صامتا فارقا بينهما مثال ذلك منذ أصلها من ذو ومنخل أصلها منخل فهى من أسماء الآلة التى ميمها مكسورة دائما وسنين جمع سنة بدل سنين وعصى جمع عصا بدل عصى على وزن فعول فأصبحت العين مكسورة تبعا لكسر الصاد التى سنذكرها بعد . وكثيرا مايكون الحرف الفارق بين الحركتين حرفا حلقيا نحو امرىء وامرؤ بدل امرىء وامرؤ ونعم وبئس أصلهما نعم وبئس على وزن فعل وأشهر مثال لذلك ضمير الغائب المتصل الذى تقلب ضمته كسرة بعد كسرة أو ياء ساكنة نحو به وفيه وعليه وبهم وفيهم وعليهم وهذا من التشابه المقبل وماذكر قبله من سنين وامرىء ونعم الى آخره من التشابه المدبر . ومن أنواع هذا الجنس من التشابه مطرد وقانونه الصوتى أن كل فعلول وفعليل صار فعلولا وفعليلا فى اللغة الفصحى وكثير من اللهجات احتفظت بفعلول وفعليل مثال ذلك تلميذ وهومعرب من talmīdā الآرامية وجمهور أصله جمهور . غير أنه في صيغتي مفعول وتفعيل إذاكانت مصدرا لم تنقلب الفتحة ضمة أو كسرة .. وتشابه الحركة لحرف صامت نوعان : فالحرف إما أن يكون حرفا حلقيا أو من شبه الحركات أى واوا أو ياء . ومن هذا الباب بعض إبدالات مطردة منها أن مضارع الأفعال التي لامها حرف حلقى دائما على وزن يفعل لايفعل ولا يفعل نحو فتح يفتح وكان ينبغى أن تكون يفتح أو يفتح كمضارع سائر الأفعال التى ماضيها على فعل وسبب الميل الى الفتحة أن اللسان فى نطق

الحروف الحلقية يجذب إلى وراء مع بسط وتسطيح له وهذا عين وضعه فى نطق الفتحة . وإذا قال قائل ما السبب فى أنهم مالوا إلى الفتحة في مضارع فعل خاصة وليس فى سائر أبنية الفعل والاسم ؟ فالجواب: أما الفرق بين مثل يفتح ومثل يفتح إلى آخره فهو أن يفتح أقدم بكثير من سائر المضارعات وهى ترتقى إلى أول طور تكون اللغات السامية ، وكان القياس ليس بقوى بعد فى ذلك العهد ونشاهد آثار ذلك فى أن الأفعال متنوعة تنوعا زائدا فى بنائها : منها ما ماضيه بالفتحة ومضارعه بالفتحة أو بالكسرة أو بهما إلى آخره فغلب فى مثل يفتح التشابه الصوتى على القياس في اللغة السامية الأم وبقى كذلك فى أكثر اللغات السامية والعربية معها وإن وجد بينها شواذ قليلة فيفتح فى الأكدية ipte أصله iip:ah وفى العبرية iiptah وفى الآرامية neptah وفى الحبشية ieftah ومثل يفتح أحدث بكثير وكل أمثاله بنيت على قياس واحد نغلب فيها القياس على التشابه الصوتى . وأما الفرق بين مثل يفتح ومثل وسع أو فاتح فهو أن المضارع كان فى الأصل مجزوما ثم زيد اليه فى العربية الضمة في الرفع والفتحة فى النصب . والماضى آخره مفتوح من زمان قديم جدا والأسماء لا تكون أواخرها مجزومة أبدا إلا فى الوقف فكانت الحركة في مثل يفتح تجاور الحرف الحلقى فى مقطع واحد وهما فى مثل وسع وفاتح من مقطعين fa-ti-hun فهذا الجوار أقل اتصال من الأول فلم يؤثر فيه الحرف الحلقى على الحركة تأثيره فى الحالة الأولى . وأما الأفعال التى عينها حرف حلقى فتأثيره فى الحركة التالية له وتقليبه إياها فتحة اتفاقى نادر بالنسبة . منه فى المضارع يضع ويهب ينبغي أن تكون قد كانت يهب ويضع ، لأن الواو فى الأفعال التى فاؤها واو حذفت فيها مضارعه بالكسرة فقط ولم تحذف في مثل يوجل ومن ذلك فى الماضى سأل ورأى اللتان مضارعهما بالفتحة أيضا أى يسأل ويري ، فلا بد من أن تكون الحركة أبدلت فى أحد منهما أى من الماضى والمضارع . ومما يدلنا على أيهما هو ، أنا نرى سأل يقابلها فى العبرية sa el وفى الآرامية sel ورأى يقابلها فى الحبشية re'eia وزد على ذلك أن سمع ماضيها بالكسرة ، فالأفعال المذكورة أى سمع ورأى وسأل وعدد قليل غير هذه هى

مجموعة في نفسها ، وجبة الالتفات ، فهي وإن كانت متعدية شبهت بالأفعال اللازمة وبنيت على فعل يفعل رعاية لأن الادراك بالحواس والاستخبار ليس بعمل وفعل بل هو تأثر وانطباع .. فهذا أول نوعي تشابه الحركة لحرف صامت اختياري وثانيهما تشابه الضمة لياء بعدها وقلبها كسرة ، وهذا الابدال من المطردة ومثاله من الضمة الممدودة رمى بدل رموى وعصى بدل عصوى . ومن الضمة المقصورة أدل جمع دلو على وزن أفعل فكان يلزم أن يكون أدلو وقد ذكرنا آنفا إبدال الواو بالياء فصار أدلي ثم شبهت الضمة بالياء فأصبح أدلي ثم اتحد المقطعان الآخران فنتج أدل

الى هنا تكلمنا عن إبدال الحركات ونوجه نظرنا الآن الى تقصير الحركات الممدودة فهو مطرد قبل حرف ساكن مثال ذلك رمت أصلها ramaiat فكان ينبغي أن تكون ramat بالفتحة الممدودة فقصرت ورام أصلها ramiiin فاتحدت الحركتان فأصبحت ramin ثم رام .. ويقتضي هذا القانون الصوتي ينطق مثلا في البيت بالكسرة المقصورة والاملاء يحافظ على الياء تبعا لأصل الكلمة . وهذا القانون قديم سائد في أكثر اللغات السامية والشواذ منه قليلة في اللغة العربية ، منها الفاعل من الأفعال المضاعفة نحو دال .. ومن الغريب أن التقصير قد يتعدى الحركات الممدودة البسيطة الى المتركبتين أي diphthongues وهما الفتحة مع الكسرة يعني ai أو مع الضمة يعني au فالفتحة مركز المقطع والكسرة أو الضمة طرفه الأخير ولذلك تكتب بالواو أو الياء . فمثال تقصير الحركة المتركبة لست فأصلها ليست من ليس فقصرت الـ ai لأجل الساكن بعدها وأصبحت فتحة مقصورة وأكثر أنواع تقصير الحركات الممدودة اتفاقي . منه تقصيرها في أواخر الكلمات فانا نري الحركة الممدودة الانتهائية في بعضها قد تحافظ على الامتداد نحو عما وفيما ولما . وقد تقصر نحو بم وفيم ولم . وقد يحذف نحو كم أصلها كما . وفي بعضها تقصر أو تحذف نحو أنتم وهم وأمثالهما فهي مجزومة وإذا وقعت قبل ألف الوصل فمضمومة على أصلها نحو هم المفلحون .. وبعض الحركات الانتهائية الممدودة في الأصل يكتب دائما بحرف المد نحو على ورمى وغزا ومعي وفيها وفعلنا الخ

وكلمة أنا ليست من هذا القبيل ، فالألف فيها زائدة لا تشير الى مد الحركة وهى في الشعر العتيق تكاد أن تكون مقصورة دائما . وبعض الحركات الانتهائية الممدودة في الأصل يكتب أبدا بغير حرف مد نحو فيه وله وأنت . فالحركة الأخيرة فى هذه الكلمات كلها كانت ممدودة في الأصل ونعرف ذلك من مقابلة سائر اللغات السامية فضمير ـه يقابله $\check{s}\bar{u}$ فى الأكدية و $h\bar{u}$ – فى الحبشية . وأنت فى العبرية $\bar{a}tt\bar{a}$ وأنتم فى الحبشية $\bar{a}ntemm\bar{u}$ إلى آخر ذلك .. والأرجح أن كل الحركات الممدودة الانتهائية كانت تقصر فى اللغة السامية الأم فى بعض المواضع ولا نعرف فى أيها ، وهذا من قواعد الوصل وهى تؤثر فى اللغات السامية وخصوصا فى العبرية تأثيرا زائدا . واللغات الهندية والايرانية والغربية ليس لأكثرها قواعد مثلهما ماعدا اللغة الهندية العتيقة يعني Sanskrit فقواعد الوصل فيها أكثر تأثيرا منها فى غيرها حتى اللغة العربية أيضا ولذلك استعار الألسنيون لتأدية معنى الوصل الاصطلاح الهندى : هو sandhi أى تركيب .. وقد يوجد فى اللغة العربية أثر من تبادل مد الحركات الانتهائية وقصرها وهو أن ضمير الغائب المتصل أى ـه أو ـه وإن كتب بغير حرف مد فكثيرا ما ينطق بالضمة أو الكسرة الممدودتين حسب ماقاله النحويون والمقرئون ولزم في قولهم المد إذا كان المقطع السابق مقصورا أى لا يحتوى إلا على حرف متحرك بحركة مقصورة فقط ، فلزم نطق مثل له وبه بالحركة الممدودة ، وأما مثل إياه وفيه وعليه فجاز فيه المد والقصر . والقصر أكثر استعمالا . ومثل ضمير الغائب كلمة هذه فالكسرة الانتهائية فيها دائما ممدودة ، وسبب حذف حرف المد في إملائها كلها أنها فى الوقف مجزومة نحو له وبه وهذه ، والاملاء العربى دائما يتبع حالة الوقف والابتداء لا الوصل .. والقاعدة المذكورة لها أساس وزنى rhythmique يشاكل أوزان الشعر وذلك أن تتابع المقطعين الممدودين ليس بمقبول للسمع في بعض الأوقات فاجتنبوه ، ومن ذلك أنهم قالوا قتال فى مصدر قاتل وكان الأولي أن يكون قيتالا لامتداد الحركة الأولى فى قاتل فقصروها لكى لا يتتابع الممدودان ، ومنه أيضا رضيع بمعني مراضع وحليف بمعنى محالف وما يشبههما ، فكان الأولي أن تكون راضيع وحاليف تبعا لامتداد

الفتحة في راضع وحالف، ومنه تراث بدل taurat وتجاه بدل taugah على وزن تفعال وهذا من تقصير الحركة المركبة.

هذه هي حالة الحركات الممدودة الانتهائية في الأملاء العادي وأما في رسم القرآن فكثيرا ماتحذف الياء الدالة على الكسرة الممدودة في أواخر الكلمات ضميرا كانت أو غيرها نحو يقوم ودعان والداع ويوم يات، وذلك يدل على أن الكسرة الممدودة الانتهائية كانت تقصر في لهجة الحجاز في كثير من الحالات

وحذف الحركات قليل في اللغة العربية منه ماذكرناه من حذف الحركة الأصلية في ابن واسم، وحذف الحركة الثانية في نعم وبئس بدل نعم وبئس ويوازي ذلك الكرش بدل الكرش والسرقه بدل السرقه والمعدة بدل المعدة وقد تحذف الحركة الثانية من فعل بغير قلب الأولى كسرة نحو كبد بدل كبدوهو كبد أيضا ونفس بدل نفس فهي في العربية دائما بالحذف وكذا في العبرية nepes بدل naps غير أنها في الأكدية على الصورة الأصلية وهى napistu بتاء التأنيث وقد تحذف حركة بين حرفين متماثلين أو متشابهين فيدغمان وهذا ماسماه المقرئون الأدغام الكبير، ويقع أحيانا في وسط كلمة واحدة وأحيانا بين كلمتين مثال الأول من المثلين مكني بدل مكنني وتامنا بدل تامننا وهما في القرآن الكريم وإنا بدل إننا ونعما بدل نعم ما. ومن الشبهين يذكر بدل يتذكر وأمثاله في القرآن الكريم كثيرة. وقد يحذف مع الحركة همزة قبلها نحو الله بدل ألأله والناس بدل الأناس. فأصل حذف الهمزة هاهنا في التعريف ثم نقل الى التنكير أيضا فقالوا ناس بدل أناس.. والأدغام الكبير بين الكلمتين كثير في قراءة أبي عمرو وغيره مثال ذلك يشفع عنده بدل يشفع عنده

والنوع الآخر من أنواع تغيرات الحروف الصائتة وهو الزيادة فنادر أيضا في العربية منه أن أكثر الأسماء التي وزنها فعل قد تكون على فعل أيضا، نحو أذن وأذن وهى في الأكدية uznu وفي العبرية ozen أصلها uzn فنرى من ذلك أن أذن بالذال الساكنة هى الأصل وأن أذن المتحركة مقلوبة منها.

ومن الزيادة زيادة فتحة بعد عين بعض الأسماء التي وزنها فعل أو فعل

إذا كان أحد الحرفين الأخيرين حلقيا أو صوتيا محضا نحو طاب مصدر طلب فانا نري الماضى بالفتحة والمضارع بالضمة فـكان ينبغي أن يكون المصدر على وزن فعل لافعل .. ومن الزيادة زيادة حركة بعد حرفين ساكنين فى آخر الـكلمة نحو عر أو عد في المضارع المجزوم من الأفعال المضاعفة وزيادة حركة بعد حرف ساكن في آخر الـكلمة إذا تبعته همزة الوصل نحو عن البيت وزيد الطويل وهتان القاعدان مطردتان وسائر أنواع زيادة الحركة اتفاقية

هذا ما يخصنا من أحوال الحروف الصائتة ونلحق به ملاحظتين لاتحتاجان الى باب على حدته — : أولاهما فى الترخيم . والثانية فى الضغط .. أما الترخيم وهو اختصار الـكلمة وحذف أكثر من حركة واحدة منها فقد ذكر النحويون كثيرا منه وخصوصا فى النداء نحو ياحار بدل ياحارث ، فالنداء وما يشاكله من الأمر والسؤال والتحية والقسم واللعن كثيرا ما يختلف عن سائر الـكلام بأنه لاينطق مثله بل ينادى ويصاح به فيتغير تغيرات لاتوجد في سائر الـكلام ، منها الترخيم الزائد ، مثاله من السؤال أين بدل أى شى ، ومن التحية عم صباحا وزعموا أن أصلها إنعم صباحا ، ومن القسم م الله وزعموا أن أصلها أيمن الله وربما كان أصل التاء فى تالله أيضا كلمة رخمت فلم يبق منها إلا حرف واحد .. ومن الترخيم ماهو جنس من التخالف ، وهو حذف أحد مقطعين متتالبين أولهما حرفان مثلان أو شبهان نحو تذكرون بدل تتذكرون ، وأمثال ذلك فى القرآن عديدة ، ويقتلونى بدل يقتلوننى واسطال بدل استطال واسطاع بدل استطاع وبلحارث بدل بنو الحارث وأيم الله بدل أيمن الله .. ونوع آخر من الترخيم اختصار كلمة سوف قبل المضارع بس والداعى إليه أن سوف كانت اسما معناه النهاية والغاية و saupa بالآرامية فى هذا المعنى فصارت أداة بعد أن كانت اسما فرخمت مع حط درجتها ومثله كثير فى تاريخ اللغات .. هذه هى الملاحظة الأولى أما الثانية فتدور على الضغط والنغمة وهذه مسألة مشكلة صعبة ؛ فكل لغة لها نغمة خاصة بها وذلك أن مقاطع الـكلام تختلف فى ألحانها الموسقية ، فمنها ماهو عال ومنها ماهو وطىء تتدرج بين تلك الغايتين . وأيضا منها فى أكثر اللغات ما يرتفع فى أثنائه اللحن

ومنها ما ينحدر فانا وإن لم نغن عند النطق العادى للكلمات فكل كلام يمازجه شيء من الغناء وهو كثير فى بعض اللغات وقليل في بعضها. مثال الأول الصينية ومثالها أيضا بعض اللهجات الألمانية فيقولون فيها مثلا nun sag mal, warum bist du denn nicht eher gekommen ? أى يا للعجب لماذا ما جئت قبل هذا. فنجد الألحان العالية تؤثر على السمع تأثيرا أكثر من الوطيئة، فتقدر اللغة أن تميز بين أجزاء الكلام المهمة وغيرها برفع اللحن فى الأجزاء المهمة. وبعض اللغات تكتفى بذلك منها الفرنسية فتتابع المقاطع فيها على سوية كأنها تنظم مثل خرزات السبحة. وبعض اللغات تضيف الى النغمة التي وصفناها الضغط يعنى أنها تفرق بين المقاطع والكلمات بمقدار القوة التي تنطق بها أيضا . فبعض المقاطع قوى كأنه يصاح به وبعضها ضعيف كأنه يهو به، وكل كلمة حد مقاطعها أقوى من الباقي فيكون هو المضغوط وصاحب ضغط الكلمة . وكل جملة إحدى كلماتها أقوي من الباقى فتكون هى المضوطة وصاحبة ضغط الجملة . .

ومن هذا الضرب من اللغات، اللغة الانجليزية والألمانية فاذا قابلنا مثلا جملة لم أره اليوم فى اللغات الثلاث المذكورة اتضح الفرق فهى فى الانكليزية I hane not seen him to-day وفى الألمانية Ich habe ihn heúte nicht geséhen فنجد أقوى المقاطع فى الأولي seen وفى الثانية seh ونسمه بـ أى accent aigu ويتبعه فى القوة فى الأولى day وفي الثانية heu ونسمه بـ أى accent grave والجملة فى الفرنسية je ne l'ai pas vu aujourd' hui فكل مقطع يكاد أن يكون مثل صاحبه فانه وإن ازدادت القوة قليلا الى آخر الجملة فالفرق في القوة بين المقاطع قليل أقل بكثير منه في اللغات الأخرى، والازدياد يتدرج لا تضاد بين المقاطع مثل ما يوجد فى تلك

والآن بعد هذه توطئة العامة نوجه نظرنا الى اللغة العربية خاصة فنتعجب كل العجب من أن النحويين والمقرئين القدماء لم يذكروا النغمة ولا الضغط أصلا غير أن أهل الأداء والتجويد خاصة رمزوا الى ما يشبه النغمة ولا يفيدنا ما قالوه شيئا، فلا نص نستند عليه فى إجابة مسألة كيف كان حال العربية الفصيحة فى هذا الشأن. ومما يتضح من اللغة العربية نفسها ومن وزن شعرها أن الضغط

لم يوجد فيها أولم يكد يوجد . وذلك أن اللغات الضاغطة كثيرا فيها حذف الحركات الغير المضغوطة وتقصيرها وتضعيفها ومد الحركات المضغوطة وقد رأينا أن كل ذلك نادر في اللغة العربية . وإذا نظرنا إلى اللهجات العربية الدارجة وجدنا فيها كلها فيما أعرف الضغط وهو فى بعضها قوى وفى بعضها متوسط غير أنها تتخالف فى موضعه من الكلمة فى كثير من الحالات ، فمن المعلوم أن المصريين يضغطون فى مثل مطبعه المقطع الثانى وغيرهم يضغطون الأول فلو أن الضغط كان قويا فى الزمان العتيق لكانت اللهجات على أغلب الاحتمال حافظت على موضعه من الكلمة ولم تنقله من مقطع إلى مقطع آخر . وأما وزن الشعر فيراعى فيه مدة المقطع فقط أهو مقصور أم ممدود ؟ خلافا للشعرين الأنكليزى والألماني فانه لارعاية فيهما لمدة المقطع بل للضغط فقط

هذا ما يمكن استخراجه فى خصوص الضغط فى اللغة العربية وأما النغمة فلا نعلم فى خصوصها شيئا أصلا

# الباب الثانى

## فى الأبنيـة

---

نقسم هذا الباب الى ثلاثة أقسام .. الأول فى الضمائر وما جانسها من الأسماء أى أسماء الأشارة والاستفهام . والثانى فى الأفعال . والثالث فى الأسماء الباقية

أما الضمائر فمنها منفصلة نحو أنا . ومتصلة وهي إما أن تدل على الرفع نحو فعلت وأفعل فالحروف الزوائد فى المضارع من الضمائر أيضا . أو تدل على الجر نحو كتابى ، أو على النصب نحو ضربني .. ومن جهة الأصل والاشتقاق فهى ثلاثة أنواع : الأول يحتوى على ضمائر المتكلم والمخاطب المنفصلة وعلى المتصلة المرفوعة . والثانى عليها مجرورة ومنصوبة . والثالث على ضمائر الغائب .. أما النوع الأول فهذا جدول مايوجد منه العربية

| | المنفصل | المتصل المرفوع فى الماضى | المتصل المرفوع فى المضارع |
|---|---|---|---|
| المتكلم المفرد | أنا | ت | أ |
| « الجمع | نحن | نا | نـ |
| المخاطب المفرد المذكر | أنت | ت | تـ |
| « « المؤنث | أنت | ت | تـ ... ى |
| « المجموع المذكر | أنتم | تم | تـ ... وا |
| « « المؤنث | أنتن | تن | تـ ... ـن |
| « المثنى | أنتما | تما | تـ ... ـا |

وقد ذكرنا أن الضمائر المنفصلة المخاطب مركبة من المتصلة المستعملة فى الماضى ومن مقطع أن وهو يحتمل أن يكون من أدوات الأشارة . وضمير المتكلم المفرد مركب من أن ʾan عينها ومن الضمير المتصل المستعمل فى المضارع أى ʾa أو ʾu وذلك أن الحرف الزائد فى المضارع هو فى المتكلم الجموع وفى المخاطب عين الحرف الموجود فى الضمير المتصل من الماضى ، يعني النون فى المتكلم المجموع والتاء فى المخاطب .. وفى المتكلم المفرد يتخالف الضميران المتصلان أحدهما الهمزة والآخر التاء المضمومة وفى بعض اللغات السامية نرى ضمير المتكلم المفرد المنفصل يجمع بين الضميرين المتصلين فهو فى الأكدية ʾanaku أصله ʾan + ʾa + ku وفى العبرية ʾanoki والفرق بينهما الضمة في الأكدية موافقة للعربية والكسرة فى العبرية والضمة هى الأصل والكسرة مأخوذة من الضمير المتصل المجرور أى i في مثل كتابى .. ونشاهد تخالفا بين الضميرين الأكدى والعبرى وبين الضمير العربي هو أن حرف الضمير فى هتين اللغتين هو الكاف وفى العربية التاء والكاف هى الأصل ويدلنا على ذلك الاحتجاج الآتى : لو كانت التاء هى الأصل لكنا نضطر أن نفترض أنها قلبت كافا فى بعض اللغات السامية بغير علة ظاهرة مفهومة وبالعكس إذا كانت الكاف هى الأصل فهمنا سبب إبدالها تاء بسهولة وهو أن التاء موجودة فى المخاطب فأدخلوها إلى المتكلم أيضا على قياس المخاطب ، ومما يؤكد

ذلك أن الكاف سالمة على حالها فى بعض اللغات السامية ، فالأكدية ذكرنا أن الضمير المنفصل فيها anaku والمتصل هو ku – ، والعبرية وإن كان الضمير المتصل فيها ti – فالمنفصل anoki كما قلنا . والحبشية المتصل فيها ku – والاحتجاج المذكور يدل على قاعدة مهمة وهى أن الاختلاف في حياة اللسان أقدم من الاتفاق فى أكثر الحالات . مثاله ماذكرناه من أن التخالف فى الحروف بين الضمائر المتصلة أى أن المتكلم بالكاف والمخاطب بالتاء أقدم من توافقهما أى أن كليهما بالتاء .

وأما المتكلم المجموع فنجده مبنيا على غير صيغة الضمائر المنفصلة الباقية تماما . وحركة أول نونية كانت فى الأصل كسرة لافتحة فنجده في الأكدية ninu أصلها nihnu وفى الحبشية nehna . وإبدال الكسرة بالفتحة فيها التشابه الحركة للحرف الحلقى وقد ذكرنا مثله عند التكلم على الحروف الصائتة .. والمتكلم المجموع أى نحن يختلف عن مفرده أى أنا اختلافا تاما وليس بينهما شىء من العلاقة التى تعودنا أن نجدها بين الجمع ومفرده ، ولذلك سبب واضح فانا وإن عبرنا عن الصيغتين بالمفرد والمجموع فالنسبة بينهما ليست فى الحقيقة نسبة جمع الى مفرده فالجمع متكون من أفراد متساوية أو متشابهة نحو البيوت التى كل واحد منها بيت ولكن المتكلم المجموع أى نحن ليس يتكون من أفراد متساوية كل واحد منها متكلم مفرد أى أنا ، ألم تروا أن ( نحن ) لم تكن عبارة عن ( أنا وأنا وأنا ) بل عن ( أنا وأنت ) أو ( أنا وأنت وهو ) الى آخره ولهذا السبب اشتق كثير من اللغات ضميرى المتكلم المفرد والمجموع من مادتين مختلفين منها اللغات الهندية والايرانية والغربية مثاله nos,ego فى اللاتينية و hemeis , ego في اليونانية .. والمخاطب جمعه مشتق من مفرده بزيادة ميم فى المذكر ونون مشددة مفتوحة فى المؤنث ، والميم مجزومة على العادة لكنها كانت فى الأصل مضمومة كما قلنا آنفا . وإذا صارت الميم الانتهائية وسطية بالحاق ضمير بها عادت مضمومة والضمة ممدودة لأنه فى وسط الكلمة لاداعي إلى تقصير الحركة أو حذفها نحو قتلتموه ونشاهد مثله فى المخاطب المؤنث المفرد فقد يكون قتلتيه وقد يكون قتلته والمد

هو الأصل والقصر مأخوذ من قتلت بغير الضمير الملحق وفى قتلته وقتلتِه غلب القصر على المد عاما . وأما حركة التاء فى المخاطب المجموع فهى ضمة فى المذكر منه والمؤنث وكانت فى الأصل كسرة فى المونث كما هى فى الأكدية والأرامية فالمذكر فى الأكدية ʾattunu والمؤنث ʾattina والمذكر فى الأرامية ʾatton والمؤنث ʾatten فكان ههنا أيضا الاختلاف أقدم من الاتفاق والكسرة فى ʾattinna هى عين الكسرة فى أنت مفرد أنتن وفى المضارع والأمر نحو تفعلين وتفعلى وافعلى ،،

فبقي المخاطب المثنى وهو مشتق من المجموع بالحاق فتحة ممدودة وهى علامة التثنية فيهما ai لا a . ولأن المخاطب المثني مشتق من المجموع وضعناه بعده فى الجدول ويتضح من ذلك أنه حديث بالنسبة الى سائر الضمائر ولا يوجد فى إحدى اللغات السامية غير العربية فاخترعته هى . والعرب كانوا يستحبون التثنية أكثر من سائر الساميين ويستعملونها استعمالا أوسع منهم

ولنوجه نظرنا الآن الى النوع الثانى من الضمائر وهى المتصلة المجرورة والمنصوبة ولا فرق بين القسمين إلا فى المتكلم المفرد فالجر فيه i أو ِ والنصب ni ونادرا نى . فهي :

| | متكلم | | مخاطب | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | مفرد | مجموع | مفرد | | مجموع | | مثنى |
| | | | مذكر | مؤنث | مذكر | مؤنث | |
| جر | ى i أو ى ia | نا | ك | ك | كم | كن | كما |
| نصب | نى ni أو نى niia | | | | | | |

فمادتها غير مادة النوع الأول إلا فى المتكلم المجموع ، وعلامات الجمع والتثنية فى هذه مثلها فى تلك

وضمائر الغائب التي هو النوع الثالث من الضمائر موضعها الحقيقى بين الضمائر وبين أسماء الأشارة ، تشارك الضمائر فى الأنقسام الى منفصلة ومتصلة ، مرفوعة ومجرورة ومنصوبة ، وتشارك أسماء الأشارة فى أنه يكنى بها عن الأسماء .

أمثال ذلك أني إذا سئلت أين زيد ؟ أمكنني أن أجيب هو في البيت بدل زيد في البيت فأكني بالضمير عن الأسم . والكناية قريبة من الأشارة ومشتقة منها ومما يدل على ذلك أن hu العبرية المطابقة لهو العربية معناها ذلك في كثير من الحالات . وضمائر المتكلم والمخاطب تفيد معاني خاصة بها مستقلة لا يكنى بها عن شيء آخر من الأسماء كما ظنه القدماء . فالكلام من طبيعته وجوهره أنه كلام متكلم فـ ( أنا ) المتكلم أصل كل كلام ومنبعه وأقدم منه . والمتكلم لا يكلم نفسه في الأصل بل مخاطبا فـ ( أنت ) المخاطب أصل ثان ومنبع للكلام أقدم منه أيضا . فاذا سئلت أين أنت ؟ وأجبت ، أنا في البيت لم يكن السائل بـ ( أنت ) عن اسمي ، ولا كنيت أنا بـ ( أنا ) عن اسمي أيضا . فلو سأل أين عمرو ؟ ونفرض أن اسمي عمرو لكان المخاطب ليس إياي بل غيري وأنا الغائب . ولو أجبت عمرو في البيت لكنت لا أتكلم عن نفسي بل عن غيري اسمه عمرو أيضا . . فالخلاصة أن ضمائر الغائب نوع بنفسه بين الضمائر وبين أسماء الأشارة . وهذا جدول ضمائر الغائب في العربية

| | المفرد | | المجموع | | المثنى | |
|---|---|---|---|---|---|---|
| | المذكر | المؤنث | المذكر | المؤنث | المذكر | المؤنث |
| المنفصل | هو | هى | هم | هن | هما | |
| المتصل المجرور والمنصوب | ـه | ها | | | | |
| المتصل المرفوع في المضارع | يـ | تـ | يـ | | يـ | تـ |

فاذا قابلنا هذا الجدول بالجدولين السابقين عثرنا على فرقين بين بنية ضمائر المتكلم والمخاطب وبين بنية ضمائر الغائب . أولهما أن المنفصلة من هذا ليست مركبة من المتصلة ومقطع أن . والثاني أنه لا يوجد في الغائب ضمائر متصلة مرفوعة خاصة بالماضي . فان قال قائل ، فأذا ماذا تكون الفتحة في فعل والتاء في فعلت وفعلتا ، والفتحة الممدودة فيها وفي فعلا ، والضمة الممدودة في فعلوا ، والنون في فعلن ؟ قلنا له أما الفتحة الأنتهائية في فعل فأصلها مجهول ومعناها غامض ومع

ذلك يتضح كل الاتضاح أن لا علاقة بينها وبين هو أو ـه . وأما سائر الحروف المذكورة فبعضها علامة المؤنث وبعضها علامة للتثنية وبعضها علامة للجمع وليس فيها ضمير . وذلك أن التاء في فعلت وفعلتا هى عين تاء التأنيث المستعملة فى الأسماء وليس بينهما فرق إلا أنه فى الأسماء يلحق بالتاء الأعراب والتنوين (فاعلة) ويوقف عليها بالهاء . والفتحة الممدودة فى فعلا وفعلتا هى علامة التثنية المعروفة وهى مستعملة في المضارع والأمر أيضا نحو لم يفعلا ولا تفعلا ، وفى الرفع تلحق بها النون المكسورة نحو تفعلان مثل ماتلحق بتثنية الاسم غير المضاف نحو فاعلان. والضمة الممدودة فى فعلوا هى عين علامة الجمع الصحيح فى مثل ضاربو زيد . وتوجد فى المضارع وفى الأمر أيضا ، وفى المضارع المرفوع يضاف إليها النون فصارت يفعلون طبقا لـ ضاربون . فبقيت النون فى فعلن ولاقيها أيضا فى الأمر نحو افعلن وفى المضارع نحو يفعلن وتفعلن ، فيتشارك فيها المخاطب والغائب فلا يحتمل أن تكون ضميرا بل لابد من كونها علامة المؤنث المجموع . وإذا اطلعنا على الحرفين الزائدين الخاصين بالغائب في المضارع لاحظنا أحدهما وهو التاء لا علاقة له مع سائر ضمائر الغائب وربما كانت التاء علامة للتأنيث . وأما الياء فيمكن أن تكون ضميرا في الحقيقة . وأما المنفصلة والمتصلة المجرورة أو المنصوبة من ضمائر الغائب فكلها يبدأ بالهاء وهذه الحالة أيضا من الاتفاق الحديث الذى قام مقام اختلاف قديم نشاهد آثاره فى بعض اللغات السامية وخصوصا فى المهرية فضمائر الغائب فيها he هو ، si هى ، hem هم ، sen هن فحرف المذكر هو الهاء كما هى فى العربية وحرف المؤنث هو السين المقابلة للشين فى اللغات السامية الشمالية . ولم يحافظ على الشين لغة من اللغات السامية الشمالية إلا الأكدية ، وهذه أشاعتها ونقلتها الي المذكر أيضا بدل الهاء فصارت الضمائر فيها šū هو ، šī هى ، šunū هم ، šinā هن .. والمفرد من ضمائر الغائب هو فى العبرية وفى أقدم المستندات الآرامية הוא היא أى hū و hī غير أن آخره فى الأملاء الف تدل على همزة قد سقطت فنستنتج من ذلك أن الأصل كان hūʾa و hīʾa أو بالأحرى šīʾa وأن الهمزة حذفت في العربية وأبدلت واوا في المذكر وياء

في المؤنث ، ولا شك في أن ذلك الأبدال كان في زمن قديم جدا أقدم من زمان سائر تخفيفات الهمز في اللهجات العربية بكثير فانا لا نجد للهمز أثرا في العربية أصلا . فينبغي أن يكون قد سبب هذا الحذف سبب خاص بهذين الضميرين ولا نعرفه معرفة يقينية .. والحالة في جمع ضمير الغائب وتثنيته هي عن حالتيهما في ضمير المخاطب وهذا يدل على أن ضمير الغائب وإن كان أصله ووظيفته غير أصل ضميري المتكلم والمخاطب ووظيفتهما فقد لاق بهما في نفس اللغة السامية الأم

والآن بعد أن حللنا الضمائر نوجه نظرنا الى أسماء الأشارة وهي حسب ماقلناه قريبة من ضمير الغائب ، فنجد عددها كثيرا في كتب الصرف والنحو غير أن أكثرها نادر الوجود لا تكاد أن توجد في النثر البتة ، ومن المرجح أن اللهجات العربية القديمة كانت تتخالف تخالفا بينا في أسماء الأشارة على مثل ما نرى عليه اللهجات الأرامية أو اللهجات العربية الدارجة من التخالف الكثير في أسماء الأشارة فجمع النحويون كل ماوجد منها في سائر اللهجات على اختلافها وأودعوه كتبهم بغير تفريق بين لهجاتها ونحن نقتصر هنا على المألوف الكثير الوجود من أسماء الأشارة ونضيف اليها الاسم الموصول فانه في الأصل من أسماء الأشارة أيضا واسم ذو بمعنى صاحب فانه قريب من أسماء الأشارة فهذا جدولها

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| المفرد | المذكر | هذا ذلك | ذو . ذى ذا | الذى |
| » | المؤنث | هذه تلك | ذات | التى |
| المجموع | المذكر | هؤلاء . أولائك | أولو . أولى : ذوو . ذوى | الذين |
| » | المؤنث | | أولات . ذوات | اللائى |

فنشاهد في هذا الجدول اضطرابا واختلافا زائدا وكنا فهمنا أن ذلك يدل على قدم أشكال الكلمات وعدم تشابهها بعضا ببعض والذي هو أقرب الى القياس هو ذو فنراها تعرب مثل الأب ، وتؤنث على وزن اللات والشاة وسنتكلم عنهما فيما بعد ، ولها جمع صحيح غير أن لها جميعا ثانيا مخالفا للقياس .. وأما تثنيتها فتركناها

من الجدول مع غيرها من التثنيات لأن كلها حديث وأكثرها قياس وباقيها نادر.
وأما مادة ذوو وأولو فهي عين مادة القسم الثاني من هذا وهؤلاء .. ويوجد بين أشكال اسم الموصول أيضا ماهو على قياس سائر الأسماء وهو الجمع فنرى المذكر والمؤنث منه يتخالفان كما هي الحالة في الأسماء ولا فرق بينهما في هؤلاء وأولائك وأخذت علامة الجمع المذكر من الجمع الصحيح غير أنها ina دائما لايميز بين المرفوع منها والمنصوب والمجرور وسبب ذلك التشابه المفرد الذي هو مبنى على الكسرة الممدودة . واللاتي اشتقت من التي بعد الحركة على قياس مدها في الجمع المؤنث الصحيح

أما سائر الصيغ التي لم تبن على قياس الأسماء فان ( هذا ) يقابلها بالعبرية hazze وكلاهما مركب من الهاء والذال غير أن ha في العبرية آلة التعريف وتلحق باسم الاشارة إذا كان تأكيدا لاسم آخر نحو ha is hazze أي هذا الرجل وإن لم يكن تأكيدا سقطت نحو ze ha is أي هذا هو الرجل فيتفارقان هذا و hazze في المعنى والوظيفة وإن تقاربا في البنية مع أن بينهما فرقا للبنية أيضا هو أن ze العبرية ربما كان أصلها di فلا تقابل ذا العربية مقابلة تامة .. و ( ذى ) توجد في العربية أيضا وهي أصل ذه في هذه فهي في العبرية مذكرة وفي العربية مؤنثة فنرى الفروق واقعة بين العربية والعبرية في هذا الباب مع كون العبرية فيه أقرب الى العربية من سائر اللغات السامية فيدلنا ذلك على أن أسماء الاشارة وإن كانت عناصرها قديمة سامية الأصل فحدد معناها واقترن بعضها ببعض في زمان أحدث من زمان تكونها في كل لغة على حدتها .. وأما جمع هذا وهو هؤلاء فيقابله في العبرية ha elle والنسبة بينهما شبيهة بالنسبة بين هذا و hazze . فاللام في العربية والعبرية جمع الذال في أسماء الاشارة ، وفي غيرهما من اللغات السامية أيضا كالآرامية والحبشية فـ ( هذا ) في الآرامية العتيقة dna وفى الحبشية ze والجمع في تلك elle وفي هذه ellu فيحتمل أن يكون جمع الذال على اللام سامي الأصل .. وأما ذلك فمركبة من ذا المذكورة ولام غير لام الجمع المشار اليها فيما قبل قريبة من اللام المؤكدة في مثل لأفعلن ، وإنها لكبيرة ، وضم

إلى الذال واللام حرف ثالث هو الكاف ومعناها الاشارة إلى ماهو لايباشر ونجدها مؤدية لعين هذا المعني فى الآرامية العتيقة نحو dek أى ذلك . والكاف نشاهدها فى ( تلك ) و ( اولائك ) أيضا واللام لانجدها إلا فى تلك وهي ساكنة هنا بخلافها فى ذلك والأصل هو tilika فحذفت الكسرة الثانية تخفيفا وتخالفا لتجاور حرفين مثلين فى tilika ثم قصرت الكسرة الممدودة لأن بعدها حرفا ساكنا و ti هذه أبدلت من ذي قياسا على تاء التأنيث وقد توجد التاء فى أسماء الاشارة الخاصة بسائر اللغات السامية أيضا . واللام التي وجدناها فى ذلك وتلك ناقصة فى جمعها وهو اولائك وربما حذفت للتخالف لأنه لو قالوا ilika ʾulaʾ لتجاور حرفان مثلان .. والضمة فى أولائك وفى أولو مقصورة مثلها فى هؤلاء وإملاؤها بالواو مأخوذ من رسم القرآن الكريم وهو من الغرائب الكثيرة فى رسم القرآن

وبقى الآن اسم الموصول فأول عناصره لام التعريف ، وثانيها التأكيد ، وثالثها ذى وهى هنا مذكرة كما هى فى ze العبرية على ماقلناه قبل بخلافها فى هذه . ومؤنثها ti المذكورة آنفا . والذى يطابقها فى العبرية hallaze حرفا بحرف غير أن ha هى أداة التعريف في العبرية كما ذكرنا ومعنى hallaze هو هذا لاالذى .. وبعض العناصر الاشارية يستخدم فى غير أسماء الاشارة أيضا منها الهاء فى ههنا والكاف فى هناك . وربما كان منها الذال في إذ وماشاكلها فالظاهر فى العربية أنه كان يوجد اسم بمعنى الوقت هو اذ نشاهد جره فى مثل حينئذ ونصبه فى اذا وإذا . غير أن الأرجح هو أن أصلها كلها أداة إشارية صارت اسما فيما بعد .. ومن العناصر الأشارية الألف واللام للتعريف ومما يدل على أنها في الأصل لم تكن للتعريف فقط بل كانت أداة للاشارة أنها حافظت على معنى الاشارة فى بعض الحالات نحو اليوم أى فى هذا اليوم ، والليلة أى فى هذه الليلة ..ونلحق بالاشارة الاستفهام فنقول إن (من) و(ما) اصلهما واحد يعني ( ما ) والحقت بها النون وهى من العناصر الأشارية أيضا وإن لم توجد فى العربية بين أسماء الاشارة ، فتدل (ما) على الاشخاص إذا وقعت مع هذا الحرف اللاحق وعلى الأشياء اذا

وقعت بدونه .. وبعض اللغات السامية يستعمل mā و mī أيضا كما أن أكثرها يستعمل ذا وذى ولا أثر لـ mī فى اللغة العربية الفصيحة .. ومن أسماء الاستفهام ( اى ) وهى مضافة دائما في العربية مع أنها وصف في بعض اللغات السامية الأخرى مثال ذلك من السريانية ʾainā hel أى أية قوة ومن الحبشية ʾai-nū hezb أى أى قوم . فيدلنا تداخل nā وهى من أدوات الأشارة أو nū وهى من أدوات الاستفهام بين الكلمتين على أن التركيب وصفى لا إضافى

إلى هنا تم القسم الأول من هذا الباب . ونبدأ بالثانى في الأفعال فنقول .

إن اللغة العربية وإن قاربت اللغة السامية الأم فى أكثر حروفها وضمائرها فهى فى بناء أفعالها وبعض أسمائها أبعد عن الأصل من اللغتين الأكدية والعبرية وقريبة من اللغة الحبشية والأرامية. فالعربية مع الحبشية والأرامية أتم لغة للأبنية القديمة ومعانيها من بين سائر اللغات السامية .. وأما الأكدية والعبرية فتختلفان اختلافا ظاهرا بينا فالأكدية وحيدة بين أخواتها فى بعض الحالات والعبرية ترافق فيها سائر اللغات السامية الغربية .. فهذا هو تقسيم اللغات السامية من جهة نظام أبنية الفعل — فاللغة العبرية متوسطة بين الأكدية وسائر اللغات السامية . أما الأكدية فلها خاصتان تمتاز بهما : أولاهما أنه لا يوجد فيها ماض متعد على وزن فعل وفعل إلى آخره .. قلت ماض متعد وكان الأحرى أن أقول ماض يدل على عمل وفعل اختيارى بخلاف التأثر والانطباع . وقد ذكرنا فيما سبق أن بعض الأفعال المتعدية نحو سمع ليست من هذا القبيل . وبالعكس نجد أفعالا لازمة تدل على عمل اختيارى نحو مشى وفكر .. والخاصة الثانية للأكدية هى أن فيها صيغتين المضارع : احداهما مثل المضارع العربى والأخرى تختلف عن تلك بادخال فتحة بعد فاء الفعل والأولى تدل على الماضى والثانية على الحاضر والمستقبل مثال ذلك ʾipbir أى قبر ، ʾiqabir أى يقبر

ومن الغريب أن شبه هذا المضارع الثانى يعنى ʾiqabir يوجد فى الحبشية واللغات العربية اليمانية نحو iepber ، ieqaber فى الحبشية ، iiftah iifoteh في المهرية غير أن معناه في هذه اللغات غير معناه فى الأكدية وذلك أن ieqber مثلا معناها

النصب والجزم أى يقبر و jeqaber معناها الرفع أى يقبر .. والمستشرقون مختلفوا الآراء فى سبب هذا التقارب الغريب بين الأكدية واللغات المذكورة .. وأما فعل وفعل اللازمتان إذا لم تدلا على عمل اختيارى فيقابلهما فى الأكدية صيغة معناها البقاء على حالة واحدة نحو marsat اصلها marisat أى مرضت وأحيانا تقابل هذه الصيغة صيغة المفعول الماضى أيضا نحو katim أى كتم . وقد حافظت العبرية على استعمال المضارع بمعنى الماضى محافظة واسعة نحو uai iqbor أى فقبر وأكثر مايكون ذلك بعد واو العطف والعربية فقدته إلا بعد لم وإن وأخواتها نحو لم يفعل وإن يفعل أى ما فعل وإن فعل ، فالمضارع مجزوم في هذه الحالات كما هو فى العبرية إذا دل على الماضى مثال ذلك أن ( لم يقم ) يقابلها فى العبرية ua i iaqom أى فقام مع أن ( يقوم ) يقابلها iaqūm صيغة ومعنى ومن الضمة فيها بخلاف قصرها فى تلك يدل على أن الميم كانت محركة فى الأصل مثلها فى العبرية . iaqum معناها ليس يقوم بالرفع فقط بل يقوم أيضا بالنصب فيظهر أن العربية ميزت بين هاتين الصيغتين وكانت فى الأصل واحدة .

فخلاصة قولنا إن العربية ابتدعت ماضيا متعديا دالا على عمل اختيارى على صيغة فعل متفقة في ذلك مع سائر اللغات السامية الغربية وأنها ابتدعت مضارعا منصوبا علاوة على المجزوم والمرفوع مختصة بذلك وحدها دون سائر أخواتها .. وأما الحاق النون المؤكدة بالمضارع والأمر فنجد مثله فى الأكدية والعبرية أيضا وهو نادر فى الآرامية فيمكننا أن نعزو ذلك إلى اللغة السامية الأم وإن تخالفت اللغات المذكورة تخالفا يسيرا فى معنى النون المؤكدة وكيفية الحاقها . فالأكدية تستخدم الميم لا النون وكانت الميم فى الأصل تقتصر على الأفعال المؤدية لمعنى الحركة فتدل الميم فيها على انتهاء الحركة إلى غاية نحو ušabil أى بعث و ušabilam أى بعث فوصل المبعوث به إلي الموضع المبعوث به إليه . وفي العبرية لا تلحق النون إلا قبل الضمائر المتصلة المنصوبة نحو ebnennā أصلها ebnenhā أي ابنينها .. فالخصائص المذكورة تميز العربية عن سائر اللغات السامية ومما نزيدها تميزا عن سائرها تخصيص معانى أبنية الفعل وتنويعها وذلك بواسطتين : إحداهما اقترانها بالأدوات

نحو قد فعل وقد يفعل وسيفعل وفى السياب لا أفعل بخلاف مافعـل ولن يفعـل بخلاف لايفعل وما يفعل . والأخري تقديم فعل كان على اختلاف صيغة نحوكان قد فعل وكان يفعل وسيكون قد فعل الى آخر ذلك . فبكل هذا ينوع معـانى الفعل تنويعا أكثر بكثير مما يوجد في أية لغة كانت من سائر اللغات السامية قريبا من غني الفعل اليونانى والغربى أو بالأحرى أغني منهما فى بعض الأشياء، وهذا من أكبر الأدلة على سجية اللغة العربية وطبيعتها فهى أبدا تؤثر المعين المحـدود على المبهم المطلق وتميل الي التفريق والتخصيص .. فاللغة العربية أكمل اللغـات السامية وأغناها فى هذا الباب أى باب معانى الفعل الوقتية وغيرها وهى مع ذلك أحدثها انكشفت انكشافازائدا على مافي غيرها وابتعدت عن الأصل ابتعادا أكثر منها . واللغة السريانية أقرب الشكل الى العربية فى بعض ماذكرناه فهى أيضا قد تقدم قبل الفعل صيغا من صيغ كان أو تؤخرها بعده وكان فى السريانية hu̱a وكثير ماحذفت الهاء وصارت u̱a مثال ذلك ktab-u̱a أى كان كتب غير أنه ليس فى السريانية فرق ثابت بينهما وبين ktab بغير u̱a فهي ktab-u̱a عين معنى ktab أى كتب فى كثير من الأحوال وهذا يظهر طبيعة السريانية بخلاف العربية فهى وإن حازت كثيرا من وسائل التنويع والتخصيص فلا تستفيد منها بل تهمل الفروق وتبقى مبهمة المعاني مشتبهة الألفاظ .. ونستثني من ذلك أن السريانية استخدمت اسمى الفاعل والمفعول لتأدية بعض المعانى الوقتية ، والعربية لاتسايرها فى ذلك فانه وان أمكننا أن نقول أنا كاتب لتأدية معني الزمان الحاضر فهى أقل استعمالا وإيضاحا من katebna فى السريانية . وأمااسم المفعول فلا يستعمل فى العربية أصلا كاستعماله فى السريانية في مثل šmiʿ-lan أى مسموع لنا بمعني قد سمعناه ، غير أن العربية لاتحتاج الى هذه الوسيلة لأنه يمكنها تأدية المعنى بغير اشتباه بضم قد الى الماضى

وأما أبنية الفعل من تفعيل ومفاعلة الي آخره فنراها فى بعض اللغات السامية وبالأخص فى الأكدية كثيرة تتركب علاماتها من تشديد العين وتاء التفعل ونون الانفعال وغيرهامع بعضها تركبا لاحد له مثال ذلك في الأكدية

| المعنى | الكلمة | العلامات الموجودة فيها |
|---|---|---|
| عمل | ʾittaškan | n † t |
| شرب | ʾištanattī | t † n |
| برق | ʾittanabriq | n † t † n |
| اجتمعوا | ʾuptathurū | t † t |
| عرض | ʾušrappiš | † š تشديد |
| أشبع | ʾuštabarrī | † t † š تشديد |
| قبلت | ʾuštatamhir | t † t † š |

ويغلب على الظن أن اللغة السامية الأم كانت على مثل هذا والعربية استغنت عن هذا الفضول وأكتفت بالقليل منه وهذا جدوله

| | | تائى | نونى |
|---|---|---|---|
| | فعل | افتعل | انفعل |
| مشدد | فعل | تفعل | |
| ممدود | فاعل | تفاعل | |
| رباعى | أفعل | استفعل | |

ففعل على ثلاثة أضرب : بفتح العين وكسرها وضمها ومضارع الضرب الأول بالكسرة أو الضمة والثانى بالفتحة والثالث بالضمة . وهذا كله موافق للأصل غير أن مضارع فعل هو بالفتحة فى اللغة العبرية نحو qaṭon iqtan أى صغر يصغر ولا نعرف أيهما الأصل آلكسرة أو الضمة .. والافتعال تاؤه في العربية دائما تالية لفاء الفعل وكانت فى الأصل سابقة لها كما هى فى الأرامية نحو etqri أى اقترأ يعني قرىء لكنها كانت تؤخر بعد فاء الفعل إذا كانت هى واحدا من حروف الصفير نحو eštmaʿ أى استمع يعنى سمع وعلى هذا القياس أخرت العرب التاء فى سائر الأفعال أيضا .. والممدود أى فاعل خاص بالعربية والحبشية وهو مشتق من المشدد أى فعل بتعويض مد الحركة عن مد الحرف

بعدها أي تشديده وهذا التعويض كثير فى الأكدية والعبرية وقد يوجد فى غيرهما أيضا . وخصصت العربية لهذه الصيغة الجديدة معنى معينا يفارق معانى سائر الصيغ مفارقة بينة لا تستطيع إحدى اللغات السامية أن تؤديه بصيغة بسيطة .. والرباعى يختلف الغير المزيد منه عن الثانى بأن الحرف الأول من أفعل همزة وفى استفعل سين والحال مثل هذه فى الحبشية أيضا نحو aqtala ʾ و astaqtala ʾ . فنرى بعض اللغات السامية تستعمل الهمز فى الأفعال الرباعية موافقة العربية ومنها السريانية نحو ʾaslem أى أسلم يعنى سلم ، وبعضها يستعمل الهاء كالعبرية نحو hiqrib أى أقرب يعنى أضحى أضحية ، وبعضها يستعمل الشين كالأكدية نحو ʾušaklil أى أكل يعنى كمل وأتم .. والشين يقابلها فى العربية والحبشية السين فنفهم أن اللغتين الساميتين الجنوبيتين لم تشتقا صيغة الرباعي الثانية من أصل الرباعى عندهم بل من أصل غيره زال عندهما من الاستعمال وفقد .. ويوجد فى العربية غير الأبنية المذكورة وأكثرها وقوعا هو أفعل نحو أخضر وقد تمد الفتحة فتصير اخضار ، وهذا البناء وإن يوجد نظيره فى بعض اللغات السامية الأخرى فقد حصت للغة العربية استعماله معتمدة فى ذلك على صيغة أوصاف اللون والعيب وهى أفعل نحو أبيض وأعرج

ومن أبنية الفعل ما يبتدىء ماضيه وأمره ومصدره بهمزة الوصل وبعدها حرف ساكن وهي : افتعل واستفعل وانفعل وافعل ونظائرها . فالعربية في ذلك متوسطة بين الحبشية وبين سائر اللغات السامية فانا نرى أن الحبشية لا يوجد فيها حرف ساكن ابتداء إلا فى الاستفعال نحو ʾastarʾaia أي استراى يعنى أرى أو ظهر وافتعل يقابلها فيها مثلا taualda أي اتلد يعنى ولد . واللغات السامية الشمالية على ضد ذلك فيماثل التفعل فيها الافتعال فى وجود الساكن فيها ابتداء مثلا hitqaddaš بالعبرية والهاء تنوب عن همزة الوصل و ʾetqaddaš فى الآرامية أي تقدس

| الحبشية | العربية | اللغات السامية الشمالية |
|---|---|---|
| ( taqattala ) | ( tafaʿʿala ) | hitqaddaš ʾetqaddaš |
| ( tau̯alda ) | ʾiftʿala | ʾetqri |
| ʾastarʾai̯a | ʾistafʿala | ——— |

هذا ما لخصنا من بناء الافعال على العموم . وأما الأفعال المعتلة فتمسكت العربية فيها بالصيغ القديمة السامية الأصل في أكثر الحالات . ومما انفردت به عنها أن بعض الافعال التي فاؤها همز تحذف الهمز في الأمر نحو كل وخذ ومر وهي في العبرية مثلا ʾekol و ʾemar و ʾeḥoz ومنه أن بعض الأفعال التي فاؤها واو أصبح ماضيها ومضارعها كلاهما بالكسرة على خلاف العادة نحو ورث يرث وهي في العبرية i̯iraš i̯areš وفي الآرامية iret nérat فكانت من الأفعال الواوية السالمة كوجل يوجل ثم حذفوا واوها في المضارع والأمر على قياس يجد وأخواتها . ومما خالفت فيه العربية اللغة السامية الأم أن الأفعال الجوفاء شبهت حركة ماضيها بحركة مضارعها في مثل قمت على قياس يقوم وسرت على قياس يسير ، والحركة في العبرية والآرامية هي الفتحة دائما كما هي في الغائب أي قام وسار مثال ذلك في العبرية qamta مضارعها i̯aqum ، samta مضارعها i̯asim ويوجد نوع ثالث في العربية خاف يخاف خفت وحركة فاؤها بالكسرة لأن وزنها فعل .. ومن الشاذ في الأفعال الناقصة صيغة المثنى المؤنث في الماضي نحو رمتا أصلها ramai̯ata على وزن فعلتا فكان يلزم أن تكون ramata باتحاد الفتحتين الى فتحة واحدة ممدودة غير أنها قصرت على قياس رمت وتقصيرها فيها واجب للحرف الساكن بعدها

إلى هنا تم القسم الثاني من هذا الباب ويليه القسم الثالث في الاسماء

إن أقدم الأسماء صيغة هي الأسماء الثنائية ، والعربية قد حافظت على بنائها الأصلي في كثير منها غير أنها اشتقت من بعضها صيغا جديدة بزيادة أحد حرفي العلة أو بزيادة همز أو هاء مثال ذلك في الجمع الصحيح أخوات وفي جمع التكسير آباء ومياه وفي الأسماء المشتقة ابوة وبني ، وفي الأفعال المشتقة سمي وفاوه .. ومن الاسماء الثنائية ما آخره حركة ممدودة وهي بعض أسماء القرابة نحو أبو

وأخو وحمو ويشاكلها اسم محتوعلى حرف واحد فقط هو فو والحركة الممدودة سالمة في المضاف نحو أبو زيد وأبونا وقد قصرت مع التنوين نحو أب وفم وقد ذكرنا أصلها فيما سبق وحذفت مع ضمير المتكلم المفرد نحو أبي . وكانت الفتحة السابقة لتاء التأنيث ممدودة أيضا في هذه الأسماء ، ومن ذلك في العربية حماة يقابلها في العبرية hamōt وفي الآرامية hmāta وفي الأكدية ʾemētu ومنه في العبرية ʾahōt أي الأخت وهي في الآرامية hāta وفي الأكدية ʾahātu غير أنها صارت في العربية أخت على قياس بنت فـ (ابن) وأصله bin كما ذكرنا آنفا ليس من هذا القبيل ولم تكن في آخره حركة ممدودة أبدا فلا مانع لالحاق تاء التأنيث بغير فتحة على الطريقة المتبعة كثيرا في بعض اللغات السامية فـ (بنت) هي الأصل و (ابنة) استحدثت في العربية على قياس ابن وجمع ابن (بنون) بالفتحة بدل الكسرة وهذا الأبدال قديم سامي الأصل فنجده في العبرية أيضا فالجمع فيها bānim والابن يماثل (اثنان) وأصلها tinani والبنت يماثلها ثنتان في الأصل أيضا واثنتان محدثة على قياس اثنان كما أن ابنة محدثة على قياس ابن ومن هذا الوزن اسم أصلها simun واست أصلها situn وهي في العبرية šet .. ومما حركته كسرة ولم تحذف مثل ما حذفت في ابن وأمثالها كلا وهي تثنية مثل tīna . ومنه مع تاء التأنيث عضة ورثه ومئه واللات وأصلها al-ilāt والفتحة فيها ممدودة بخلاف ما ذكرناه قبلها ، وذلك على قياس حماة وأمثالها وأما مذكر اللات الثنائي فلا يوجد في العربية الفصيحة وهو في الأكدية ʾilu وفي العبرية ʾel وينوب عن ذلك في العربية إلاه بزيادة الهاء . ومما حركته فتحة مقصورة يد ويدم ، ومع تاء التأنيث شفة وسنه وأمة . والضمة نادرة نحو حمه وهي في الأكدية ʾimtu وفي العبرية hāma وفي الآرامية hemta كلها بالكسرة . وقد توجد فتحة ممدودة نحو ماء أصلها mai فهي في الحبشية mai وقصرت الحركة في العبرية والآرامية فصارت maim و maiá واتحدت بالأعراب في الأكدية فأصبحت mū . ويماثلها في العربية شاء ولا نعرف صيغتها الأصلية معرفة يقينية فالواحدة منها شاة وهي في العبرية sē وفي الأكدية šuʾn .. وقد تكرر

مادة ثنائية مرتين فيصبح الاسم فى ظاهره رباعيا نحو كوكب أصله kabkab والباء الأولى صارت واو فى بعض اللغات السامية وأدغمت الكاف الثانية فى بعضها نحو kakkabu فى الأكدية ولم تبق سالمة على حالها إلا فى المهرية فالكوكب فيها kebkib . ومن هذه الأسماء الرباعية مظهرا قرقر وسلسلة ومنها أيضا ليل أصلها la i la i كما هى في السريانية ويدل على ذلك الأصل جمعها ليال أي laiáli i u على فعالل من الرباعى . فكل الأسماء المذكورة وما شاكلها فى سائر اللغات السامية أصلية غير مشتقة من الأفعال كما زعم بعض النحويين واللغويين القدماء والحقيقة على عكس ذلك فالأفعال منها إذا وجدت مشتقة من الأسماء وكثير من الأسماء الثلاثية أصلى أيضا وبالأخص من أسماء الأشياء المادية المنظورة الملموسة منها الحيوانات كالنمر والذئب والأبل والثور والحمار والكلب والخنزير والنسر والذباب ومنها النباتات كالعنب والثوم والقثاء والكمون ومنها أعضاء البدن كالرأس والعين والأذن والأنف والسن والشعر والشفة والظفر والركبة والذنب والقرن واللب والكلية والكتف ومنها غير ذلك كالسماء والشمس والأرض والحقل والبئر والبيت والعمود والعرش والقوس والحبل والأناء والقمح والدبس ومنها اليوم وكل الأسماء المذكورة سامية الأصل موجودة فى كل اللغات السامية ومما يدلنا على أنها وكثيرا من الأسماء غيرها لم يشتق من الأفعال هو ثلاثة ملاحظات —

الأولى — أنه فى كثير منها لا يكاد معناها أن يحتمل الاشتقاق من فعل أصلا. فمن أى فعل نستطيع أن نشتق أسماء كالذئب والقوم والرأس والارض وهل يجوز أن يكون أى فعل كان من الأفعال أقدم من هذه الاسماء وأمثالها. والملاحظة الثانية أن بعض هذه الأسماء تخالف الأفعال التى يحتمل معناها اشتقاقها منها مخالفة تامة نحو الأذن فأنه يمكننا التصور أن الأذن مشتقة من السمع لكن نراهما تتخالفان في كل حروفهما . وكذلك العين والرؤية وهلم جرا . والملاحظة الثالثة أنا لا نجد علاقة بين أوزان هذه الأسماء ومعانيها فأنا نرى الأسماء المتقاربة فى المعنى متقاربة في الوزن نحو الثور والحمار أو العين والأذن . ولو اشتقت من أفعال لكان من الواجب أن يكون لكل معني وزن واحد بني عليه

الأسماء أو أوزان قليلة . وقد توجد أسماء دالة على أشياء مادية محسوسة لها معان متقاربة ووزن واحد وأقدم مثال لذلك بعض أسماء أعضاء البدن على وزن فعل منها من الأسماء السامية الأصل الكتف والرحم والكبد والكرش والمعدة ومنها أيضا النفس وقد ذكرنا أن أصلها nafis كما هي في الأكدية napistu وكانت تعد من أعضاء البدن في الزمان القديم وظاهر الأمر أن توازن هذه الأسماء ناشىء عن أحد سببين أولهما أنها اشتقت من أفعال أو بالأحرى من مواد ثلاثية وبقيت على وزن واحد والآخر أن أحدها كان هو الأسوة وأن الباقية شبهت به ومثل ذلك كثير في تاريخ اللغات وقد ذكر قدماء العرب أمثلة له كما أن ابن يعيش قال إن الفتحة في يذر استبدلت من الكسرة على قياس يدع والسببان في الحقيقة سبب واحد . فأن من المرجح أن الوزن الواحد في كثير من الحالات نشأ عن كلة واحدة معينة قيست عليها كلمات أخرى معانيها شبيهة بمعنى تلك . ومن الأوزان القديمة جدا لأسماء من أسما الأشياء المادية المحسوسة فعلل وهو رباعي ويستعمل في أسامي الحيوانات منه عكبر وعقرب وأرنب وهي سامية الأصل وربما كانت الباء في الأخيرتين علامة ألحقت للاشارة على معناهما . ومن اسماء الأشياء المادية ماهو مشتق من الأفعال اشتقاقا بينا لاشك فيه على أوزان معروفة ظاهرة مثال ذلك أسماء الآلة والمكان نحو مفتاح ومسكن فأنها وإن كانت حديثة بالنسبة إلى ماذكرناه قبلها فهي سامية الأصل أيضا فنجد لمفتاح مثلا بالعبرية mapteah وفي الأكدية niptu أصلها miptahu فنري من ذلك أن وزن أسماء الآلة كان موجودا في اللغة السامية الأم غير أنه لم يكن ثابتا بعد فحركة الميم في بعض اللغات السامية كسرة وفي بعضها فتحة والمسكن يقابله في الأكدية maskanu وفي العبرية miskan وفي الأرامية maskna ووزن مفعال في مفتاح أصله فعال ألحقت بها الميم وفعال أقدم وزن لأسماء الآلة منه سنان وهي في الأرامية snana ونطاق وربما قابلها في الحبشية qonat بالتقديم والتأخير وأبدال الحرف السني ومنه الوعاء ويظهر أن منه اللسان وهي في الحبشية lesan وفي الأكدية lisanu وهي في الأرامية lessano بالتشديد الحديث وفي العبرية lason بالفتح بدل الكسر وأكثر الأسماء المبنية

على الأوزان هى أسماء المعانى والصفات فالكل وزن منها حيز من المعنى والخدمة وكل اسم معناه وخدمته داخل فى ذلك الحيز يبني على ذلك الوزن مع أن كثيرا من الأوزان تجمع بين معان مختلفة وكثيرا من المعانى يؤدى بها بأوزان متعددة ولذلك سببان أولهما أن يوجد بين أسماء المعاني والصفات ما هو أقدم من الأوزان شبيها بالأسماء الدالة على الأشياء المادية المحسوسة التى عددناها قبل والسبب الثانى أن طرقات القياس قد كثرت واشتبكت بعضها ببعض فكان تخالط اشتقاق الأسماء على الأوزان شىء من الاتفاق والاضطراب ومع كل ذلك فالقياس على الأوزان أقوى بكثير عند اسماء المعانى والصفات منه عند غيرها من الاسماء وذلك لأن أسماء المعانى والصفات قريبة جدا إلى الأفعال والأفعال غرب عليها القياس غلبة تكاد أن تكون كاملة مثال ذلك أما ترى فرح تكون أما فعلا فهى إذا مبنية على الفتحة أي فرح أو صفة فهى إذا متصرفة أى فرح . وقرب تكون فعلا إذا كانت الكسرة مقصورة أى قرب واذا مدت أصبحت وصفا أى قريب ومثله كثير فى كل اللغات السامية واكثر منه ماتخالف فيه الفعل والاسم في الوزن وتوافقا فى المعنى منه كل اسم على وزن فاعل ومفعل إلى آخره وكل المصادر وغير ذلك مما لايحصى .
وأكثر اللغات السامية أمسكت عن اشتقاق الأسماء الجديدة فى زمان قديم جدا إلا على القليل من الأزان كالمصادر والأنساب وأصبحت جملة أسمائها محدودة لايزال عليها إلا القليل فى المدة الطويلة فاشتقاق الاسماء فيها ميت أو قريب من الميت واللغة العربية دامت تشتق الأسماء الجديدة الكثيرة على الاوزان المتنوعة وكل شاعر من الشعراء المتقدمين كان يجوز له أن يرتجل الاسماء الجديدة على الأوزان المعروفة فكانت الكلمة تستخدم مرة واحدة فى بيت من الشعر ثم تنسى متي نسى ذلك البيت فكانت جملة الاسماء غير محدودة بل قابلة للزيادة والنقصان في كل آن وكان عدد من الأسماء غير متناه يوجد فى القوة وإن لم يكن موجودا فى الفعل والحقيقة ثم أتى اللغويون وجمعوا الكلمات الموجودة فى الشعر المروى عند العرب وضبطوا معانيها فظن الناس ان هذه الاسماء المدونة فى القواميس هى اللغة العربية فصاروا لايجسرو على اختراع الأسماء راكنين الى اللغة الحية

فى عقولهم وأفئدتهم بل يتعلمون لغة قد كانت ماتت وقبرت فى الكتب ولا عجب فى ذلك إذ أن كثيرا منهم لم يكن يعرف اللغة العربية من فم أمه بل أصله أعجمي أو أرامى أو قبطي أو يوناني فتعلم اللغة العربية كلغة أجنبية . فمن الأوزان التى كانت العرب تقترح عليها الكلمات الجديدة فعل وفعال وفيعل وفعال لصفات فنرى كل الصفات المبنية على هذه الأوزان أوأ كثرها نادرة ليست بكلمات مألوفة ثابتة بل تشتق من أفعالها عند الحاجة إليها والاوزان المذكورة معان خاصة بها مختلفة ففعال مثلا للعيوب وفعل للذم فى أكثر الحالات ونحو ذلك كثير وأظهر علامات العربية فى باب أوزان الاسم أربع: أولها كثرة أوزان مصدر فعل. والثانية وزنا فعله وفعله ، والثالثة وزن فعيل ، والرابعة وزن أفعل . اما الأولى فنرى كل اللغات السامية لها فى مصدر فعل صيغة واحدة أو على الاكثر صيغتان وهي فعال فى الأكدية والعبرية نحو qatōr ςaṭōru وتوجد في العربية أيضا نحو هلاك وطواف وضلال ورجاء وقريب منها صيغة فعال نحو نزال أى أنزلوا و paʿōl فى العبرية تستعمل فى هذا المعنى أيضا والعبرية مصدر ثانى وهو العادى وصيغته pʿōl يوازنها فعل في العربية وهي نادرا ما توجد بين المصادر العربية نحو ثقل وقبح والسريانية مصدرها على mepʿal يعنى مصدر ميمى وأمثاله فى العربية كثيرة غير أنه يوجد دائما مع المصدر الميمى آخر بغير الميم وهو أكثر استعمالا وللعربية أوزان كثيرة غير المذكورة خصصت بعضها ببعض صيغ الأفعال ومعانيها مثل فعل فى أكثر ماوزنه فعل يفعل وفعل لفعل يفعل وفعل فى بعض الافعال المتعدية على وزن فعل يفعل نحو علم ولبس وفعل فى فعل للمساحة نحو كبر وصغر وفعال في الاصوات نحو صراخ ونباح وسؤال وفعول فى الحركات وضدها نحو دخول وخروج وركوب وسكون وقعود الي غير ذلك مما لا يحصى ويتضح من ذلك ان العربية لما لم تكتف بصيغ قليلة مثل سائر اللغات السامية كانت تميل الى كثرة الاشكال والتفنن في الصيغ الكثيرة ونرى مثل ذلك في صيغ جمع التكسير فهى متعددة أيضا وبعضها اقترحته العربية مع الحبشية وبعضها اقترحته العربية وحدها واللغات السامية الشمالية لا يوجد فيها إلا القليل منها وأما مصادر سائر أبنية

الفعل فاوزانها قليلة فلكل واحد من الأبنية واحد أو اثنان وهى ثلاثة أنواع الاول بالفتحة الممدودة بين عين الفعل ولامه نحو فعال وافعال وانفعال وافتعال وافعلال واستفعال ولا يوجد في سائر اللغات السامية مثلها وقد كنا صادفنا الفتحة الممدودة في فعال اسم فعل، والنوع الثانى بالضمة بين الحرفين منه تفعل وتفاعل ومثله كثير فى الأكدية نحو Kutassudu وفى الحبشية نحو talabbeso أى تلبس وtaragero أى تكالموا والـ e توافقها هنا الضمة فى اللغة العربية والنوع الثالث هو تفعيل وهو أحد الأوزان المزيد فيها التاء وخصص لفعل على أنه ليس له بها علاقة أصلية وأسماء الفاعل والمفعول بسيطة فى العربية ففاعل هى أصلية سامية كـ kasidu فى الأكدية وpo el فى العبرية وpa el في الآراميه ومفعول أصلها فعول زيدت فيها الميم الكثيرة الاستعمال في هذه الاسماء وفعول نفسها توجد فى العربية فى معنى المجهول فاعله نحو رسول أى المرسل وهى اسم المفعول في العبرية نحو qab ur أى مقبور وينوب عنه فى الآرامية فعل نحو gtil أى مقتول وذلك من تبادل الضمة والكسرة الممدودتين والميم فى سائر أسماء الفاعل والمفعول سامية الأصل فى كل اللغات السامية وأما وزن فعلة وهى اسم المرة وفعلة وهى اسم النوع فلا يوجد نظيرهما في كل اللغات السامية ووزن فعيل وهو اسم التصغير نادر فيها وأكثر وجوده فى الآرامية نحو ɔlaimá أى الغلام ووزن أفعل فى معنييه وهما التصغير واللون أو العيب لا يوجد فى أية لغة من اللغات السامية حتى الحبشية فهو مرتجل فى العربية جديد فأفعل إذا كان للتفضيل هو أكثر تخصيصا وتحديدا من بين سائر أبنية الاسم فاختراع العربية له من علامات ميلها الى التخصيص والتعيين وأفعل مع ذلك مما يسهل تركيب الجملة والتعبير عن الافكار المشكلة بالتركيبات المشتبكة مثال ذلك «هذا أكثر من أن يحصى» و «أنتم أحوج الى هذا منكم الى ذلك» ولا يوجد مثلهما فى سائر اللغات الساميه ويقارب وزن أفعل فى كل واحد من معنييه صيغة من صيغ الفعل فأفعل اللون أو العيب هو أصل أفعلّ نحو أخضر واخضرّ أو أعوج واعوجّ

وأفعل للتفضيل هو عين فعل فعل التعجب نحو أكرم وما أكرم زيدا وأصل الجملة جملة اسمية وزيد الاسم فيها ثم شبهت (أكرم) بعد ذلك بالفعل الرباعى فنصبوا زيدا وكأنه مفعول الفعل. وأما أكرم زيد أى ما أكرم زيدا أيضا فلا نعرف أصلها ومما يدل على حداثة وزن أفعل أن حروف العلة تبقى سالمة فيه نحو أبيض وما أحوجه الى ذلك فلو أن الوزن عتيق لكان الأحرى ان تعتل بعض الاعتلال وتكون ahăga مثلا بدل أحوج والاوزان الأربعة المذكورة أخيرا يعنى فعلة وفعلة وفعيل وأفعل للتفضيل هى حية فى العربية كل الحياة فيمكن صوغها من أي مادة كانت عند الحاجة إلى ذلك ولم يبق وزن من الأوزان حيا على هذا المثال فى واحدة من سائر اللغات غير ان بعض الالحاقات كياء النسبة تلحق بكل الأسماء فى كل اللغات السامية ومن أبنية الاسم الفصيحة ما أثرت فيه اللغة الأرامية كفعال فى أسماء الصناع نحو نجار وطباخ فأقدمها معرب من الارامية ومنه النجار وهو فى الأرامية naggara ثم قيس باقيها على هذا القياس. وما بين حروفه حرف علة له خصائص فى بناء الاسماء كما هى الحالة فى الافعال منها أن فعيل كثيرا ما ينوب عنها فى المواد الجوفاء فعل نحو ميت وبين وهذه هى الصيغة العتيقة، وطويل وأشباهها حديثة. ومن المذكور أن الواو فاء الفعل تحذف فى المصدر إذا حذفت فى المضارع نحو ولدة وكتلد وهذا الحذف قديم نشاهده فى العبرية ايضا للدة فى العبرية ledet أصلها ladt بابدال الفتحة من الكسرة ودعة صارت فيها الكسرة فتحة للتشابه بينها وبين الحرف الحلقى بعدها وهبة بقيت فيها الكسرة وأصبحت فتحة فى يهب وتاء التأنيث فى الجميع عوض عن الواو المحذوفة ومما عوض فيه بتاء التأنيث عن مقطع ساقط الافعال والاستفعال من المواد الجوفاء على وزن إفادة واستفادة والتفعيل من المواد الناقصة على وزن تعزية وقد ذكرنا التعويض عن مقطع ساقط بالتنوين فى مثل جوار

والآن بعد الكلام عن بناء الاسماء نتكلم عن صرفها وهو الجمع والتأنيث الاعراب أما الجمع فشكله مما تنفرد فيه اللغة العربية ولا يشاركها فيه أو فى كثير منه إلا اللغة الحبشية والعربية أكثر انفرادا عن غيرها منها، فنجد الجمع الصحيح

وبالأخص المذكر منه قد انحصر حيزه فى اللغتين وشغل جزءا واسعا منه جمع التكسير الذى لا يوجد فى اللغات السامية الشمالية الا بعض الاصول له وأصل جمع التكسير أسماء الجملة وقد ذكرنا في المقدمة انها هى الاسماء التى تدل على جنس متركب من الافراد وهي كثيرة فى اللغات السامية وغيرها منها القوم والحى أى القبيلة والأهل والركب والقطيع من الغنم وغيره والغنم نفسها والضأن والطير الى غير ذلك ومعناها بين معنى الجمع ومعنى المفرد فهى تشبه الجمع فى أنه يعبر بها عن غير واحد من الافراد وتشبه المفرد فى أن القوم مثلا وان احتوى على عدد كثير من الناس فهو فرد يميز عن غيره ولذلك يمكن جمعه على اقوام وكثيرا ما اشتقوا من مادة اسم الجملة اسما دالا على الواحد أيضا نحو راكب واحد بخلاف الركب المحتوى على كثيرين منهم وكلاهما موجود فى العبرية والركب من rekeb والراكب roke̱b وقد تكون مادة الواحد غير مادة الجملة فى بعض الأوقات نحو القوم فالواحد منه رجل أو امرأة . واذا تساوى الاسمان اسم الجملة واسم الفرد فى مادتهما عرض أحيانا أن ينسب أحدهما الى الآخر فيصير اسم الجملة جمعا حقيقيا دالا على الافراد الكثيرة نحو قرى جمع قرية والدليل على ان قرى اسم جملة فى الاصل لا جمع هو وجودها فى الارامية وهى هناك qari á مع ان معنى quri á فى السريانية هو معنى الجمع ومفرده qrita لمقابلة لقرية وذلك إن قرى وان كان أصلها اسم جملة فقد صارت جمعا فى المعنى قبل افتراق اللغات السامية الجنوبية عن الشمالية فقرى من أقدم أمثلة الجمع المكسر في اللغة العربية. وتكلمنا حتى الآن عن الحالات التى يشتق فيها من مادة واحدة اسم فرد واسم جملة وكلاهما عتيق لا يمكننا تعيين ايهما اقدم من صاحبه وهذه الحالة نادرة وعلى العموم فأحدهما أصل والآخر مشتق منه فكثيرا ما اشتقوا من اسم الجملة القديم اسم وحدة بالحاق تاء التأنيث نحو شاه وشاة ونخل ونخلة ومنه اسم المرة الذى ذكرناه آنفا نحو المرة من المر ونجد فرقين بينه وبين سائر أسماء الوحدة أولهما . أن المصدر ليس باسم جملة واسم المرة ليس باسم عين كالنخلة والشاة وغيرهما ، والفرق الثاني أن اسم المرة يكاد ان يكون دائما على وزن فعلة وان كان المصدر على غير وزن فعل نحو قعدت قعدة والمصدر قعود واسم الوحدة كثير جدا في العربية وقد يوجد في العبرية وإن لم

يفرقوا بينه وبين اسم الجملة تفريق العرب بينهما مثال ذلك من العبرية šir أى غناء والأغنية الواحدة šira إلا أنه قد يوجد فى هذا المعنى šir أيضا ويوجد القليل منه فى الارامية نحو zaʿra أى الزمان و ʿata أصلها zbanta أى المرة هذا اذا كان اسم الجملة هو الاصل وبالعكس اذا كان اسم الفرد هو الاقدم اشتقوا منه اسم جملة ثم جمعا بتغيير بنائه كما انهم كانوا اشتقوا أبنية الفعل والاسم بعضها من بعض بتغيير الحركات والتشديد والحاق الزوائد وغير ذلك وأقدم مثل لذلك جمع الفعل على فعل ويتشارك فيه اللغات السامية الغربية غير أن العبريين والاراميين ألحقوا بهذا الجمع المكسر علامات الجمع الصحيح وقد يكون ذلك في العربية والحبشية مثال ذلك من العبرية melek أى الملك أصله malk وجمعه mlakim و seper اى الكتاب أصله sipr وجمعه sparim و qodeš أى القدس أصله qudš وجمعه qdašim و malka أى الملكة جمعها mlakot و šiphha أى الأمة جمعها šphahot ومن الأرامية ʾalpa أى الف جمعها ʾalpe و ʿesba أي العشب جمعها ʿesbe فيصير الحرف الشديد فى مفردها رخوا في جمعها وذلك لا يكون فى الأرامية إلا بعد حركة فنستدل بذلك على أن أصل ʾalpe هو ʾalape وأصل ʿesbe هو ʿesabe وان الفتحة حذفت بمقتضى القوانين الصوتية الخاصة باللغة الأرامية ومن ذلك فى الحبشية ʾab اى الأب جمعه ʾabau و ʾezn أى الاذن جمعها ʾezan وقد يلحق بمثله علامة الجمع الصحيح نحو kalb أى الكلب جمعه kalabat و helqat أى الحلق وجمعها helaqat وأما العبرية فلا يجمع على هذا المثال إلا المؤنث من فعلة أما فعلة فجمعها على فعل كثير وقد يلحق به الالف والتاء للجمع الصحيح وأما فعلة فلا يكاد يكون جمعها إلا بالحاق علامة الجمع الصحيح مثال ذلك قطعة قطع وأمة أمم وحلقة حلق ومثل ذلك بالفتحة نادر وسدرة سدرات وظلمة ظلمات . وقد تشبه الفتحة بالضمة قبلها فتصير ظلمات وطعنة طعنات وجمعت الأرض على هذا الوزن بأرضون لأنها مؤنثة والحقوا بها علامة الجمع المذكر لأنه لا تاء للتأنيث فى مفردها وزعم النحويون القدماء أن علامة الجمع في سدرات وظلمات وطعنات وماشا كلها هي الالف والتاء فقط وأن الفتحة

زائدة وإنا قد رأينا من مقابلة سائر اللغات السامية الغربية أن الأمر على ضد ذلك وأن الفتحة هي المؤدية لمعنى الجمع ثم زيدت فيه الألف والتاء فادخال الفتحة بين الحرفين الأخيرين من وزن فعل وفعلة هو ما سماه النحويون تكسيرا وهى عبارة جيده مصيبة فأنا نري كثيرا مايحرك فى جمع التكسير حرف ساكن فى المفرد أو يسكن متحرك أو تمد حركة مقصورة أو تقصر ممدوة وكل هذا من تضاد الصيغتين يعبر به عن تضاد المعنيين معنى المفرد والجمع وقد تلحق فى الجمع بآخر الكلمة اللواحق أو بأولها الهمز . ويصاحب كل ذلك كثير من إبدال الحركات وقد لا يفرق بين الجمع إلا به نحو نمر نمر وكبير كبار وبالعكس حمار حمير ، ومما تمد فيه الحركة مع الابدال جبل جبال وملك ملوك ، ومما تقصر فيه كتاب كتب وخادم خدم وساجد سجد بالتشديد علاوة على التقصير ، ومن تحريك الساكن حلقة حلق وقطعة قطع وأمه أمم التى ذكرناها قبل . وكثيرا ماتكون الحركة المدخلة ممدودة نحو بحر بحار ونفس نفوس وعبد عبيد وكوكب كواكب وقنديل قناديل ومن هذا الباب شاهد شواهد ورسالة رسائل أيضا مع إدخال حرف علة أو همز فى موضع الحركة الممدودة ، ومن إلحاق اللواحق بآخر الكلمة أخ إخوة وتاج تيجان ويتيم يتامى . وكثيرا ما يجمع بين علامتين من علامات جمع التكسير أو أكثر من ذلك مثال ذلك الجمع بين المد والتقصير فى مثل قائم قيام وواقف وقوف وحاكم حكام بالتشديد علاوة عليهما . ومن الجمع بين المد والالحاق حجر حجارة . وبين التقصير والالحاق كافر كفرة وقاض قضاة وضعيف ضعفة وعالم علماء وفقير فقراء . ومن الجمع بين التحريك والالحاق ترس ترسة وجورب جواربة وتلميذ تلامذة ، وتعوض تاء التانيث فيها عن مد الكسرة وسكران سكارى والاسكان يرافقه دائما إلحاق الهمزة باول الكلمة أو إلحاق اللواحق بآخرها إلا فى مثل راكب ركب واحمر حمر وقد تلحق بآخر ذلك لاحقة نحو أسود سودان ، أما ركب فليست بجمع فى الحقيقة بل هى اسم جملة معناه غير معنى الركاب جمع الراكب وأما احمر وحمر فنشاهد فى المفرد منهما الهمزة ملحقة بأول الكلمة وهى ساقطة فى الجمع والحالة على العموم ضد هذه فانا

نرى الجمع كثيرا ما تلحق فيه باول الكلمة الهمزة مع إسكان فاء الفعل نحو شريف أشراف ومطر أمطاروصاحب أصحاب وفيها مد مع الاسكان والالحاق وذراع أذرع وفيها تقصير علاوة عليهما ولسان ألسنة وصديق اصدقاه فيعوض فيهما عن مد الحركة بالحاق اللاحقتين ، ونفس أنفس وحكم احكام بالتحريك مع الاسكان والالحاق . ومن الجمع بين الاسكان وإلحاق اللواحق بآخر الكلمة فتى فتيان وراهب رهبان وغلام غلمان أو غلمة وقتيل تتلى . وتاء التأنيث إذا وجدت فى المفرد لم تؤثر فى صيغة الجمع في كثير من الحالات نحو روضة رياض كثوب ثياب وصحيفة صحائف كضمير ضمائر . وكذلك ياء النسبة نحو اشعى أشاعثه غير أن تاء التأنيث تعوض هنا عن الياء . . ومن خصائص العربية حصر بعض صيغ جمع التكسير وهي فعلة وأفعل وأفعلة وأفعال فى القلة أى في عدد دون العشرة وأما جمع الجمع نحو بلد بلاد بلدان أو كلب أكلب أكالب أو أرض أرضون أراض فيوجد مثله فى الحبشية أيضا نحو amlak يعني الملك وهو جمع على وزن أفعال من مفرد مفقود وجمعه amalekt

ننتقل الآن من جمع التكسير الى الجمع الصحيح وعلامته فى المؤنث at وهى سامية الأصل وفى المذكر المرفوع u وفى المجرور والمنصوب i كما هى فى الاكدية العتيقة نحو nisu ، nisi أى الناس والضمة الممدودة هى علامة الجمع المرفوع فى الفعل أيضا كفعلوا وافعلوا ويتضح من ذلك أنها من العناصر الأصلية للغات السامية . ويلحق بهما في العربية النون المفتوحة إذا كانتا غير غير مضافتين كما أنها تلحق بالمضارع مرفوعا نحو يفعلون وكالحاق النون المكسورة بالتثنية الغير المضافة نحو يدان ويدين وربما كان أصل يدان iadāna فأبدلت الفتحة بالكسرة لتتابع الحركتين المثلين . وقد توجد في العربية علامة للجمع قديمة جدا وهى الهاء وتنحصر فى الأسماء الثنائية ولا تنفرد وحدها بل يصير الاسم بزيادتها ثلاثيا ثم يجمع بالجمع الصحيح أو المكسر مثال ذلك من الجمع الصحيح أب كان جمعها abahat هو في الارامية abahata وقيس عليه أم أمهات وان لم تكن الأم من الأسماء الثنائية فقديم أيضا يشاكله في الارامية emmahata

وسنة سنهات وعضة عضهات ومنه فى العبرية amahota وهى في الأرامية amhata أى الأماء ولا جمع على الهاء من أمة فى العربية ومن جمع التكسير بالهاء شفة شفاه وشبهه فى الأرامية seFhata وماء مياه وشاء شياه واست ستاه والتثنية كثيرة الاستعمال في اللغة العربية اتسع فيها حيزها الأصلى فهي فى اللغة السامية الأم وكذلك في أكثر اللغات التى توجد فيها كالهندية والايرانية والغربية كانت تشير الى شيء مع شيء آخر شبيه به يرافقه طبعا وأكثر ذلك فى أعضاء البدن فاليدان معناها الأصلى اليد الواحدة مع الأخرى أي الزوج منهما فالشيئان هنا متلان ولم يكن ذلك بضرورى بل كان يكفى ارتباطهما ببعضهما حقيقة أو فكرا دون غيرهما مثال ذلك القمران أي القمر والشمس معا زوجا أو العمران أى عمر وأبو بكر معا زوجا وقد سقط هذا عن الاستعمال فاستعاروا التثنية فى معنى العدد المجرد عن الزوجية فقالوا مثلا يومان مع انه لا ارتباط لهما ببعضهما دون غيرهما وهما اثنان من كثير. والتأنيث والتذكير من أغمض أبواب النحو ومسائلها عديدة مشكلة ولم يوفق المستشرقون إلى حلها حلا جازما مع صرف الجهد الشديد في ذلك فنكتفى بتعدادها والاشارة الي بعض الطرق المسلوكة لحلها . إن أكثر الأسماء والضمائر العربية والسامية ينقسم الى مذكر ومؤنث والذى يربط كل الأسماء والضمائر المذكرة مع بعضها وكل الاسماء والضمائر المؤنثة مع بعضها أيضا ويدل على أن الكل جنسان لا أكثر ولا أقل متفارقان متخالفان هو الاتباع. والاتباع هو القاعدة التى بمقتضاها لا يتبع الاسم المذكر إلا مذكر صفة أو خبرا أو فعلا وكذلك في المؤنث فكان من المنتظر أن يكون لكلا الجنسين أو لأحدهما علامة مميزة خاصة به يشترك فيها كل الأسماء المنسوبة اليه وأن يكون لعد كل واحد من الأسماء بين أسماء الجنس الواحد دون الآخر سبب مفهوم ظاهر والأمر فى الحقيقة على ضد ذلك من كلتا الجهتين فأما العلامة فانا وان صرفنا نظرنا عن الجمع والضمائر واسماء الاشارة وجدنا ان فى العربية للتأنيث ثلاث علامات لا علامة التاء والالف المقصورة نحو صغرى وغضبى والالف الممدودة نحو بيضاء ونجد كثيرا من الأسماء المؤنثة مجردة من كل علامة فتشبه المذكرات. وليس بين الاسماء

الموصوفة فقط نحو الأم والبد بل وبين الأوصاف أيضا نحو امرأة حامل وامرأة قتيل وجاء فى القرآن الكريم «إن رحمة الله قريب من المحسنين» وبالعكس فبعض الاسماء الملحقة بها التاء مذكرة نحو العلامة والخليفة والرواية . وإذا اطلعنا على الجمع رأينا جمع التكسير يتبع فى بعض الأوقات كأنه مذكر مجموع وفى بعضها كأنه مؤنث مجموع وفى أكثرها كأنه مؤنث مفرد بغير رعاية لمفرده أكان مذكرا أم مؤنثا . وأما الجمع الصحيح فنجد علامة المذكر منه تلحق بالاسم المؤنث فى بعض الحالات نحو أرض أرضون وسنة سنون ومائة مئون وعلامة المؤنث منه تلحق بالاسم المذكر فى الكثير منها نحو اصطلاح اصطلاحات ومخلوق مخلوقات . ومن جهة المعنى كان المأمول أن تكون اسماء كل الذكور من الحيوانات مذكرة واسماء الاناث مؤنثة ثم يشبه سائر الاسماء بأيهما كان والامر ليس كذلك وانه وان كان الرجل مذكرا والمرأة مؤنثة والحمار مذكرا والاتان مؤنثة إلى غير ذلك فلا رعاية للذكورية والأنوثية في أسماء كثير من الحيوانات نحو الضبع والارنب والعقاب والأفعى والعقرب واختلفوا فى بعضها والشاة والحمامة ومثلهما من أسماء الوحدة فكلها مؤنث دلت على حيوان ذكر أو على أنثى . وأما معنى تاء التأنيث بالاخص فهو كثير الاضطراب والتخالف فنراها لا تدل على الأنوثة فى الأصل البتة وذلك أنا نجد اللغة لم تستخدم التاء لتمييز الذكر والأنثى فى الزمان القديم بل فرقت بينهما بمادة الاسم نفسها نحو ما ذكرناه من الرجل والمرأة والحمار وغير ذلك واستغنت عن التاء فى الصفات الخاصة بالاناث نحو طامث وحامل ثم نجد تاء التأنيث للذم نحو إمعة أى الرجل يتابع كل أحد على رأيه وللمدح نحو علامة ، ونجدها لاشتقاق اسم العين نحو ذبيحة أى ما سيذبح من النعم من ذبيح أى مذبوح والاشتقاق اسم المعني نحو الماهية ، ونجدها الوحدة نحو حمامة وثمرة وللكثرة نحو صوفية وسابلة ونراها تحذف فى جمع بعض ما توجد في مفرده نحو قطعة وقطع وتلحق فى بعض صيغ الجمع نحو أفعلة وفعلة وفعالة وهى لا توجد فى المفرد الى غير ذلك .

فالخلاصة أنه من المحال أن يكون تقسيم الاسم الى مذكر ومؤنث والتعبير

عن هذا التقسيم باللواحق المستعملة في اللغات السامية أصليا بل نضطر الى أن نفرض أن الأسماء كانت تقسم في الزمان القديم تقسيما أكثر تفرعا من الحاضر ولا نعرف أكان تمييز المذكر والمؤنث من ذلك التقسيم الأصلي أم مازجه حديثا . وربما كان للغة السامية الأم أصناف من الأسماء متعددة على نحو ما نشاهده في كثير من اللغات خصوصا لغات Bantu الشاغلة قسما كبيرا من أفريقية وأما تاريخ لواحق التأنيث على حدتها فالتاء مع الفتحة قبلها أي aᵗ سامية الأصل ويدل على قدمها وجودها في ماضي الفعل نحو فعلت وقد ذكرنا ذلك وكثيرا ما كانت الفتحة تحذف في اللغة السامية الأم ولم يبق من ذلك في العربية الا القليل نحو بنت وثنتان مؤنث tinani وكلتا مؤنث كلا . والألف الممدودة لا يقابلها في اللغات السامية إلا القليل والألف المقصورة توجد في العبرية والآرامية وهي أحيانا aⁱ نحو Sara i اسم علم في العبرية و tuʿja i أي الضلالة في السريانية وأحيانا تكون e نحو ʿesre أي عشرة في العبرية و ʾohre في الارامية العتيقة وهي تطابق تماما (أخري) العربية . وفي العربية آثار لاحقة رابعة للتأنيث هي i منها يالكاع أي يا امرأة لئيمة وقطام اسم علم لنساء وكلاهما وا من جنسهما مبني على الكسرة المقصورة وأصلها ممدودة وربما كان منه كراهية ما وعفريت بالحاق تاء التأنيث بالياء وفي الأولى فتحة قبل التاء على العادة والثانية لا فتحة فيها كما ذكرناه من بنت وغيرها ، وقد تلحق بالألف الممدودة بدل تاء التأنيث نحو كبرياء .

والأعراب سامي الأصل تشترك فيه اللغة الأكدية وفي بعضه الحبشية ونجد آثارا منه في غيرها أيضا غير أن العربية ابتدعت شيئين : الأول إعراب الخبر والمضاف وتتفق في بعض ذلك مع أخواتها ، والثاني عدم الانصراف في بعض الأسماء . وتنفرد بذلك عن غيرها . أما الأول فنرى اللغة السامية الأم كان خبر الجملة الاسمية فيها غير معرب مبنيا على الجزم والدليل على ذلك هو ماضي الأفعال اللازمة نحو قرب فقد كنا أقررنا انه من أقدم صيغ الفعل سامي الاصل فنرى مثل قربتن أصلها جملة اسمية بخبر مقدم ومبتدأ مؤخر يعني qribtinna

و arib في ذلك مماثلة لقريب التي أشتقت منها بعد الكسرة فنجدها مبنية على الجزم ، ليس فيها إعراب ولا علامة للجمع ولا للتأنيث وهذه أقدم هيئة للجملة الاسمية في اللغات السامية وزالت عن الاستعمال إلا أنها بقيت في ماضي الفعل والسبب في ذلك أنه في وقت تغير تركيب سائر الجمل الأسمية يعني وقت ما ابتدعوا إعراب الخبر كانوا نسوا أن أصل الماضي جملة اسمية أيضا فتعودوا على تلقيه كصيغة بسيطة من صيغ الفعل مثل المضارع والأمر . وهذا مثال لحادثة كثيرة الوقوع في تاريخ اللسان وهي الانفراد والارتباط ومعنى ذلك أن بعض عناصر اللغة ينفرد عما كان مرتبطا به في الصيغة ويرتبط بما لم يكن له ارتباط به في الصيغة بل يقرب منه في المعنى أو بالعكس كما أنه في مثالنا انفرد ضرب من ضروب الجملة الاسمية وهو المتركب من وصف وضمير عن سائر ضروبه وارتبط بالفعل ولم يكن من صيغه قبل ذلك وسبب ارتباطه بالفعل اقترابه منه في المعنى .

ولنرجع إلي إعراب الخبر فنقول إن الخبر بعدما كان في الأول غير معرب شبه بالوصف المعرب وكان ذلك تدريجا من درجتين ونشاهد الأولى منهما في ماضي فعل أيضا يعني مثل قربت وقربوا فقد بينا قبل أن الغائب من الماضي يختلف عن المتكلم والمخاطب منه في أنه ليس فيه ضمير على نحوهما فقربت وقربوا وأمثالهما ليست بجمل اسمية كقربتين وما ماثلها بل قربت مثلا هي في الأصل خبر مبتدأه مظهر أو مضمر غائب نحو قربت المرأة أو قربت هي ثم ارتبطت بقربتن وما غيرها من صيغ المتكلم والمخاطب فكون الكل نظاما جديدا هو ماضي الفعل. ولأن صيغ المتكلم والمخاطب منه تحتوي على الضمير صاروا يفهمون صيغ الغائب أيضا كأنها تشتمل عليه في حالة وقوعها بغير مبتدأ مظهر فأصل قربت خبر جملة أسمية ومع ذلك أنثت وإن لم تعرب ، وقربوا جمعت وقربن أنثت وجمعت ، فهي الدرجة الأولى في تشبيه الأخبار بالأوصاف فنرى أن نظام الماضي مركب من نوعين من البناء أحدهما وهو المتكلم أو المخاطب أقدم في صيغته من الآخر وهو الغائب ومع ذلك فكلاهما سامي الاصل كانا ثابتين مستعملين قبل افتراق اللغات السامية. والدرجة الثانية وهي التي نشاهدها في العربية إعراب الخبر بعد إلحاق علامات التأنيث

والجمع به .. وأما المضاف فهو غير معرب فى الأكدية فى كثير من الحالات نحو ili palih أي متقى الآلهه و awelim alap أى نور انسان أصلها alp على نحو alp u معربه ونجد فى العبرية والآرامية ما يدل على أن المضاف لم يكن معربا فيهما أيضا فيظهر أن إعرابه من ابتداعات اللغة العربية .. وأما عدم انصراف بعض الأسماء نحو يغوث وعمر وطاحة وهند وأبيض وبيضاء وكثير من أبنية جمع التكسير ، فهو من غرائب اللغة العربية لا نظير له في غيرها . ومما يدل على حداثته أن كل الاسماء الغير المنصرفة يمكن انصرافها فى الشعر ، والشعر كثيرا ما يحافظ على القديم بخلاف الحديث ومعلوم أن الانصراف مقصور على حالة التنكير فانا نرى الابيض مثلا جره الابيض بالكسرة وابيض منكرا جره ابيض بالفتحة . وذلك يدل على أنه كانت بين عدم الانصراف والتنكير علاقة أصلية وكثرة وقوع عدم الانصراف في الأعلام يدل على ضد ذلك فى الظاهر . وحقيقة الامر أن التنوين وإن كان علامة التنكير فى كل ما بقي من مستندات اللغة العربية فربما كان فى الاصل علامة للتعريف فقد ذكرنا أن أصل التنوين هو التميم وإنا نرى للتميم آثارا من معنى التعريف فى الأكدية العتيقة فان قال قائل فكيف يمكن أن يصير ما كان يشير الى شيء واحد فى الأول مشيرا الى ضده فيما بعد قلنا إن مثل ذلك ليس بمحال فى حياة اللسان . وقد نشاهد فى تاريخ اللغة الآرامية طبق ما فرضناه من تبادل التعريف والتنكير ، وذلك أن أداة التعريف كانت فى الارامية العتيقة فتحة ممدودة ملحقة بآخر الكلمة نحو šum أى اسم و šmā أى الاسم وربما كان أصل الفتحة الممدودة hā التى هى آلة التعريف في العبرية غير انها تلحق فيها بأول الكلمة نحو šēm أى اسم ، haššēm اى الاسم وتشديد الشين فيها عوض عن مد الحركة ثم بعد ذلك صارت أداة التعريف فى اللغة الآرامية تخلق بالاستعمال الكثير وتضعف قوتها المعرفة . ومثل ذلك كثير فى تاريخ اللغات فنجد الفتحة الممدودة فى السريانية تلحق بأكثر الأسماء معرفة كانت أم نكرة نحو mdittā ḥdā أصلها mdintā أى مدينة واحدة أو بالأحري إقليم واحد إلا فى قليل من الأسماء وخصوصا إذا كانت خبرا نحو kātēb-nā أى أنا كاتب المذكورة آنفا

وبسبب ضعف آلة التعريف العتيقة احتاجوا إلى وسائل جديدة لتأدية التعريف فاخترعوا كثيراً منها في اللغات الآرامية على اختلافها فأدى ذلك الى أن كل كلمة لا يوجد معها إحدي تلك الأدوات الجديدة تلقى كأنها نكرة وإن ألحقت بآخرها الفتحة الممدودة فصارت هي علامة للتنكير وهذه هي الحالة في بعض اللهجات الآرامية الدارجة وبالأخص في لهجة طور العابدين مثال ذلك hmoro أصلها ḥmārā أي حمار و ḥmārā-u أي الحمار، غير أن الـ o لا تحذف في لهجة طور العابدين مع إلحاق آلة التعريف كما أن التنوين يحذف في العربية بعد الألف واللام. فنستنتج من هذا المثال أنه من الممكن أن يكون التنوين قد كان في الأصل أداة التعريف ثم ضعف معناه المعرف فقام مقامه الالف واللام فصار التنوين علامة للتنكير .. فاذا كان الامر كذلك فهمنا سبب وجود التنوين في كثير من الأعلام القديمة نحو عمرو وزيد . ونفهم أيضا سبب انعدامه في بعضها نحو عمر وطلحة وهند. فان العلم معرف في نفسه لا يحتاج الى علامة للتعريف وإن أمكن أن تلحق به . فنرى أكثر الأعلام بغير علامة تعريف في الفرنسية والانكليزية والألمانية وغيرها وهي موجودة مع القليل منها نحو le havre بخلاف paris . ولو كان التنوين علامة للتنكير في الأصل لكان إلحاقه ببعض الأعلام صعب الفهم جدا. فما قلناه ربما يبين سبب عدم التنوين في الأسماء الغير المنصرفة بعض التبيين وإن لم يوفقنا الى معرفة سبب تطابق الجر والنصب فيها وهذه المسألة أصعب من تلك .. ومن مسائل الاعراب تطابق الجر والنصب في الجمع المؤنث الصحيح نحو بنات فيظهر أن يكون سببه صوتيا لا علاقة له مع نفس الاعراب فلو كان النصب banātan لتبع الفتحة الممدودة فتحة مثلها فتخالفت فصارت الأخيرة كسرة ومما يدل على صحة هذا الرأى أن بعض الكلمات التي آخرها at وهي ليست بعلامة الجمع المؤنث الصحيح قد تنصب بالكسر أيضا.

ومن مسائل الأعراب أصل الفتحة الانهائية في تحت وقبل وبعد وأشباهها فهي علامة للظرفية وتوجد في الحبشية ممدودة على أصلها نحو taḥtā أي تحت وفي الأكدية وهي فيها مضافة الى الضمائر المتصلة نحو ellamuā أي أمامي والعربية

على عدد ذلك بان المضاف من مثل تحت ينصب فيها نحو تحته أو يخفض بعد جار نحو من تحته .. وآخر ما بقى علينا تناوله في هذا الباب هو أسماء العدد فأحد سامية الأصل وواحد مشتقة منها وربما كان أصلها الافتعال وهو اتحد وكان يمكنهم أن يصيغوه هكذا على قياس اتخذ من أخذ وإذ أن أكثر أشباه أتحد أصل فائها الواو ونحو اتكل كانوا يستطيعون أن يشتقوا من اتحد مادة جديدة هى وحد . والفرق في المعنى بين أحد وواحد معروف وهو مثال ما قلناه من أن العربية تميل الى التخصيص فاستفادت من وجود شكلين لكلمة فلم تستعملهما مترادفين بل فرقت بينهما وخصصت كل واحد منهما بمعنى ووظيفة غير ما لصاحبه . والخمس في العبرية hāmeš وفي الآرامية ham meš فيظهر أن أصلها hamiš ثم حذفت الكسرة فى العربية وكذلك فى الحبشية والاكدية أيضا فالخمس فيهما han s و hamšu وقد تكلمنا عن مثل هذا الحذف .. وقد ذكرنا الاثنين والست وأصلهما فيما سبق وكل الأعداد من الاثنين الى التسع لها مؤنث يوافق مذكرها والعشر على غير ذلك . فالشين ساكنة فى المذكر متحركة فى المؤنث أى عشرة وإذا ضم اليها عدد من الاعداد دونها فالشين متحركة فى المذكر ساكنة فى المؤنث نحو ثلاثة عشر ثلاث و عشرة وذلك مع ما فيه من الغريب قديم جدا نجد مثله فى العبرية فالعشر فيها ʿeser والمؤنث ʿsara وثلاثة عشر فى العبرية šlošā ʿasar وثلاث عشرة šloš ʿesre و ʿesere تختلف عن عشرة فى أن حركة العين أصلها الكسرة لا الفتحة وأن علامة التأنيث هى الالف المقصورة لا التاء فنجد هذه الصيغة بعينها بين الاعداد العربية أيضا . وذلك فى إحدى ولا يبنى مؤنث أحد على هذه الصيغة فى غير اللغة العربية . والعشرون مثل ʿesrim فى العبرية و ʿesrin فى الارامية وأصلها العشران تثنية عشر مثل ʾešra فى الاكدية و ʿesra فى الحبشية . ونقيس بها على الثلاثين وما يتلوها فى العربية والعبرية والارامية . والعين مكسورة والشين ساكنة فيها كلها كما هما فى المؤنث العبرى ʿesre والثلاثون جمع الثلاث وكذلك الى التسعين ، وفى الأكدية والحبشية قيس بها كلها على ʾišra نحو šelasa و salasa ، فهذا من أمثلة الاتفاق الحديث

بل الاختلاف القديم . فالأصل هو التثنية في العشرين والجمع فيما بعدها ثم صارت كلها جمعا فى بعض اللغات السامية وكلها تثنية فى باقيها . ومن المعلوم أن الأعداد من الثلاثة الى العشرة تضاد المعدود فى الجنس أى تكون مؤنثة إذا كان هو مذكرا أو بالعكس نحو ثلاثة رجال وثلاث نسوة وكذلك الثلاثة الى التسعة إذا ضمت إلى العشرة ، والعشرة نفسها توافق المعدود نحو ثلاثة عشرة رجلا وثلاث عشرة امرأة . وهذه القاعدة سامية الأصل وهى من أغرب خصائص اللغات السامية وبذل العلماء الجهد الشديد فى حل مسألة أصلها ولم يوفقوا الى ذلك . وأما جر المعدود ونصبه وإفراده وجمعه وتعريفه وتنكيره وتقديمه وتأخيره فلكل ذلك قواعد ثابتة بينة لا تخلى من فرصة الاختيار إلا اليسير . وهذه الحالة ليست أصلية بل سببها ميل العربية الى التحديد والتقييد فنجد فى العبرية مثلا أمثلة لأكثر التركيبات المألوفة فى العربية والتركيبات أخرى معها فحيز الاختيار أوسع بكثير منه فى العربية مثال ذلك أن سبعون رجلا في العبرية šibʿîm ʾanāšîm بالجمع أيضا ويوجد مثل šibʿîm ʾîš بالمفرد وصيغة فاعل فى الثانى والثالث الى آخر ذلك خاصة باللغتين الساميتين الجنوبيتين يقابلها فى العبرية مثلا šlîšî وفى الآرامية tlîtāi أى ثالث ī و āi هما ياء النسبة ، وأصل معنى ثالث مثلا هو الذي يكون الثلاثة ويكملها بعد ما كانت اثنتين قبل ذلك ، وصيغة فعل فى الثلث الى آخره سامية فى العبرية ḥōmeš وفى الآرامية ḥumšā ، وصيغة مفعل فى المثلث والمربع إلى آخر ذلك خاصة بالعربية .

# الباب الثالث

## فى التركيبات

نقسم هذا الباب الى خمسة أقسام : الأول فى شبه الجملة . والثانى فى الجملة بسيطة . والثالث فى تركيب الكلمات فى داخل الجملة . والرابع فى أنواع الجملة . والخامس فى تركيب الجمل .

القسم الاول . أكثر الكلام جمل والجملة مركبة من مسند ومسند اليه فان كان كلاهما اسما أو بمنزلة الاسم فالجملة اسمية ، وإن كان المسند فعلا أو بمنزلة الفعل فالجملة فعلية . ومن الكلام ما ليس بجملة بل هو كلمات مفردة أو تركيبات وصفية أو إضافية أو عطفية غير إسنادية . مثال ذلك النداء فأن (ياحسن) ليس بجملة ولا قسم من جملة وهو مع ذلك كلام ويشبه الجملة فى أنه مستقل بنفسه لا يحتاج إلى غيره مظهرا كان أو مقدرا بخلاف مثل قولى «أمس» جوابا عن السؤال «متى جئت ؟» فأن تقديره «جئت أمس» فأمس وأمثالها جمل ناقصة والنداء وأمثاله نسميها أشباه الجملة . فشبه الجملة اسم فى أكثر الحالات ولا يمكن أن يكون فعلا لأن الفعل يساوى الجملة الكاملة فأكثر أشكاله مركبة من ضمير هو المسند اليه ومن مادة الفعل وهي المسند نحو فرحت أصلها farih tta أى فرح أنت ، وما ليس بمركب من الأثنين فيقاس به على الباقي وذلك أنا قد ذكرنا أن الغائب من الماضى نحو فعل وفعلوا لا يحتوى على ضمير بل أصله اسم ، ففعل وفعلوا وأمثالهما في الحقيقة أشباه جمل لا جمل إلا أنهم تلقوها كالجمل الكاملة لما بينها وبين المتكلم والمخاطب من الارتباط . ومثل ثان وهو الأمر فهو مجرد مادة الفعل المضارع بغير ضمير فيقارب ما سماه النحويون بالأصوات interjections وكثير منها يفيد أمرا نحو مه للزجر والمنع عن الشيء وقد يشتق من الصوت المؤدى معنى الأمر فعل مثال ذلك نخ صوت إناخة البعير اشتق منه فعل الاناخة

فالأصوات من أشباه الجملة والأمر كان منها في الأصل غير أنه أدخل نظام الفعل بمنزلة واحد من أشكال المخاطب مع أنه لا يوجد فيه ضمير للمخاطب أصلا وإذا صرفنا نظرنا عن غائب ماضى الفعـل وعن الأمر وعن الأصوات أيضا لم يكد يبقى من بين أشباه الجملة إلا الأسماء ، فالاسم إذا كان شبه جملة مرفوع فى بعض الحالات ومنصوب فى أكثرها. أما الاسم المـرفوع فمعناه وجود الشىء نحو ( يومان يوم لـذا ويوم لذا ) معناه كان أو أعرف يومين أو مثل ذلك . ولا يظن أحد أن كلمة كان حذفت فى مثل ذلك بل لا حاجة اليها فى الأصل والاشارة الى الشىء بالنطق بأسمه كافية فى الدلالة على وجوده والعربية لما فيها من الميل الي التحديد حصرت استعمال هذا النوع من أشباه الجملة فلا يوجد فى الكلام الاعتيادى الا فى تركيبات معينة منها الذى أتينا بمثال له وهو ضم جملة وصفية أو شبيهة بالوصفية الى الاسم القائم مقام جملة وأكثر ذلك إذا كان الاسم تثنية أو جمعا كما هو فى مثالنا ، ومنها ( إذا ) مع اسم مرفوع بعدها مثاله من الحديث ( إلتفت فاذا النبى ) معنـاه فكان النبى موجودا ، وقد يدخل على الاسم التالى لأذا الباء نحو ( بينما هو يسير إذا برهج ) ومعني الباء هنا يتضح من مثل ( فلما توسطت الدرب إذا أنا بصوت عظيم ) أى إذا أنا شاعر بصوت عظيم غير أنه لا لزوم لتقدير ضمير فى ( إذا برهج ) بل معناه إذا شعور برهج فهى من أشباه الجملة أيضا ليست جملة كاملة وقد لا يكون الاسم المرفوع شبه جملة بل خبر مبتدإ محذوف يمكن تقديره مما سبقه مثال ذلك ( لما حملت عليه السيف ولول فاذا امرأة ) أى فاذا هو أو هى أمرأة بتقدير المبتدأ من فاعل ولول . ومن هذه التركيبات ( لولا ) مع اسم مرفوع بعدها نحو ( لولا دعاؤكم ) أى لولا أن وجد دعاؤكم ولولا أنت . وقد ينوب الضمير المتصل عن المنفصل نحو لولاك وهى فى الأصل غلط وقيس بها على ( إنك ) وأمثالها . ومنها مثل حسبك أى هـذا حسبك أو الأمر حسبك . . هذا ما يوجد من هذا النوع فى الكلام العادى الهادىء وأما عند هيجان النفس فيستعمل فى غير التركيبات المذكورة أيضا . . ومن مزايا العربية أنها مع تقييدها للكلام الهادىء الاعتيادى مثال ذلك من بابنا ( أميران

هلك القوم ) قاله القائل مغضبا هائجا فأميران اسم شبه جملة معناه وجد أميران ولا ارتباط بين ( أميران ) وبين مايتلوها . وكلتا الحالتين يعنى استعمال شبه الجملة والاستغناء عن ربط الجمل بعضها ببعض من خصائص مبادىء اللغات ومن بقايا حالها الأولية البسيطة ولو لم تهج نفس القائل بل كان غافلا مطمئنا يؤدى فكرا لايمازجه شيء من الغضب أو مثله لقال ( إنا نجد للقوم أميرين فنخاف ان يهلك ) أومثل ذلك .. والكلام الخاص بهيجان النفس جنسان : أحدهما متكون من كثير مما يتكلم به بين الناس فى مداعياتهم اليومية وتعاطيهم وخصوصا عند أقوام البلادالجنوبية والسامية من بينها فانا نراها أكثر حدة وتحركا من شعوب الشمال . وإذا قرأنا الكتب كدنا أن ننسى حقيقة موقف اللسان فى حياة الأنسان فان الكتب مملوءة بالكلام الساكن المستوي. والجنس الثانى من الهيجان هو إلهام الشعر فنرى الشعر يميل الى مثل ما يميل اليه الكلام الخاص بهيجان النفس من ترك الربط واستعمال أشباه الجملة وغير ذلك ..وضد وقوع الاسم وحده للدلالة على وجود الشيء هو وقوع الاسم منفيا للدلالة على عدم الشيء فـ ( لابد ) وما يماثلها من نفى الجنس من أشباه الجملة ايضا ومعناه لا يوجد بد فهذا التركيب ثابت في العربية مألوف وميزوه عن غيره بنصب الاسم والنصب يدل على أن نفى الجنس وإن كان معناه ضدما ذكرناه قبل من اثبات وقوع الشيء بالاسم المرفوع على حدته فأصله غير أصل ذلك . فنرى النصب كثير الاستعمال فى أشباه الجملة المقاربة للهتاف والنداء والهدبة بخلاف الاخبار ومن ذلك النداء نفسه نحو ياعبد الله مع أننا نجد الرفع فى ياغلام وأمثالها وسبب هذا الفرق غامض .. وأما عدم التنوين في ياغلام فلأن المنادى يشبه المعرف من جهة أن الغلام المنادى مثلا هو غلام واحد بعينه فيعدم المنادى التنوين كما يعدمه المعرف بالألف واللام ومما يؤكد ذلك أنهم كانوا اذانادوا واحداغير معين من جماعة الحقوا به التنوين للاشارة الى التنكير نحوياغلاما أى ياواحدا من الغلمان وهذا نادر والسبب فى ذلك أنهم فى باب التعريف لم يكونوا يقتصرون على عد الأشياء المعروفة المعينة معرفة بل يتعدونها الى الأشياء التي

إنما تعين وتعرف بما يقال عنها في المحل نفسه وهذه القاعدة قديمة نصادفها في العربية مثال ذلك basseper kāṯaḇ أصلها b أي بـ بمعنى في و ha أي آلة التعريف يعني كتب في الكتاب وليس المعنى أنه كتب في كتاب معين مذكور من قبل معروف بل في كتاب واحد غير معين ولا مذكور قبل لا يعرف إلا نفس هذا القول بانه كتب فيه فيمكننا أن نترجم هذه الجملة كتب في الكتاب الذى كتب فيه والمنادي نحو ياغلام مثل هذا فانه وان لم يكن الغلام معينا من قبل فهو يعين بالنداء نفسه فيكون كالمعرف. و«يا» لا تقتصر على النداء الحقيقي بل تتعداه الى شبه النداء نحو يا عجبا ويوجد مثله بغير يا نحو مرحبا كما أن النداء أيضا قد يستغني فيه عن يا، ومن هذا الجنس النصب للتعجب نحو شتان بينهم، ورب رجل جاءني، وربما قام زيد. والأمر نحو رويدا وضرب الرقاب، وللتحذير نحو رأسك أو الأسد، ويوجد في مثل أشباه الجمل المذكورة غير الأسماء الموصوفة أيضا وخصوصا الظروف نحو اليك أى تنح. وأما أصل النصب في نفي الجنس النداء وما يشاكله فيدل عليه ما نشاهده في رسم القرآن من الياء بدل الألف في ياحسرتى فنرى من ذلك أن الفتحة كانت ممالة في لهجة الحجاز فلم تكن فتحة النصب بل كانت عنصرا غيرها. وان أثبتنا ذلك في ياحسرتى لزمنا أن نثبته في ياعجبا أيضا فانه لا فرق بينهما مع أن القدماء فرقوا بينهما وذلك لتخالفهما في الأملاء فقط وسبب الاختلاف في الأملاء أن (ياعجبا) ومثلها لا يوجد في القرآن الكريم فلم يؤثر في املائها رسم القرآن. فالمرجح ان أصل الفتحة الممدودة في ياحسرتى صوت مثل حرف الندبة في نحو وازيداه ثم تلقوه كأنه فتحة النصب الممدودة على الوقف بغير تنوين نحو ياعجبا وظنوا انها في الوصل ياعجباً ولم تكن تقع كذلك في الوصل أبدا لكونها إما أن يلفظ بها على حدتها فكانت في الوقف أو تضاف إلى كلمة غيرها نحو ياعبد الله إلا أنه أخيرا أصبح النداء وما يشاكله نصبا حقيقيا في شعور الناطقين فقاسوا عليه فقالوا مثلا إياك بمعني احذر، وفي النداء عبارة ثانية في العربية وهي أيها الرجل فأيها مركبة من أى وهى اسم من أسماء الاستفهام ومن ها وهي عنصر إشارى فـ (أيها) تماثل (هذا) المركبة من ها

ذاتها ومن ذا بدل أى فـ ( هذا الرجل ) معناه كأنى قلت الرجل الذى أشير اليه أي ها وهو هنا أى ذا ومعني ( أيها الرجل ) كأنى قلت الرجل الذى أشير اليه وأريده وهو أيها فأيها الرجل من أشباه الجملة أيضا غير أنها من النوع الاول اى من الاسم المرفوع على اثبات وجود الشيء . . . وانواع أشباه الجملة على اختلافها قد تقرب فى بعض الاحيان الى الجمل الكاملة وذلك يكون على وجهين إما باعمالها عملا كعمل الافعال أو بعطف اثنين منها بعضها على بعض ، ومثال الأول دونك أخاك أى أعن أخاك فاعملوا دونك عمل الفعل المتعدى فصار التركيب أشبه مايكون بجملة كاملة ولذلك سمي القدماء دونك وامثالها وهى كثيرة اسماء الافعال ، ومثال الثانى إياكَ والأسد فهى من جهة المعني متساوية لجملة كاملة اى احذر الاسدوان لم تكن جملة فى الحقيقة . والاسمان فى هذا المثال كلاهما منصوب وقد يرفع الاول وينصب الثانى نحو أنت وذاك أي افعل هذا أوماانت والكلام أى لاى سبب تتكلم فلا يشبه هذا التركيب السابق ذكره الا فى الظاهر وذلك أنه جملة حقيقية يعمل فيها اول جزئيها فى الثانى ومثل ( اياك والأسد ) عطف جزئين مستقلين وأبين ما يكون الفرق بين هذا وبين ذلك فى الاستفهام فانى اذا قلت ماانت والكلام عاد اسم الاستفهام الى كل ما هو بعده سواء ولا يعود الى انت فقط او الى انت والى الكلام على حدتهما فان المعنى هو ماانشغالك بالكلام وتقدمك اليه وليس المعني ( ماانت ) ثم ( ماالكلام ) او مثل ذلك ولا يمكننا ان نستفهم عن ( اياك والأسد ) على هذه الصورة اصلا . واظن ان القدماء من النحويين اصابوا فى رأيهم ان الواو فى مثل ( ماانت والكلام ) تؤدى معني مع وتعمل النصب وفى تسميتهم اياها واو المعية مع ان أصلها واصل عملها غامض جدا . . وواو المعية تستعمل فى الجمل الكاملة ايضا نحو استوى الماء والخشبة اى كان سطح الماء في مستوي الخشبة فمعني الواو فى هذا المثال وفى أكثر الأمثلة الفصيحة لايطابق معني مع تماما بل هو اخص منه كأن الواو ترمز الى شيء من تأثير الاسم السابق لها في ما بعده او التأثير به . والواو قد تعمل الجر أيضا وهي واو رب نحو وكأس شربت أى رب

كاس شربت غير أن معناها ليس بمعني رب فى كثير من الحالات نحو وتاجر فاجر جاء الأله به أى أعرف تاجرا فاجرا اوأذكره وأصل هذا الواو غامض أيضا

القسم الثانى . أما القسم الثانى من هذا الباب فيتناول الجملة البسيطة

فالجملة إما اسمية أو فعلية والنحويون فرقوا بينهما تفريقا أشد من الحقيقة حتي أنهم عبروا عن المسند اليه فى الجملة الاسمية بعبارة واحدة وهي المبتدا وعبروا عنه فى الجملة الفعلية بعبارة اخرى وهى الفاعل مع ان الفرق بين الجنسين في المسند فقط وهو فى المسند أيضا أقل تبيانا فى الحقيقة من الظاهر فانا قد راينا فيما سبق ان بعض أشكال الفعل خصوصا الماضى اصله جملة اسمية . والمسند إليه يقدم في الجملة الاسمية ويؤخر فى الفعلية غير ان العربية حسب مالها من الميل الى التقييد وضعت لتقديم الخبر فى الجملة الاسمية قواعد أثبت مما يوجد في سائر اللغات السامية . واما تقديم الفاعل فى الجملة الفعلية فلا يقرره النحويون بل يحسبونه مثل ( زيد جاء ) جملة ذات وجهين أى جملة اسمية مبتدؤها زيد وخبرها جملة فعلية وهى جاء على قياس مثل ( زيد رأيته اليوم ) معناها أما زيد فرأيته اليوم فكان ينبغى على هذا القياس ان يكون معني (زيد جاء ) هو ( أما زيد فجاء ) وهذا ليس بمحال وقد يوجد احيانا غير أن الأكثر والأقرب الى الاحتمال هو ان يكون معني ( زيد جاء ) عين معني جاء زيد وإنما الفرق بينهما أنى اذا قلت جاء زيد أخبرت عن مجيئه اخبارا محضا لايخالطه شيء غيره فتقديم الفعل هو العبارة المألوفة وإذا قلت ( زيد جاء ) كان مرادى ان أنبه به السامع الي ان الذى جاء هو زيد كأنى قلت زيد جاء لاغيره فتقديم الفاعل عبارة عن أن الأهم كون زيد هو الفاعل لا كونه فعل الفعل وما ينبه به السامع على هذا المعنى الخاص شيئان الأول تغيير الترتيب العادى فكل شيء يخالف العادة هو اكثر تأثيرا فى الفهم من المألوف . والثانى ان اول كلمة فى الجملة هى - على العموم - المضغوطة فى اللغة العربية إذا صرفنا نظرنا عن ماتبتدأ به الجملة من الأدوات كأن وأخواتها الى غير ذلك . وقد يكون آخر الجملة أشد ضغطا من أولها وذلك اذا قدمت كلمة إنما فهي تغير نظام ضغط الجملة وتنقل اقوى الضغط الى آخرها

مثاله من القرآن الكريم « إنما بغيكم على انفسكم » وضدها (اما) فهى تشدد الضغط على أول الجملة . . فاللغات تتخالف تخالفا ظاهرا فى هذا الباب فترتيب الكلمات فى الجملة مقيد فى بعضها واختيارى فى بعضها، مثال النوع الأول اللغة الفرنسية فنرى فيها لكل جزء من الجملة موضعا لا يمكن نقله عنه إلا فى القليل من الحالات ، ومثال النوع الثانى الألمانية فقواعد ترتيب الكلمات فيها قليل والشواذ منها كثير فلغة من أشباه الفرنسية لا تتمكن من تغيير ترتيب الكلمات للتنبيه على المهم منها فتحتاج الى وسائط أخرى منها فى الفرنسية تغيير تركيب الجملة فانى مثلا اذا ترجمت ( جاء زيد ) الى الفرنسية قلت Zaid est venu وإذا ترجمت ( زيد جاء ) قلت C'est Zaid qui est venu فالعربية متوسطة بين النوعين المذكورين من اللغات فتقيد فيها ترتيب الكلمات فى كثير من الحالات كتقديم الموصوف على الصفة والمضاف على المضاف اليه الى آخره وهو اختيارى فى بعضها كما ذكرناه من تقديم الفاعل على الفعل وأمثال هذا أقل بكثير من أمثال ذلك فى العربية وقواعد الترتيب قاسية فيها فالعربية أقرب الى الفرنسية فى ذلك منها الى الألمانية وهى أشد اللغات السامية تقييدا لترتيب الكلمات والحبشية أكثرها اختيارا والعبرية متوسطة بين الضدين وربما كانت اللغة السامية الأم على مثل ما تكون عليه العبرية فى هذا المعنى فالعربية تبعا لطبيعتها اكثرت من قواعد الترتيب وأقستها ، والحبشية تبعا لطبيعتها قللتها وأرختها مثال ذلك أن (الفؤاد الردى) فى الحبشية ما يجىء ʾekkui lebb أو ʾekku i lebb خلافا لقاعدة تأخير الصفة التى هى من القواعد السامية الأصل . والجملة الأسمية كثيرة الاستعمال فى اللغات السامية بخلاف اللغات الهندية والايرانية والغربية فالجملة الاسمية تكاد أن لا توجد فيها أصلا وقام مقامها نوع من الجملة الفعلية فعله « كان » ويوجد مثله فى اللغات السامية أيضا فكلها تحوى فعلا كان يستخدم معناه كالرابطة بين المبتدأ وخبره غير أن اللغات السامية كلها حافظت على الجملة الأسمية المحضة فى حيز واسع .. ومما اضطرها الى إدخال فعل « كان » على اختلاف صيغه فى الجملة الاسمية الاحتياج الى تنويعها على

الاوقات وغيرها والتفريق بين الماضى والحاضر والمستقبل منها أو بين المرفوع والمنصوب فانى إن اسندت ( كبير ) الى ( بيتي ) في جملة اسمية محضة لم يمكنني ان افرق بين ( بيتي قد كان كبيرا ) و ( بيتي سيكون كبيرا ) و ( ليكن بيتي كبيرا ) ويمكنني ان الحق بها النواصب نحو ( الى ان يكون بيتي كبيرا ) او ان اشتق منها مصدرا نحو ( كون بيتي كبيرا ) . والعربية أكثر تنويعا وتخصيصا في هذا الباب من سائر اللغات السامية ، والاكدية على ضد ذلك فالفعل الذى معناه « كان » فى الاكدية وهو bašu لايستعمل فيها الا نادرا . . والجملة الاسمية المحضة كما انها مبهمة من جهة الاوقات وما شاكلها فهى مبهمة ايضا من جهة طبيعة العلاقة بين المبتدا وخبره فانا نراها وصفية فى بعض افرادها نحو بيتي كبير كـ ( بيت كبير ) وبدلية في البعض الآخر والبدل نفسه نحو لباسهم حرير كـ ( لباس حرير ) اى لباس من حرير ولها انواع غير هذين . فهذا الابهام يدل على القدم فكانت الجملة الاسمية المحضة من اقدم تركيبات اللغات والعربية مع احتوائها على وسائط التخصيص والتعيين قد حافظت على هذا التركيب الأولي المبهم أيضا . . والجملة الاسمية كانت فى الاصل أشد إبهاما مما نجدها عليه فى العربية فانها تفترق فى العربية عن تركيبات الاسماء التى ليست بجملة كالوصف والبدل افتراقا بينا كما شاهدناه في الامثلة المذكورة ولم يكن هناك فرق فى الاصل بين الاثنين بل كان pait kabiar مثلا معناها اما ( البيت الكبير ) أو ( بيت كبير ) او ( البيت كبير ) وهذا قبل حدوث الاعراب والتعريف ثم استفادت اللغة منهما تفريق الجملة الاسمية عن غيرها من تركيبات الأسماء

وخلاصه ذلك ان مبتدأ فالجملة الأسمية معرفة على العموم وخبرها نكرة ومن الروابط التي تربط المبتدأ فى الجملة الاسمية بخبره دخال ضمير بينهما وهذه الوسيلة في الربط بينهما قديمة جدا شائعة فى اللغات السامية وربما كانت أقدم من الربط بالأفعال التى معناها « كان » والضمير المستعمل للربط هو ضمير الغائب إذا كان المبتدأ غائبا وفى بعض اللغات السامية اذا كان المبتدأ متكلما أو مخاطبا ايضا مثاله فى الأرامية anaḥna himmo ʿabdohi أى نحن هم عباده

ومثل ذلك لا يكاد أن يوجد فى العربية ، وإدخال الضمير ليس بواجب بيد أن العربية تقتضيه فى حال كون الخبر معرفا (نحو هذا هو الصواب) وسمى النحويون الضمير فى مثل هذا ضمير الفصل لأنه بفصله بين الأسمين يشير إلى أنهما جملة لا بدل ومبدل منه أو مؤكد وتأكيد الى غير ذلك . وقد يدخل الضمير فى العربية بعد فعل (كان) أيضا نحو (إن كان هذا هو الحق) فاذا كان المبتدأ متكلما كان الضمير متكلما أيضا وكذلك في المخاطب (نحو كنت أنت الرقيب عليهم) وذلك يدل على أن لادخال الضمير فى مثل هذه الجملة أصلين : أحدهما ضمير الفعل المستعمل فى الجملة الاسمية المحضة ، والآخر ضمير التأكيد في مثل قمت أنت . وقد يدخل الضمير إذا كانت الجملة معمولة لفعل من أفعال القلب أو أخوات جعل فيصير اسمها مفعولا له نحو (وجعلنا ذريته هم الباقون). ومن الروابط بين المبتدأ والخبر الباء. وهى تلحق بالخبر وأكثر ذلك عند النفى (نحو وما ربك بظلام للعبيد) وقد تلحق بالمبتدأ نحو وكيف به أى كيف هو غير أن بين الاثنين فرقا والتقدير الأقرب الى معني (كيف به) هو كيف به الحال فيظهر أن (كيف به) ليست فى الأصل بجملة أسمية كاملة مبتدؤها ضمير الغائب بل هى من أشباه الجمل المذكورة آنفا .. وقد يدخل بين المبتدأ وخبره الفاء نحو (كل امرىء فله رزق سيبلغه) وكذلك تدخل بين كل جزء للجملة مقدم وبين باقى الجملة نحو (وثيابك فطهر). ومثل ذلك الفاء الواقعة فى جواب أما غير أنها أقوى في هذا المعنى من البقاء على حدتها فالآية المذكورة عاثلها مع ضم أما في أول الجملة (أما اليتيم فلا تقهر) ومثل هذا نادر والعادة أن يتلو كلمة أما مبتدأ جملة أسمية نحو أما انت فلم تصل وأصل الفاء فى مثل هذا واضح فهى جواب الموصول في أما فان أصلها antmi وما هى الموصولة وأن ربما كانت من العناصر الاشارية فالفاء في غير ما أوله (أما) ربما قيس بها على ما بأولها (أما) وللفاء في مثل (كل امرىء فله رزق سيبلغه) أصل ثان نعرفه من أن اللهجات العربية الدارجة تعوض الواو من الفاء فى مثل هذا نحو (كل بلاد ولها زى وكل شجرة ولها فى) فهذا يذكرنا التركيبات العطفية المكونة من اثنين من أشباه الجملة نحو أنت وذاك غير أنا إذا حذفنا الواو فى مثل أنت وذاك

بقيت كلمتان منفردتان لا جملة وإن حذفنا الواو من مثل ( كل بلاد ولها زى ) بقيت جملة كاملة وهي ( كل بلاد لها زى ) مع أن معناها ليس بمعني الجملة الأصلية تماما بل يقرب معني تلك من أن يكون ( كل بلاد فى حالة كون لها زى ) فالواو في مثل هذا قريبة من واو الحال. فالخلاصة أن الفاء الداخلة بين جزء مقدم من الجملة وبين باقيها بعض أصلها من الفاء الواقعة في جواب أما وبعضه من الواو العاطفة بين اثنين من أشباه الجملة مع أنه يمازج هذه الواو شيء من واو الحال. وخبر الجملة الأسمية فى ( كل امرىء فله رزق سيبلغه ) فالخبر فى هذه الجملة جملة كاملة هى ( له رزق ) ولا بد من أن يوجد فى الجملة الخبرية ضمير راجع الى المبتدأ هو في مثالنا الضمير المتصل في له وهذا التركيب ونسميه بالجملة الاسمية المركبة كثير الاستعمال فى العربية بعضه بالفاء بين المبتدأ أو الجملة الخبرية وأكثره بغيرها وهو قديم سامى الأصل مثاله من الأرامية baitā dnā satreh أى هذا البيت هدمه. وفائدة الجملة الأسمية المركبة تقارب فائدة العبارة الفرنسية المذكورة c' est que فتمكن الناطق من أن يقدم الكلمة التى يريد أن ينبه السامعين اليها أو الكلمة التى تربط الجملة الجديدة بما قبلها الى أول الجملة بغير تغيير التركيب الكلمات العادى . والعربية تميل الى التحفظ بالترتيب المألوف فانا لو أردنا في مثالنا ( كل امرىء فله رزق سيبلغه ) أن نقدم كل امرىء فى جملة اسمية بسيطة لكانت ( ولكل امرىء رزق سيبلغه ) وكان مثل هذا الترتيب غير مقبول فى الزمان القديم وإن وجد كثيرا في الزمان الحاضر وفي اللغة العربية ، وقد تكون الجملة الخبرية من الجملة الاسمية المركبة مركبة هى نفسها من جملتين أو أكثر فيقع الضمير الراجع الى المبتدأ فى جملة معمول فيها لا فى الجملة العاملة. مثال ذلك ( إن حرب الأوس والخزرج لما هدئت تذكرت الخزرج قيس بن الحطيم ) فخبر ( حرب الأوس والخروج ) هنا مركب من جملة عاملة هى ( تذكرت الخزرج ) وجملة معمول فيها هى ( لما هدئت ) وضمير ( هدئت ) هو الراجع الى المبتدأ الذى هو ( حرب الأوس والخزرج ) وكذلك في خبر كان نحو ( كان الرجل فى الجاهلية إذا كان شاعرا سموه الكامل ) فخبر كان مركب من جملة عاملة هي ( سموه ) ومعمول فيها هي ( إذا كان شاعرا )

وضمير كان هو الراجع الى فاعل كان الأولى الذى هو الرجل وهذا النوع من التركيب هو ما يفيد العربية خفة واستعدادا لتأدية المعانى المتنوعة أكثر مما نجده فى سائر اللغات السامية - ومن خصائص العربية أن مبتدأ الجملة الاسمية المركبة ربما كان ضميرا للغائب لا علاقة له بالجملة الخبرية ولا راجع اليه فيها وهذا ما سماه النحويون ضمير الشان نحو إنه (لا يفلح الظالمون) وأكثر ذلك بعد إن كما هو فى هذا المثال أو بعد أن وفائدة هذا التركيب أنه يمكن الناطق من إدخال إن وأن على الجمل الفعلية نحو (لا يفلح الظالمون). فهذا مما يشهد بمزية العربية شهادة مبينة ، فغيرها من اللغات السامية قد يقدم أمثال إن على الجمل الفعلية وإن كان موضعها الأصلى أول الجمل الأسمية فقط والعربية أعدمت الشواذ وأقست قاعدة إلحاق إن وأخواتها بالجمل الأسمية فقط وهى مع ذلك اخترعت وسيلة لقلب الجملة الفعلية اسمية بغير تغيير تركيبها لكى يمكن الحاق إن وإخواتها بالجمل الفعلية بواسطة لا مباشرة .. ومبتدأ الجملة الأسمية منصوب بعد إن واخواتها وكثرة ذلك من خصائص العربية مع كون أصله ساميا شائعا فى غير العربية أيضا ومما يدل على أن (إن) وهى أقدم الكل كانت تعمل النصب فى الأصل كما تعمله فى العربية ، وفى العبرية تلحق بها الضمائر على الطريقة التى تلحق بمضارع الفعل وأمره نحو hinnenī أى إننى والنون الثانية من ennī هى نون الضمير المنصوب والأولى هى نون التأكيد المستعملة فى المضارع والأمر مثل iiq tlennī وتوجد في hinnenū أي إننا أيضا . وفي العبريه بعض أخوات إن لا توجد فى العربية قيس بها على أن منها ʿōḏ أى بعد وأيضا نحو hai ʿōḏennī اى هو باق فى الحياة أصلها ʿōḏen ī والنون نون التوكيد أيضا .

والجملة الفعلية أبسط تركيبا من الجملة الأسمية ولا ينبغى لنا أن نتكلم عنها تفصيلا بل يكفى الكلام عن مسألة واحدة من مسائلها وهى مسألة الفعل المعلوم الفاعل أو المسند اليه - أما الأول فهو فعل مالا يسمي فاعله نحو (ضرب زيد) فهو معدوم الفاعل وليس بمعدوم المسند اليه فنراه أسند الى زيد وهو مفعوله

فاذا نقلنا جملة ( ضربت زيدا ) الى ما لم يسم فاعله صار المفعول وهو زيد مسند اليه ، وحذف الفاعل فى العربية قد يسند فعل ما لم يسم فاعله فى بعض الأوقات الي ما لم يكن مفعولا بل كان منصوبا غير مفعول نحو ( سير فرسخان ) أصلها ساروا فرسخين و ( صيم رمضان ) أصلها صاموا رمضان ولا نظير لذلك فى غير العربية . وحذف الفاعل عند نقل الجملة الى ما لم يسم فاعله هو الأصل فى اللغات السامية بخلاف اللغات الهندية والايرانية والغربية ونرى فيها أن الفاعل لا يحذف عند النقل الى ما يسمى فيها صيغة التأثر بل يضم الى الفعل بواسطة أداة خاصة بهذه الوظيفة مثال ذلك فى الفرنسية Il a été frappé par mio وفى الانكليزية he has been beaten by me وقد يوجد مثل ذلك فى اللغات السامية وأكثر ذلك في الأرامية نحو ʿmi - lan أى مسموع لما يعنى سمعنا ومثله في العربية الفصحة نادر جدا هذا إذا كان الفعل متعديا وله مفعول وإن كان لازما او متعديا ليس له مفعول فيصير غير مسند بالنقل الى ما لم يسم فاعله نحو غشى عليه أو ذهب به ، ففقد في مثل هاتين الجملتين المسند اليه لفظا وإن وجد معنى . فان الظرف أى ( عليه ) أو ( به ) يقوم مقامه . فلا نجد فى العربية جملة مفقودة المسند اليه معنى . وهذا من خصائص اللغة السامية الأصلية أيضا وإن عدل عنه بعض اللغات السامية نحو hěskat فى الأرامية أي أظلمت الدنيا والجملة المفقودة المسند اليه كثيرة فى اللغات الغربية نحو Il pluie أو It rains وطبيعتها ضد طبيعة ما ذكرناه من ( غشى عليه ) فاذا وجدنا فى غشى عليه أن المسند اليه مفقود فى اللفظ موجود فى المعني وفى المثالين الفرنسى والأنكليزى هو مفقود فى اللفظ أى It و Il ومفقود فى المعنى لأن il و it لا تفيد معنى أصلا بل هما علامتان لفظيتان لوقوع الفعل . وقد يوجد فى العربية ما هو قريب من غشى عليه وأمثالها وإن لم يكن الفعل مبنيا على ما لم يسم فاعله مثال ذلك ( كفى بالله شهيدا ) و ( لم يرع القوم الا بالرجال ) فالمسند اليه وان لم يوجد لفظا فقد قام مقامه معني ( بالله ) و ( بالرجال ) وكان يمكن ان يقال ( كفي الله شهيدا ) و ( لم يرع القوم الا الرجال ) وقيسا على مثل ( اكتفى بالله شهيدا ) و ( إذا بالرجال ) .. ومن

غرائب العربية التى تتميز بها ليس عن سائر اللغات السامية فقط بل عن أكثر اللغات على العموم إسناد الفعل أو الخبر الى ظرف زمان نحو ( اذا ما نام ليل الهوجل ) أى إذا نام البطىء والأحمق ليله ومن مثل ذلك أخذ وصف الزمان بالفعل نحو ( يوم عاصف ) وإضافة الفعل اليه نحو ( مكر الليل والنهار )

الى هنا تم القسم الثانى من هذا الباب ويليه القسم الثالث فى تركيب الكلمات فى داخل الجملة . فأجزاء الجملة البسيطة إذا صرفنا نظرنا عن الضمائر فبعضها أسماء وبعضها أفعال فيحصل انقسام بحث تركيب الكلمات فى داخل الجملة الى موضوعين : أولهما توابع الأسم والثانى توابع الفعل ويتوسط بينهما موضوع ثالث هو توابع الأسماء المشتقة من الفعل كالمصادر وفاعل ومفعل الى آخر ذلك ولأن أجزاء الجملة تؤثر بعضها فى بعض سميناه الاتباع . ونضم الى المواضيع الثلاثة المذكورة موضوعا رابعا سميناه الأتباع

القسم الثالث

فتوابع الاسم هى أداة التعريف والبدل وما يقارنه والصفة والمضاف اليه أما التعريف فلا نجده فى الأكدية ولا فى الحبشية إذا نظرنا الى اللغتين المشاهدتين فى المستندات الباقية . فاذا هو خاص بثلاث من اللغات السامية وهى العبرية والأرامية والعربية والأدوات المستعملة فى هذه اللغات لتأدية التعريف اثنتان ha فى العبرية والأرامية مع أنها تلحق بأول الكلمة فى العبرية وبآخرها فى الارامية نحو hammelek أصلها hamelek فى العبرية و malka أصلها malkha فى الأرامية وهى al فى العربية ومع ذلك فقواعد التعريف والتنكير السائدة فى اللغات الثلاث تتقارب جدا وهذا من العجيب فأنه لو كان التعريف من أصولها المشترك فيها بين اللغات السامية الغربية لكان من المنتظر أن تكون أداته واحدة فى اللغات المذكورة وأن يوجد التعريف فى اللغة العربية الجنوبية وفى الحبشية أيضا وربما كان الميل الى التعريف بين المعرف والمنكر تشترك فيه كل اللغات السامية الغربية قبل افتراقها ثم زال من العربية الجنوبية والحبشية . والعربية الشمالية ابتدعت اداة خاصة بنفسها للتعريف — والعبرية والأرامية حسب تقاربهما فى كثير من جواهر اللغة استخدما العنصر الأشارى القديم ha وربما كان الأمر على ضد ذلك فلا يكون

للغات الثلاث اشتراك تاريخي حقيقي فى التميز بين التعريف والتنكير أصلا بل تشابه مظهرا فقط . وكل واحدة منها تحصلت على قواعد التعريف بحالها مستقلة عن غيرها وهذه المسألة من نوع من المسائل كثير الوقوع فى مقابلة اللغات وبالأخص اللغات السامية له أهمية أساسية .. وذلك أنا كثيرا ما نتردد ونتساءل إذا عثرنا على تشابه ما بين لغتين متقاربتين أهو أصلى فيهما يرتقى الى زمان اتحادهما قبل أن تتفارقا أم هو نتيجة تأثير أثرته إحداهما على الأخري أم طرأ عليهما تغير ان مستقلان احدهما عن الآخر انتهيا الى نتيجة واحدة لتساوى الأساسين والقوة المؤثرة فيهما ومثال الأول جل ماذكرناه من العناصر السامية الأصل ووجودها وكثرتها وظهورها مما يحملنا على إثبات تقارب اللغات السامية وعلى اشتقاقها من أصل واحد • ومثال الثانى أنا نرى أن اللغة العبرية كانت تتأثر بالآرامية فى أشياء كثيرة فى زمان زوالها عن ألسنة الناس وقيام الآرامية مقامها . وامثلة الثالث كثيرة وخصوصا بين الآرامية والحبشية منها أنهما لتأدية المفعول المعرف تصلان ضمير الغائب بالفعل ويتليانه المفعول ملحقا بأوله اللام مثال ذلك من الآرامية qablah leggarta أى قبل المكتوب ومن الحبشية azzazkahu la - ‘Adam أى أمرت آدم فلا يمكن أن يكون هذا التركيب أصليا فى كلتا اللغتين فنراه ينشأ فى الآرامية فى مدى تاريخها الظاهر فى مستنداتها ولا يمكن أيضا أن تكون إحدى اللغتين أثرت فى الأخرى لأنه لم تكن بينهما علاقة يحتمل منها ذلك فلابد من نشوء هذا التركيب فى اللغتين على حدتهما والداعي اليه واحد فيهما وهو الحاجة الي التعريف فان الآرامية وإن كانت لها أداة للتعريف فى الأول كانت قوتها المعرفة قد زالت وتلاشت كما ذكرنا آنفا والحبشية لاتحوي أداة تعريف أبدا والوسائط الى الحصول على المحتاج اليه كانت موجودة فى كلتيهما وهي الضمير المتصل الذى من طبيعته أن يكنى عن معرفة واللام التى كانت تتداخل بين الفعل والمفعول في أحوال ممدودة منذ زمان قديم . فهذا مثال ماقلناه من تساوى الأساسين والقوة المؤثرة فيهما فأما تطابق العبرية والآرامية والعربية فى كثير من قواعد التعريف والتنكير فيمكن أن يكون من أصولها

المرتقية الى زمان كونها لغة واحدة ويمكن أن يكون من النوع الثالث من التشابهات وهو التغيرات المستقلة على خطوط متوازية فمن أهم قواعد التعريف فى اللغات الثلاث أن المضاف اليه المعرف يعرف المضاف فلا يمكن إدخال آلة التعريف عليه نحو بيت الملك أى البيت الملك وهى فى العبرية bet hammelek وفى الأرامية العتيقة bet malka فاذا فرضنا أن هذه القاعدة ليست بأصلية قديمة بل حديثة فى كل واحدة من اللغات وجب علينا أن نبين طريقة الى فهم نشوئها وهى ليست مما لا يحتاج الى تفسير فانا نراها تضاد قواعد التعريف السائدة في اللغات الغربية فمثلا نترجمه بالفرنسية la maison du roi وبالأنكليزية the house of the king فنشاهد آلة التعريف قبل المضاف فى كلتيهما . وربما أمكننا تبيين أصل تلك القاعدة على هذه الطريقة .. إن مما تشترك فيه كل اللغات السامية وصل الضمائر المجرورة بالاسم نحو بيتي وهى فى الأكدية bītī وفى العبرية beti وفي الأرامية العتيقة كذلك وفى الحبشية beteia فلما اخترعوا آلة التعريف لم يروا إدخالها على مثل هذا واجبا لأنه وإن امكن أن تشير بيتى مثلا الى بيت واحد من بيوتى . فالأقرب من الاحتمال أنه يعنى بها بيت لى معين . واللغات الغربية منها ما هو على مثل هذا كالفرنسية والأنكليزية والألمانية فبيتى فيها mein Haus ‘my house ‘ma maison ومنها ما هو على ضد ذلك كاليونانية أو الطليانية فبيتي فيها la casa mia, he oikia mou بآلة التعريف مع الضمير . ثم بعد ما ثبت أن بيتى وامثالها معناها التعريف قاسوا عليها سائر المضافات المعرفه بخلاف اللغات الغربية . ومهما كان أصل التعريف فى العربية فلا شك أنها وضعت له بعض القواعد الجديدة وقيدته أكثر مما قيدته اللغتان الأخريان يعني العبرية والأرامية . من ذلك أنها شددت معني التنكير حتى أنه يعبر فى المفرد عن الوحدة نحو (من غير وجه) أى من غير وجه واحد والجمع المنكر قد يعبر به عن التعدد نحو مكثوا أياما اى اياما متعددة وقد يوجد مثلها فى العبرية ايضا نحو iamim أي عدد من الأيام ، šanim أى عدد من السنين . ومن ذلك إثبات درجة بين التعريف والتنكير ووضع القواعد لها وهي أنواع أحدها تعريف الجنس بخلاف

تعريف العهد نحو ( الرجل خير من المرأة ) معناه الجنس المسمي برجل . وكثيرا مايقرب ذلك من التنكير فيكون معناه اى ماكان من الجنس. وخصصوا الاسماء المعرفة جنسا بوصفها بالجمل الوصفية غير الموصولة نحو ( انك المرء نرجوه) فهى متوسطة بين ( انك المرء الذى نرجوه ) فيكون هو رجلا معروفا بعينه وبين (انك امرؤ نرجوه) . فالمعني مبهم تماما . ونوع آخر من الدرجة المتوسطة بين التعريف والتنكير اضافة مضاف الى مضاف اليه معرف اضافه غير حقيقية نحو حسن الوجه وطالب الثأر وخصصوا مثل هذه بدخول لام التعريف على المضاف فقالوا ( الرجل الحسن الوجه ) (والطالب الثأر ) . ونوع ثالث من ذلك اضافة بعض الكلمات المبهمة الى المعرف فتبقى منكرة مع ذلك نحو بعضهم أى واحد أو عدة منهم والعربية مداومة الرعاية للتعريف والتنكير فى تأليف الجملة تفرق بذلك بين اجزائها. فالفاعل والمبتدا معرفان. والخبر والحال منكران الى غير ذلك. وإن وجد شواذ من هذه القواعد فلها قواعد اخرى

أما البدل والتوكيد والوصف فأكثر خصائصها سامى الاصل لا تختص به العربية ومما يجب الالتفات اليه التمييز ومايقاربه فكثيرا مانجد الاسم التابع لغيره نصوبا . من ذلك النصب بعد الأعداد من احد عشر الى تسعة وتسعين نحو عشرون رجلا . وكذلك ( كم رجلا عندك ) و ( فلن يقبل من أحد ملء الارض ذهبا) ومن ذلك التمييز التابع للوصف وخصوصا المفضل منه نحو(هو رفيع قدرا ) و(أنت أعلا منزلة من غيرك). وقد تقاس على ذلك الافعال نحو (طب نفسا ) و (جرى دما ) . ومن ذلك ( انتم المؤمنين ) و (امرأته حمالة الحطب ): وكل هذا ومثله يكاد يكون خاصا بالعربية لانجد له الا آثار قليلة فى سائر اللغات السامية: منها انه يحتمل ان يكون المعدود فى العبرية فى مثل ‘moi̭ miʿa bra تقديره النصب كما هو الحال فى العربيه فى اربعون يوما . ومنها فى العبريه kabbōr mē ᵓ abīkā iāmīm اى اكبر من ابيك اياما و iāmīm هنا لا يحتمل ان تكون جرا لتداخل الكلمة قبلها فلزم ان تكون نصبا . والأرجح انه وان لم نجد اكثر التركيبات فقد قال النحويون ان (انتم المؤمنين )

تقديرها (انتم اعني المؤمنين) وربما كان هذا صحيحا أو قريبا من الصحيح وعلى كل حال فأصل النصب في هذه غير أصله في النوعين الأولين ، ومما يشير الى ذلك أن المنصوب معرف في مثل (أنتم المؤمنين) وهو منكر في مثل (عشرون رجلا) و(رفيع قدرا) والتنكير يقرب النصب فيهما من نصب الحال ونصب خبر كان وأخواتها ونصب ما يماثلهما من توابع الفعل فنرى المنصوب منكرا في كل ذلك أيضا فيحتمل أن يتعلق النصب المنكر في توابع الأسماء به في توابع الافعال وان لم يمكننا تبيين طبيعة العلاقة بينهما ومن خصائص الوصف التي تستحق الاطلاع عليها وصف الشيء بصفة شيء آخر مربوط به يذكر بعد الصفة نحو (مررت برجل كثير أعداؤه) فوصف الرجل بصفة شيء مربوط به وهو الأعداء الذين صفتهم الكثرة ، والأصح أن النسبة بين (كثير) و (الأعداء) ليست بوصفية بل اسنادية فصفة الرجل هي كون أعدائه كثير ، والعبارة المألوفة في وصف هذا الشيء بمعنيين أسند أحدهما الى الآخر هي الجملة الوصفية وكان يمكن استعمالها في مثالنا ويكون اذاً (مررت برجل أعداؤه كثير) فيحتمل أن يكون الخبر قد قدم فصارت (برجل كثير أعداؤه) ثم أتبعوا كلمة (كثير) للاسم السابق لها كأنها وصفها فأصبحت (برجل كثير أعداؤه) فهذا أصل واحد للتركيب المذكور . وربما كان له أصلا آخر معه وذلك أنه كثيراً ما يكون الكلام مبهما وحتى مخطئا في الأول ثم يستدرك أو يصحح ، ومثاله في العربية بدل الاشتمال والغلط نحو (أعجبني عمرو حسنه وأدبه وعلمه) و (مررت برجل حمار) أي لا برجل بل بحمار فمن ذلك قولي (رأيت رجلا حسنا) ثم استدركته بقولي (وجهه) أى وليس الحسن هو الرجل كله بل وجهه ، فيحتمل أن يكون هذا هو الاصل الثاني للتركيب المذكور ، وفي مثل (الكتب الآتي ذكرها) كان المنتظر إذا صدرنا عن الاصل الأول أن تتبع كلمة « الآتي » كلمة « ذكرها » لكونها خبراً لها فتكون منكرة مذكرة مرفوعة ، وإذا صدرنا عن الاصل الثاني انتظرنا أن تتبع كلمة « الآتي » كلمة « الكتب » لكونها وصفا لها فتكون معرفة مؤنثة منصوبة ، فهي في الحقيقة بين الاثنين معرفة مذكرة منصوبة . فنرى من ذلك أن أصل التركيب أصلان

وأن الوصف وجهان : فيكون وصفا للاسم السابق له ، وخبرا للاسم التالى له . ويجوز جعل مثل هذا الوصف اسما موصوفا كسائر الأوصاف فكما يجوز أن أقول ( الحسن ) أعنى الرجل الحسن كذلك يجوز أن أقول ( المؤلفة قلوبهم ) أى الرجال المؤلفة قلوبهم والتركيب المذكور كثير في الاسم المفعول وليس له مسند اليه نحو ( الرجل المغشى عليه ) و ( المرأة المغشى عليها ) من غشى عليه وعليها وقد ذكرنا ذلك ، فالتركيبات التى من هذا الجنس تساوى الأوصاف فقد تستعمل خبرا نحو ( هو مغشى عليه ) و ( هي مغشى عليها ) و ( كان مرحولا اليه ) من يرحل اليه ، أو اسما موصوفا فتعرف بالالف واللام نحو ( نلت المرغوب عنه لا المرغوب فيه ) . وقد توجد فى العربية أمثلة أخرى لجزء من الجملة له وجهان منها ( أرى السيوف ستسل ) فالسيوف منصوبه لانها مفعول « أرى » ومع ذلك أسند اليها كلمة « ستسل » وكان يمكنني أن أقول ( أرى أن السيوف ستسل )

والاضافة سامية الأصل وقد ذكرنا أن المضاف لم يكن معربا في الزمان القديم وأن عدم إدخال أداة التعريف عليه مما تشترك فيه العربية مع العبرية والأرامية . والاضافة قد توازن الابدال أو التأكيد فى بعض الأحوال منها أنه يمكننا أن نقول ( ثوب حرير ) أو ( ثوب حرير ) ويمكن أن يقال ( ثوب من حرير ) ايضا ومن ذلك ( ثلاثة رجال ) أو ( رجال ثلاثة ) ، ومن ذلك أن الكل ومثلها والنفس ومثلها قد تضاف الى الاسم وقد تبدل منه باتصال ضمير راجع اليه مثال ذلك (كل الناس ) أو ( الناس كلهم ) و (كلتا الحالتين ) أو ( الحالتان كلتاهما ) و ( نفس الامر ) أو ( الامر نفسه ) و « كل » سامية الأصل على اختلاف معانيها ف ( كل شىء ) مثلا يقابلها فى العبرية kol dābār منكرة فى معني كل واحد من الأشياء و (كل الاشياء ) يقابلها kol hadbārīm معرفة فى معنى جميع الاشياء . والنفس تستعمل في الارامية مبدلة فقط نحو hu napšeh أى هو نفسه وهي في العبرية لاتوجد لامبدلة ولامضافة الى الأسماء وانما تضاف الى الضمائر نحو ḥ̊ābēhū knapšō u a i i e أي فأحبه كنفسه يعني كمحبته لنفسه . وتقارب النفس في العربية العين وهى تضاف اكثر مما تبدل نحو

( عين الامر ) وقد تؤخر مع الحاق الباء نحو ( الامر بعينه ) وهى في هذا المعنى خاصة بالعربية، ويوجد فى سائر اللغات السامية أسماء أخر مرادفة لها نحو الرأس أو qnōma فى السريانية ومعناها الشخص . وضد الكل هو البعض وتركيباتها متنوعة فى العربية يوازن بعضها تركيبات الكل ولا نظير لها فى سائر اللغات السامية . ومما عاثلها من جهة كثرة الاضافة الى غيره وعدم التعرف بالاضافة الى المعرف « مثل » وما يرادفها ، وليس لسائر اللغات السامية اسم في هذا المعني بل تكتفى بالكاف ، ومنه غير وهى مما اخترعته اللغة العربية مبينة في ذلك مزيتها وطبيعيتها فانا نرى « غير » متنوعة المعانى والوظائف واسعة العمل وهى مع ذلك مضبوطة بالقواعد التى لا تدع مجالا للتردد فى طريقة تركيبها مع غيرها ولا فى ما تفيده فى اى موضع كان . ومن ذلك ذو وصاحب ويقابل الصاحب فى سائر اللغات السامية بعض الاسماء نحو baʿal habbaiit فى العبرية أى صاحب البيت وليس لها عنصر اشارى فى هذا المعنى غير أن الاسم الموصول الذى أصله اسم من أسماء الاشارة قد يقارب « ذو » في الاضافة الى الأسماء ، مثال ذلك من الآرامية bēt ginzaiiā di malkā أى بيت الخزائن ذو الملك يعني الذى للملك، ومن الحبشية haṭiʾat za-ḥegb أى الخطيئة ذات القوم يعني خطيئة القوم، والفرق بين العربية وبين الآرامية والحبشية أن di و za هما اسما الموصول العاديان الخاصان باللغتين فلا تقابلان « ذو » العربية التى لا معني لها غير معني الصاحب. فـ di الارامية العتيقة وهى d فى السريانية و Za فى الحبشية علامتان للاضافة ، ومثلها كثير فى اللغات السامية وفى اللهجات العربية الدارجة والعربية الفصيحة لما فيها من الاعراب الدال على كل احوال الاسم دلالة غير مشتبهة لا تحتاج الى علامات خاصة بالاضافة. وقد تستعمل بعض اللغات السامية بعض اسماء القرابة فى معنى قريب من معنى ذو أو صاحب وأكثرها استعمالا فى هذا المعني ابن وبنت نحو ( ابن السبيل ) و ( بنات الدهر ) أى المصائب و ( ابن ثلاثين سنة ) ويطابقها فى العبرية ben šlōšīm šānā والسريانية تتعدى في ذلك الى مثل bar iaumā أى ابن يومه يعني في ذلك اليوم بعينه ، ومثل

ذلك اهل القرآن واهل السنة ، وقد يقع الاخ والاخت فى مثل ذلك نحو (أخو الخير) و (اخوان الصفاء) وليس لذلك نظير فى غير العربية . . . ومن غريب الاضافة إضافة الاسم الى الصفة وبالعكس . مثال الاول (سورة الفاتحة) و (دار الآخرة) و (بيت المقدس) ولكلها سبب : أما (سورة الفاتحة) ف (الفاتحة) قائمة مقام الاسم الموصوف وهى اسم علم لأم الكتاب فالاضافة فى (سورة الفاتحة) كالاضافه في (مدينة بغداد) ، و (دار الآخرة) تقديرها (دار الحياة الآخرة) فقام الوصف مقام الموصوف ، و (بيت المقدس) أصلها (البيت المقدس) ثم حذفوا أداة التعريف فى الكلمة الأولى ثم ضلوا في التركيب فظنوه اضافة وهو فى الحقيقة وصف ومثله كثير فى العربية المتوسطة بين الفصيحة والدارجة ... والثانى أى اضافة الوصف الي الاسم أنواع منها مثل (حسن الوجه) وفائدة الاضافة هنا تخصيص المعنى فالحسن يرجع الى الوجه فقط لا الى غيره ونري المضاف اليه في هذا التركيب دائما معرفا في العربية تعريف جنس ولا يعرف فى غيرها ، مثاله من العبرية ipat to°ar أى حسنة الصورة ، فيذكرنا ذلك بما تكلمنا عنه في مثل (رفيع قدرا) منكرة ، غير ان to°ar فى المثال العبرى مجرور لا منصوب ونعرف ذلك من الكلمة السابقة لها وهى ipat فهي مضافه هنا ولو كانت غير مضافة لكانت japa فالمضاف في العبرية شكل خاص به. فيظهر ان إضافة الوصف الى اسم يخصص معناه سامية الاصل غير ان العربية عرفت المضاف اليه وهو منكر في الاصل والتعريف كما قلنا تعريف الجنس ولذلك لا يُعرَّفُ المضافُ اليه المعرفُ المضافَ فيمكن وصف المنكر بمثل حسن الوجه نحو (رجل حسن الوجه) ويمكن تعريفها بالالف واللام نحو الرجل الحسن الوجه) . والجر فى كل هذا هو الاصل لانه خاص بتركيبات الاسماء غير البداية والوصفية بخلاف النصب الذى هو خاص بعمل الافعال فى الاسماء فمثل (رفيع قدرا) أبعد عن الاصل من (حسن الوجه) والنسبة المعنوية بين الكلمتين فى مثل (حسن الوجه) إسنادية لان المعنى هو ان وجهه حسن وذلك يذكرنا بما فى مثل (رجل كثير أعداؤه) من الوصف بالاسناد ، فنجد فى العربية ثلاثة تركيبات تكاد

أن تكون مترادفة ( رجل حسن الوجه ) و ( رجل حسن وجها ) و ( رجل حسن وجهه ) غير أن بينها اختلافات يسيرة في المعنى وفى الاستعمال ..... ومن إضافة الوصف الى الاسم ( أفضل الرجال ) و ( أفضل رجل ) و ( عزيز كتابكم ) وما يماثلها فرفع الوصف فى كل هـذا الي درجة الاسماء الموصوفة كأنه يقال ( الشيء العزيز من كتابكم ) الى آخره وذلك ما يفرق هـذا النوع عن النوع السابق فان الوصف فى مثل ( حسن الوجه ) يبقى وصفا لا يخالط معناه شيء من الوصفية ، ومثل ( أفضل الرجال ) كثير في اللغات السامية غير أنها تستعمل الوصف العادى لانه لا يكون فيها صيغة خاصة بالتفضيل مثال ذلك من العبرية qṭōn bānāu أى أصغر بنيه ... وبخلاف ذلك فاضافة الوصف الى مفرد منكر كـ ( أفضل رجل ) خاصة بالعربية فنكروا المضاف إليه بدل تعريفه فأشاروا بذلك الى أن الرجل ليس بالافضل الذى لا أفضل منه بين الرجال البته بل واحد من الافاضل وأفردوا المضاف إليه بدل جمعه لأنهم لو قالوا ( افضل رجال ) لكان المعنى الافضل الذى لا افضل منه بين بعض الناس وهذا غير المراد فالاضافة فى فضل رجل قريبة منها فى ( مدينة بغداد ) ومثلها أى تبيينية فكما أن ( مدينة بغداد ) معناها المدينة التى هى بغداد فكذلك ( افضل رجل ) معناها فضل كثير الفضل هو رجل . والاضافة فى ( أفضل الرجال ) تخالف تلك فهى اضافة البعض الى الكل . فينتج من الفرق فى طبيعة الاضافة بين العبارتين فرق فى المعنى زائد على ما ينتج من تنكير الرجل وإفراده فى ( أفضل رجل ) وذلك ان معنى ( أفضل رجل ) لا يكاد يزيد على ( رجل فاضل جدا ) .... ومن أحوال الاضافة حذف المضاف وإقامة المضاف اليه مقامه وهو كثير فى العربية نحو ( صلى الفجر ) أى صلاة الفجر ومنه فى العبرية tāmīḏ أى دوام وبقاء فى معنى الأضحية الدائمة بدل ʿolaṯ tāmīḏ أى اضحية دوام

والأسماء المتعلقة بالافعال — يعني المصادر وفاعل وأخواتها — حافظت فى العربية على كثير من عمل الافعال : منه رفع الفاعل في مثل ( منع الناس من مخاطبته أحد بسيدنا ) ونصب المفعول في مثل ( إطعام في يوم ذى مسغبة

يتيما ) أو ( أبي لضرب المؤدب إياه ) وفى ( المؤتون الزكاة ) و ( ما أنت بتابع قبلتهم ) ونصب المفعول الثانى فى مثل ( جاعل الليل سكنا ) . ويوجد مثل ذلك فى بعض سائر اللغات السامية أيضا غير انها لم تضع لاعمال الاسماء المتعلقة بالافعال عمل الاسماء أو الافعال قواعد ثابتة كالتي نراها فى العربية . ومن العمل الفعلى فى العبرية نصب مفعول المصدر في مثل lhāmit ʾet Dāuid أى يقتل داود و ʾet للنصب فى العبرية أو ʾaḥrē hōdiaʿ ʾelōhim ʾōtkā ʾet kol zōt أى بعد تعليم الله اياك كل هذا بمفعولين بعد المصدر ، و نصب مفعول فاعل فى مثل hāʾanāšim hambaqšim ʾet napšekā أى الناس الطالبون نفسك يعني حياتك . ورفع الفاعل هو أحد التركيبات الأولية المطلقة التى حافظ عليها بعض اللغات السامية أكثر مما نشاهد فى العربية مثال ذلك من العبرية hakkōt ʾōtō kol mōṣʾō أى ضربه كل واجده يعنى ضرب كل من يجده إياه أو lānūs šammā rōṣeaḥ أى لهرب هناك قاتل يعنى ليهرب القاتل هناك .. وقد تعمل صفة فاعل فى العربية النصب للمبالغة فى تنكيرها نحو قراءة بعضهم ( كل نفس ذائقة الموت ) بدل قراءة العامة ( ذائقة الموت ) وهي منكرة في هذه القراءة أيضا لانهم عدوا إضافة فاعل الى مفعوله من الاضافة الغير الحقيقية ولذلك أجازوا تعريف الفاعل المضاف الى المفعول المعرف بالالف واللام نحو ( الواهب المائة الهجان ) ومثل ذلك نادر .. وقد خصت الاسماء المتعلقة بالافعال بعمل تفارق به الاسماء والافعال جميعا حسب موقفها بين هذه وبين تلك وهو « من » للفاعل و « اللام » المفعول نحو ( ما أواعدهم إلا مخادعة مني ) و ( قال ذلك إكراما له ) و ( ما كنا للغيب حافظين ) و ( من ) للفاعل قد توجد فى بعض اللغات السامية مع صيغة ما لم يسم فاعله اذا سمي فاعلها بخلاف اسمها ومعناها الاصلى مثاله من الحبشية em - malāʾekt tessaggad أى من الملائكة تسجد يعني يسجد الملائكة لك ، واللام للمفعول كثير فى العبرية والارامية وخصوصا فى الحبشية مثال ذلك ua-la-ḥedān tegazeru أي فاختتنوا الولد ومثل هذا نادر جدا فى العربية ، مثاله من القرآن الكريم ( ان كنتم للرؤيا تعبرون ) واقتصرت اللام للمفعول فى العربية غالبا على مفعول المصدر و ( فاعل ) وأخواتها فوضعت

العربية قواعد تحدد الحالات التى يجوز فيها استعمال اللام . . . ومن خصائص العربية انها قد تعمل بعض الاوصاف المتعلقة بالعمل غير ( فاعل ) وأخواتها عمل ( فاعل ) أيضا ونادرا ماينصب مفعولها نحو ( إن الله سميع دعاء من دعاه ) وكثيرا ما تدخل عليه اللام نحو (سماعون للكذب) أو ( أمقت الناس للشرع )

وأما توابع الفعل فتنصب مفعولا كانت أو حالا أو خبرا أو ظرفا أو غير ذلك إلا ما تداخل بينه وبين الفعل حرف من الحروف الجارة وأكثر ذلك سامى الأصل فالنصب هو عمل الفعل كما ان الجر هو عمل الاسم وللعربية قليل من الخصائص فى هذا الباب فالنصب ظاهر فى العربية يظهره الاعراب كاظهارة للرفع والجر بل إظهارا أبين من اظهاره لهما فأنا نرى الرفع والجر يحذف اعرابهما في الوقف والفتحة الانتهائية في النصب اذا كان منكرا لم تحذف بل تمد وذلك يدل على انها ممدودة فى الاصل ونجدها كذلك فى العبرية فى بعض الاحوال نحو baita أى بيتا يعني في البيت والى البيت فحذف الاعراب فى العبرية ولم يبق منه الا الفتحة فى النصب وهى تقتصر على الظرفية دون المفعولية والخبرية ولذلك احتاجت العبرية فى بعض الاحوال الى علامة فى المفعولية غير الاعراب وهى ʾet المذكورة وتدخل على المفعول المعرف نحو u̥aiiar ʾelohīm ʾet haʾor kī tob أى فرأى الله النور أنه حسن يعنى فوجد أنه حسن ويقابل ʾet في الأرامية العتيقة iāt وفى العربية ايا وهما لاتدخلان إلا على الضمائر المتصلة نحو m,annita iathon أى عينتهم ومن العربية ( إياك نعبد ) والأرامية في غير الضمائر تستعمل اللام علامة للمفعولية وإذا كان المفعول معرفا تشير إليه بضمير متصل بالفعل يتبعه المفعول نفسه نحو qabbah leggarta أى قبله للمكتوب يعنى تقبل المكتوب وقد ذكرنا ذلك آنفا والعربية لاتعرف مثل هذا أبدا بل تكتفى بالأعراب في الأشارة الى المفعولية

والعربية كثيرة الاستعمال للنصب فى الحال وفى خبر كان وأخواتها . وخبر الفعل حال فى الأصل فأن قولى ( كان تاجرا ) أصل معناه عاش وهو تاجر . والحال وخبر الأفعال المطابقة لكان وأخواتها كثير في غير اللغة العربية أيضا

إلا أنها بما فيها من ظهور النصب ومن التباين بين المعرفة والنكرة تمكنت من إفادة المعاني المتنوعة بواسطة الحال وخبر الفعل وتمكنت من تفريق بعضها عن بعض وعن غيرها والقواعد المؤدية الى ذلك معلومة . ومن الغريب أن العربية مع كل ذلك ومع ميلها الى التحديد والتقييد لم تتحصل على الغاء التباس صاحب الحال الناشىء من وجود أسماء أو ضمائر غير واحد في بعض الجمل فلا يظهر إذاً أيها هو صاحب الحال مثال ذلك أنه اذا قلت ( لقيته راكبا ) لايمكن السامع معرفة هل أنا كنت راكبا وقت مالقيته أم هل كان هو الراكب . ومما يوافق مزية العربية الدافعة لها الى استعمال التركيبات الظريفة والعبارات الصناعية أنها استفادت من هذا الابهام فى مثل ( لقيته مصعدا منحدرا ) أى وأنا مصعد وهو منحدر أو بالعكس وفى مثل ( متى ماتلقاني فردين ) أى ونحن فردان. ومما تنفرد به العربية من هذا الباب كثرة وقوع المصادر حالا نحو ( أخذت ذلك منه سمعا ) أى سامعا أو من ( صار الى الاسلام طوعا أو كرها ) أي طائعا أو كارها . . ومن مسائل عمل الأفعال عملها العائد الى فاعلها ولذلك فى اللغات السامية ثلاثة أنواع من العبارة : أولها صيغ من صيغ الفعل خاصة بهذه الخدمة نحو ( انتحر ) أى نحر نفسه فالفاعل فى هذا المثال هو عين المفعول ومثله نادر وأكثره وجودا أن الفاعل يكون المفعول له أو به الى غير ذلك نحو ( اكتسب ) أي كسب لنفسه ، والعبارة الثانية هي وصل الضمير بالفعل مثاله من العبرية al tappilkā biqhālā أى لا تنزلك فى الجماعة يعني لاتنزل قدرك وهذا نادر جدا ولايوجد في العربية الامع أفعال القلوب نحو ( إني أراني أعصر خمرا ) أو ( كيف تجدك ) ولايجوز مثل هذا في غير العربية ، والعبارة الثالثة هى المألوفة وهى التعويض عن الفاعل باسم الفعل نحو ( من يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ) فاتصل بالنفس الضمير العائد الى الفاعل واذا كان الفاعل ليس مفعولا بل أضيف اليه جار يمكن أن يوصل بالجار ضمير عائد الى الفاعل نحو ( دعاه اليه ) وادخال النفس بينهما أكثر استعمالا نحو دعاه الى نفسه . وأما الحروف الجارة العربية فكثير منها سامي الاصل أو سامي غربي على الاقل مع أن بعضها تغير تغيراً يسيراً

مثال ذلك أن اللام كسرت مع الاسماء على قياس الباء نحو للبيت كبالبيت وكانت في الأصل مفتوحة وهى كذلك فى العبرية والحبشية نحو la-rob أى لرب يعنى كثيرا و la-medr أى للارض وبقيت الفتحة سالمة عند وصل الضمائر باللام نحو ( لـكم ) يطابقها في العبرية lakem وفى الحبشية lakemmu ونقلت العربية ومعها الحبشية واحدا من الحروف الجارة القديمة هو adai وهى في الاكدية adi وفى العبرية ad وفي الارامية مع إلحاق ما الزائدة damma فتنوب عنها فى العربية « حتى » وزادت العربية على الحروف الجارة القديمة جديدة كثيرة منها « في » علاوة على الباء ومنها « عن » علاوة على « من » السامية الأصلية ومن ذلك أن in العبرية يحاذيها فى العربية جاران وهما مع المطابقة لـ im نفسها وعند المطابقة لفظا لـ immadi العبرية أى معى وقد ذكرنا أصلهما فصارت الباء تدل على الالتصاق كقولى ( به داء ) والاستعانة كقولى ( كتبت بالقلم ) والمصاحبة نحو ( اشترى الفرس بسرجه ولجامه ) و « فى » تدل على المكان نحو في البيت وهى فى الحبشية babet وفى العبرية babbaiit وفي الارامية bbaita وبالباء أيضا . وكذا صارت « من » تشير الي ابتداء الغاية كقولى ( مررت من البصرة ) والتبعيض نحو (أخذت من الدراهم) والتبيين نحو (فاجتنبوا الرجس من الأوثان) و «عن» تشير الى البعد نحو ( بعيد عن البيت ) وهى فى الحبشية ba id em-bet وفى العبرية rahoq min habbaiit وفى الارامية mab da mén baita كلها بمن فنتج من هذه العلاوات أن العربية تمكنت من توزيع وظائف الباء مثلا على جارين هما الباء وفى ، فحصل من ذلك تخصص موافق لطبيعة العربية . وقد ابتدعت العربية عددا كبيرا من الادوات الجارة وأكثرها على قياس تحت وهى نفسها سامية الأصل أو سامية غربية يقابلها فى العربية tahat وفي الارامية thot أو thet وفى الحبشية tahta ومما قيس عليها في العربية دون ( فوق وبعد وقبل وأمام ووراء وقبل وإزاء وحذاء وغيرها ) واخترعت العربية غير هذا القياس ( لدى ولدن وحتى ) ومما اختصت به العربية من ضروب استعمال أدوات الجر الباء لتعدية أفعال التحرك والانتقال من موضع الى موضع نحو ( جئت به )

أى (اجاته) و (أتيت به) أى آتيته وأصل المغني أنى جئت بصحبته وجئنا معا ومن ذلك «من» عند أفعال القرب نحو (قرب منه) و (دنا منه) ويتلوها مثلا فى العبرية اللام أو el أى الى ، ومنه ادخال «من» بعد «ماء» و «إن» النافين نحو (مالهم من ناصرين) فهي هنا داخلة على المبتدأ ، و (ما جاءني من أحد) فهى داخلة على الفاعل ، و (ماجعل الله لرجل من قلبين في جوفه) فهى هنا داخلة على المفعول . ومنه تضاد معني الفعل عند تضاد الجارين التاليين له نحو رغب فى الشيء أى اشتهاه ورغب عن الشيء أى كرهه . ومنه أن العربية كثيرة الايجاز فى استعمال الحروف الجارة ، والايجاز من علامات العربية المميزة لها تميزا ظاهر عن غيرها من ذلك (إني لست منك ولست مني) أى لاعلاقة بيني وبينك ، و (كساه عن العرى) أى كساه فلم يبق عاريا و (عفا عن قدرة) أى عفا مع أن له القدرة على العذاب ، و (بأبى أنت) أى قدرك عندى قدر أبى ، و (كأن بك تخادعني) أى يظهر لى وأخاف أن تخادعني ، و (على به) أى تعالوا به الى . و (أنا لك بذلك) أى اكفل لك به ، و (انى لى بالشمم) أى كيف يمكنني أن أصير شهما ، و (نحن بالله) أى نتوكل على الله و (ما أنا عليه) أى الحالة التى أنا عليها ، و (صالحه على الف درهم) أى على شرط دفعه الف درهم ، و (لونه الى السواد) أى مائل الى السواد . و (بعدى) أى بعد موتى . . ويمكن إضافة الجار وخصوصا «من» الى بعض الحروف الجارة والمبنية على الفتح منها فتخفض اذا نحو (هذا من عند الله) وكذلك (نزل من على فرسه) و (قد بلغت من لدني أجرا) ولا تجوز اضافة الجار الى «مع» فالحروف الجارة المبنية على الفتحة غير «مع» أصلها أسماء نصب للظروف فلا عجب أنها تخفض بعد جار و «على» تبعت (فوق) فى ذلك و «لدن» تبعت (عند) وبعض اللغات السامية غير العربية يتعدى ذلك الى مثل ittam me ippah i i a u فى العبرية أى فأخذ من لديهم باضافة min الى et و el mihus في العبرية أيضا أى الى من خارج يعنى الى خارج من البيت و issa ad isu lme أى لمن رجل وحتي امرأة يعني ما بين رجل وامرأة

و lbatreh في الارامية أي لبأثره يعني لورائه والى ورائه

قد يضعف معنى الاسم المضاف اليه حرف الجر إذا كان مضافا الى اسم آخر أو ضمير فيصيران معا بمنزلة حرف جر نحو ( بين يديه ) أي أمامه و ( على يديه ) أي بواسطته و ( من شانه ) و ( لشأنه ) و ( لأجل ) و ( بغير ) و ( من غير ) الى غير ذلك ومثل ذلك كثير في اللغات السامية نحو biad idau في السريانية أي بيد يديه معناها بيديه فلم يبق ا ( يد ) الأولى معنى مستقل أصلا و al ide في العبرية أي على يدي فلان غير أن معناها غير معنى تلك وهو حسب و lipne في العبرية أي لوجه فلان معناها أمامه و batar المذكورة آنفا في الارامية معناها وراء ولا يطابق أحد الامثلة السامية واحدا من العربية مطابقة تامة إلا أن ( بلا ) و ( هم ) لم تركب من حرف جار واسم بل من حرف جار وحرف للنفي يطابقها تماما blo في العبرية و ina balu في الأكدية و enbala في الحبشية

وقواعد الاتباع السائدة في اللغات السامية تختلف عنها في اللغات الهندية والايرانية والغربية اختلافا هو من أشهر علامات الفرقتين فنرى اللغات الهندية والايرانية والغربية مؤسسة على الاتباع التام . فكل جزئين من الجملة بينهما علاقة نحوية يتفقان على اكثر مايمكن الاتفاق في العدد والجنس والاعراب فاذا كان الفاعل مثلا مؤنثا لزم أن يكون الفعل كذلك قدم أو أخر واذا كان الاسم مثلا مذكرا مجموعا يكون الوصف مثله وكل تابع لمرفوع فهو مرفوع ضرورة الى غير ذلك . والاتباع في اللغات السامية وخصوصا في العربية ناقص من جهات: منها أن الفعل المقدم يجوز أن يكون مذكرا مفردا في اكثر الحالات على اختلاف أحوال الفاعل ، ومنها أن الجمع المكسر وما يشاكله يتبع غالبا كأنه مفرد مؤنث ومنها أن بعض الاوصاف لا تؤنث أبدا وقد ذكرنا ذلك . ومنها أن الحال والتمييز وغيرذلك منصوب دائما وان عاد الى مرفوع أو مجرور . وأنواع نقص الاتباع المذكورة قديمة جدا نشاهدها في بعض اللغات السامية الباقية أيضا مثال

ذلك من العبرية lo ijhie lka elohim aherim أى لا يمكن لك آلهة أخرى ، بالفعل المفرد قبل الفاعل المجموع . واما مثل ( مختلفا الوانها ) بعدم إتباع الخبر للمبتدأ لنزوله بمنزلة الفعل وتقدمه للمبتدأ فخاص بالعربية ومثال آخر من العبرية uatta rok Lisra el اي فاصطفت بنو اسرائيل باتباع شبه الجمع كأنه مفرد مؤنث

القسم الرابع . ولننتقل الآن الى القسم الرابع من هذا الباب وهو في أنواع الجمل ولنذكر منها الاستفهام والنفي والاستثناء

اما الاستفهام فهو جنسان في كل اللغات استفهام عن كلمة أو استفهام عن جملة وجواب الاول كلمة وجواب الثاني نعم اولا . فاني اذا استفهمت ( متى جئت ؟ ) دللت بذلك على ان مجيء المخاطب معروف ولا اجهل الا وقت مجيئه فيكفي في الجواب ذكر الوقت بامس أو مثل ذلك فالسؤال هنا بكلمة وهي « متى » في مثالنا وهي من ظروف الاستفهام واسماء الاستفهام كمن وما تفي بهذه الوظيفة ايضا والجواب كذلك بكلمة او مايقوم مقامها فهذا الجنس من الاستفهام بسيط لايكاد ان يشكل في اية لغة من اللغات . واذا سألت ( هل جاء اخوك ) دللت بذلك على اني اشك في نفس مجيئه فأستفهم عن الجملة جميعها او بالاحرى عن صحة وقوع مضمونها فالجواب إما ان يكون نعم اولا اوربما جاء اولا اعرف او مثل ذلك وهذا الجنس من الاستفهام تختلف في تأديته اللغات . فكلها او اكثرها يشير اليه بنغمة خاصة بالاستفهام على العموم او بالاستفهام عن الجملة خصوصا لخلاف الاخبار ، وبعضها يزيد على ذلك ومنها اكثر اللهجات العربية الدارجة ففي لهجة الشام مثلا « بترافقني » إما إخبار او استفهام حسب نغمتها وبعض اللغات يميز الاخبار والاستفهام بتخالف في ترتيب الكلمات منها الفرنسية والانكليزية والالمانية نحو il est venu و est-il venu ? أو he has come و has he come? ولبعضها ادوات خاصة بالاستفهام منها اللاتينية نحو venit أى جاء و venit ne او num venit اى اجاء والتركية نحو كلدى وكلدي مي . واللغات السامية لاتعرف تأدية الاستفهام بترتيب للكلمات خاص بها اصلا فاما ان تستغني عن كل اشارة اليه الا النغمة وإما ان تستخدم الادوات ، والاول موجود فيها كلها وهو نادر جدا في العربية الفصيحة

فأدوات الاستفهام عن الجملة فى العربية اثنتان : هل والهمزة ، ولا توجدان فى غير العربية من اللغات السامية إلا أن ha فى العبرية والآرامية العتيقة تقارب الهمزة العربية والهمزة هى المألوفة الكثيرة الاستعمال ، وهل أشد قوة في الاستفهام وقد ترمز الى أن السائل يتوقع الجواب بلا ولذلك قد تقع بعدها (من) الخاصة بالسلب مثاله من القرآن الكريم ( هل من مزيد ) فكأن معناها مامن مزيد فتقارب هل لـ num اللاتينية التى لايستفهم بها إلا اذا توقع السائل النفس نحو venitne أى أجاء يعني لا أعرف أجاء أم لم يجىء و num venit أى هل جاء يعنى أظن أنه لم يجىء ، وإن كان على ضد ذلك نخالني فالعربية لم تتحصل على عبارة عن هذا المعنى تبعد كل الشك غير أنها تقدمت الى ذلك ولا ترافقها إحدى سائر اللغات السامية . وضد هذا المعنى هو التوقع للجواب بنعم ويعبر عنه فى كل اللغات بالاستفهام المنفى نحو ? nonne venit و ? has he not come و n'est il pas venu أى ألم يجىء يعني أظن أنه جاء فأكده . فالاستفهام المنفى فيه شىء من الحصن ويغلب فى العربية هذا المعنى على المعنى الاستفهامى فى بعض الحالات منها « ألا » نحو ( ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم ) أي دونكم قتالهم و ( ألا أخبركم ) أى لأخبركم ، وقد يتلوها الماضى نحو ( ألا أرسلت إلي ) أي ليتك أرسلت الى ويوجد فى هذا المعنى ( إلا ) بالتشديد و ( هلا ) وفى القرآن الكريم ( لولا ) نحو ( يقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه ) أى ياليته أنزل عليه آية أو يكاد أن يكون المعنى لأى شىء لم تنزل عليه آية . و (ألا) تكون زائدة نحو ( ألا إن الحداثة لاتدوم ) ومن خصائص العربية فى هذا الباب إدخال الهمزة على إن نحو ( أئنك لأنت يوسف ) وتكريرها نحو ( أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون ) وفى كل اللغات كثيراً مايضم الى الاستفهام استفهام ثان على ضد الأول نحو ( أجاء أخوك أم لم يجىء ) فلا بد من وقوع أحدهما من المجىء أو عدمه فيجب على المجيب أن يثبت الأول وينفى الثانى أو بالعكس . و(أم) خاصة بالعربية التى اخترعتها بهذا المعنى بخلاف ( أو ) فاذا استفهمت أزيد عندك أم عمرو دلت بذلك على علمي بأن أحدهما موجود عند المخاطب لا أعرف أيهما فالجواب زيد

لاعمرو أو بالعكس بخلاف قولي أزيد أو عمرو عندك :أي واحد منهما او كلاهما فيجوز أن يكون الجواب نعم زيد او نعم عمرو او نعم كلاهما اولا ليس عندي لازيد ولاعمرو ، غير ان (أو) قد تستعمل فى معنى (أم) ايضا وهى فى بعض اللغات السامية فى كلا المعنيين بدون فرق. مثاله من العبرية mi jodea hehakam jihie 'o sakal يعني من يعلم أيكون حكيما ام سفيها . ولما كان معنى أم التخيير بين حالتين متخالفتين جاز استعمالها فى نفس الاختيار أيضا وهو التسوية نحو (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم) فالفعل ماض مع دلالته على الحاضر لمشابهة هذا التركيب للشرط وكثيرا ما استغنوا عن الاستفهام فى التسوية نحو (أنا الملك شئتم او أبيتم) او (غنيا كان او فقيرا) وسائر اللغات السامية لم تتحصل على عبارة بينة عن التسوية البتة . واما الجواب عن الاستفهام عن جملة فاذا كان منفيا فهو اداة النفى فقط اى «لا» ولا يعبر عنه فى العربية بكلمات خاصة بذلك كـ non فى الفرنسية و no فى الانكليزية و nein فى الالمانية بخلاف النفى الذى هو ne-pas وnot و nicht . . واما الايجاب فعباراته كثيرة فى العربية واقدمها « إن » وهى نادرة الوقوع نحو (قالوا غدرت فقلت إن). وهى فى العبرية hen وفى الارامية en . وبلى فى العبرية al ، ومعناها النفى فى بعض الاوقات والايجاب في الاخرى كـكون بلى موجبة وبل نافية . واجل معنى نعم طيب . وإى . من الاصوات . واجل اصلها غامض

واما النفي فأقدم ادواته فى العربية «لا» وبقابلها فى الاكدية والارامية la وفى العبرية lo وفى الحبشية يقاربها al فقط الموجودة فى albo اى ليس فيه ، وفى akko اصلها alko اى ما كان و al هذه يقابلها al فى العبرية والارامية العتيقة و ul فى الاكدية . فنفترض اللغة السامية الأم كلاهما يعني la و al واصلهما واحد ويحتمل ان يكون سبب تخالفهما فى اللفظ تأثير قواعد الوصل والتركيب اللفظى فى الجملة ويدل على ذلك تخالف وظائفهما فى الاكدية والعبرية فان la في الاكدية للنهى و ul للسلب وفى العبرية على العكس فـ lo للسلب و al للنهى ، ولايتعجب احد من هذا التضاد فانا نرى الاكدية تضاد سائر اللغات

السامية فى كثير من قواعد ترتيب الكلمات فيقدم الفعل فى اللغات السامية الغربية فى أكثر الحالات على فاعله ومفعوله وغيرهما ويؤخر فى الاكدية الى غير ذلك . وقد اشتقت العربية من «لا» ادوات اخرى للنفى لاتوجد فى سائر اللغات السامية إلا «ليس» فيقابلها فى الآرامية lait وهى مركبة من لا واسم معناه الوجود يحتمل أن يكون لفظه القديم iitai او قريبا من ذلك وهو ies فى العبرية و itai في الارامية العتيقة ويقاربها في الاكدية فعل وهو isu اى يملك الشىء وهو له فمعنى lait لايوجد ، وهذا هو عين معنى ليس الأصلى. غير ان حروفهما لاتتطابق تماما فانا قد كنا بينا ان السين العربية لايقابلها في اللغات السامية الشمالية إلا السين بعينها او الشين ولايقابلها التاء او الثاء الآراميتان ولايوجد بين الحروف العربية حرف يقابله فى الارامية التاء او الثاء ، وفي العبرية والأكدية الشين إلا الثاء فكان يلزم ان تكون lait فى العربية laita وقيام السين فى ليس مقام الثاء نقض لقوانين الاصوات السامية لابد له من سبب ولا نعرفه . . ومما يشتق من لا «لات» وهى نادرة لاتكاد ان توجد الا فى القرآن الكريم وبعض الشعر العتيق . ومن ذلك لم وربما كانت مركبة من لا وما الزائدة فحذفت الفتحة الممدودة الانتهائية فى بعض أحوال التركيب اللفظى فى الجملة كما حذفت فتحة la الانتهائية فى بعض اللغات السامية فصارت lam ثم قصرت الحركة للساكن بعدها وقد تضم اليها «ما» ثانية فتصير لما في مثل (لما يذوقوا عذابى) وان مركبة من لا وان وقد ذكرنا ذلك فيما سبق . والعربية لم تقتصر على اشتقاق حروف للنفى من لا بل اخترعت له بعض ادوات جديدة ايضاً وهى ما وان وغير . فـ(ما وإن) يحتمل ان يكون اصلهما الاستفهام وهذا ظاهر فى ما فهى ما الاستفهامية بعينها فى الاصل لاشك فى ذلك وان صعب تصور الطريقة التى ينبغى أن تكون قد سلكتها من معنى الاستفهام الى معنى النفى فاذا نظرنا مثلا الى (ماعندى) فمعناها على الاستفهام «اى شيء عندى» فاذا افترضنا ان الناطق يتوقع جوابا شافيا ويشير اليه بسؤاله فيكون المعنى «لاشىء عندى» وليس هذا معنى ما النافية بل «ماعندى» اذا كانت ما نافية ناقصة لامعنى لها إلا على تقدير كلمة نحو (ماعندى شىء) .

وذلك أن معنى ما الاستفهامية مركب من معنيين معنى الاستفهام ومعنى الشيء وشرحناه لذلك فيما قبل بأى شيء . ومعنى ما النافية بسيط ناف لا يخالطه الشيء البتة . فاذا اشتققنا ما النافية من الاستفهامية نضطر إلى أن نفترض أنه مع قلب الاستفهام الى النفى أو بعده فقدت ما النافية العنصر الأسمى الذى كان موجودا فى ما الاستفهامية فصارت نافية محضة ترجمتها الفرنسية ne-pas والانكليزية not وكان يجب أن تكون ترجمتها ne-rien و nothing . . . وقد استفادت العربية من كون ما الاستفهامية مشتملة على الشيء والنافية لا تشتمل عليه ففرقت بذلك بينهما فانى اذا سمعت (ماعندى) لم يمكنني الشك فى أنها استفهام لانى لو فرضتها نفيا لكانت الجملة ناقصة ، وإذا سمعت (ماعندى شيء) عرفت أن ذلك نفى لانى لو فرضته استفهاما لكانت كلمة شيء زائدة . وكذلك فرقت العربية بين ما الموصولة وبين غيرها بتخصيص الموصولة بالضمير العائد عليها وبادخال الفمرة بعدها، وما الزائدة لها أيضاً قواعد خاصة بها تميزها عن غيرها . فالنتيجة أنه وان كانت «ما» تؤدى معانى متعددة فى العربية فلا موضع للشك في أنها هو المراد وذلك لثبات القواعد النحوية ووضوحها الرافعين للعربية فوق أخواتها السامية . وأما إن فربما يقابلها الحرف النافى المألوف فى الحبشية وهو i فاذا كان كذلك كان أصل إن in ثم قصرت للساكن بعدها . و i و in تقاربان (أى) و(أين) فربما نشأ قلب الحركة المركبة من الفتحة والكسرة كسرة بسيطة ممدودة عن تأثير أحوال التركيب اللفظى فى الجملة . فيمكن أن تكون إن أصل معناها أين والتوصل من هذا المعنى الى معنى النفى أسهل بكثير مما بحثنا عنه فى باب ما فاذا نظرنا مثلا الى (أن الحكم الالله) سهل علينا اشتقاقه من (اين الحكم إلالله) وذلك لانه وإن احتوت أين على معنى غير معنى الاستفهام وهو معني ظرف المكان كان ليس بواجب في الجملة وسقوطه غير مشكل : وأما غير فهى اسم معناه مختلف عن الشيء الذى أضيفت اليه فالشيء الموصوف بها ليس بالشيء المضاف اليه وهذا هو معني النفى . ومما يظهر أن « غير » تعد بين ادوات النفى عطف (ولا) عليها نحو (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) ... وإذا أردنا أن نبين وظائف أدوات النفى المذكورة على اختلافها

وتعلق بعضها ببعض وجب علينا أولا تقسيم معانى النفى المهمة التى تؤديها الادوات وهي ثلاثة أنواع : نفى الفعل ، ونفى الخبر ، ونفى الكلمة ونضم اليها نوعا رابعا وهو عطف المنفى على المنفى . . فالنوع الاول ينقسم الى نفى الماضى والحاضر والمستقبل ، والى نفى الدعاء ونظيره والى نفى الامر وهوالنهى والنوع الثانى بسيط . والنوع الثالث ينقسم الى ثلاثة أقسام : نفى وجود الشيء ، ونفي وقوع معنى الجملة على الشيء ، ونفى الاتصاف بالشيء . . والأول واضح ومثاله نفى الجنس نحو لابد وقد ذكرنا ذلك آنفا ، ومثال الثانى ( ليس لذلك دعوتك ) فتنفى كلمة لذلك فقط ولاينفى الفعل لأن المعنى أنى أوجب كونى دعوت المخاطب وإنما أنفى وقوع دعوتى له على كلمة ( لذلك ) وارتباطها بها ، ومثال الثالث ماذكرناه من ( غير المغضوب عليهم ) فالمعنى هو نفي وصف ( الذين أنعمت عليهم ) بأنهم هم المغضوب عليهم . فاذا فرقنا أدوات النفى العربية على أقسامه المذكورة حصلنا على الجدول الآتى

| | الفعل | | | | | الخبر | الكلمة | | | العطف |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | الماضي | الحاضر | المستقبل | الدعاء | الامر | | الوجود الشيء | وقوع الجملة عليه | الاتصاف به | |
| لا | | لا يفعل | لا يفعل<br>لا يفعلن | لا فعل | لا تفعل<br>لا تفعلن | (لا) | لا بد | لا لذلك دعوتك | بقرة لا ذلول | ولا |
| ليس | ( ليس فعل ) | ليس يفعل | | | | ليس | ليس بد | ليس لذلك دعوتك | | |
| لات | | | | | | | لات حين | | | |
| لم | لم يفعل | | | | | | | | | |
| لما | لما يفعل | | | | | | | | | |
| لن | | | لن يفعل | | | | | | | |
| ما | ما فعل | ما يفعل | | | | ما | ما من بد | | | |
| إن | إن فعل | إن يفعل | | | | إن | | | | |
| غير | | | | | | | | | غير | |

والجدول يحتاج الى بعض إيضاحات : فلات مقصورة على نفى وجود الحين نحو ( لات حين مناص ) ويقابل هذه العبارة فى العبرية مثل lo et he asef أى لات حين جمع المال ، فلات يقابلها هنا lo المطابقة لـ «لا» بدون hammiqne التاء والعبارة في العبرية من أشباه الجملة كنفي الجنس فى العربية فيحتمل أن تكون لات حرف نفى ولا تكون فعلا من أخوات كان و ( لات حين ) شبه جملة لا جملة . و(لما) مقصورة على توقع الفعل وانتظاره واستطالة زمانه فـ (لما يذوقوا عذابى ) معناها لم يذوقوا عذابى بعد . فنرى لات ولما وكذلك لم وان وغير محدودة المعانى مخصوصة مع أنه يشارك كل واحدة منها فى وظيفتها حرف آخر من حروف النفى ، فلن وغير يشاركهما لا ، ولم يشاركها ما ، الا لات ولما فمعناهما أخص من معاني غيرهما فلا يؤدى تماما الابهما . ونرى « لا » مستعملة فى كل الحالات الا الماضى واذا راعينا أن «لم» ليست الا « لا » بزيادة « ما » قلنا ان «لا» مستعملة فى الجميع والسبب فى ذلك أنها أقدم حروف النفى العربية فكانت عامة ابتداء ، والباقيـة كلها أحدث منها وأخص. فأصل محل « ليس » القديم نفى الخبر ثم نقلت الى غير ذلك وسبب ايثارهم لها على غيرها وخصوصا على « ما » فى بعض الحالات أنها واضحة يسهل تمييزها عن غيرها وأنها لكونها متكونة من مقطعين أكثر ضغطا وتأثيرا فى السمع ، وكثيراً ماتنوب عنها كان منفية وهي أكثر تنوعا من « ليس » فى الاوقات وغيرها فليس دائما للحاضر و« لم يكن » للماضى و« لن يكون » للمستقبل الى غير ذلك . ولأن ( ما ) أحدث من لا خصصت بنفى أحدث أبنية الفعل وهو فعل للماضى فنفى الماضى القديم هو «لم يفعل» والحديث «ما فعل» ، ومع ذلك فـ (ما) كثيرة فى نفى الخبر . و ( إن ) تكاد أن تطابق (ما) في وظيفتها وأكثر وقوعها قبل ( إلا ) للجناس بينهما نحو ( ان الحكم الا لله ) ، ونفى الخبر يحتاج الى ملاحظة فاذا كان الخبر وصفا أو بمنزلة الوصف فكثيراً ماتدخل عليه الباء كما ذكرناه قبل وبالاخص بعدما وليس وقد تقع بعد كان المنفية أيضا نحو لم تكن بصغيرة . ويجوز نصب الخبر بعد ليس وكان. وهو بعد كان أكثر من الباء فى لهجة الحجاز يجوز النصب بعد ما ،

وقالوا بعد لا أيضا غير أن وقوع الوصف خبراً بعدها نادر . ومثال النصب بعد ما ( ماهذا بشراً ) و ( ماهن أمهاتهم ) وخبر مافى غير لهجة الحجاز مرفوع نحو ( ماكل من تلقى بذلك عالم ) وجاء في القرآن الكريم ( ما محمد الا رسول ) بالرفع والاصل هو الرفع والنصب قيس على ليس وكان . وكلاهما من النصب والرفع قليل . . ومن غرائب النفى سقوط حرف النفى فى القسم والنشد وزيادته فيهما عند الايجاب نحو

أقسمت بالله أسقيها وأشربها حتى تفرق ترب الارض أوصالى

( أى الخمر ) أى لن أسقيها ولا أشربها ونشدتك الله أو بالله ان فعلت ذلك أى لا تفعله وأقسمت عليك الا لبست درعى أى البسه ، وأصل ذلك في النشد ظاهر وهو حذف جزاء الشرط فتقديره ( ألا لبست درعى كنت ملعونا ) أو مثل ذلك . . ونجد شبهه في العبرية نحو ḥe par o im teṣ u mizze أى وحياة فرعون أن تخرجوا من هنا يعنى لا تخرجن من هنا وتقديره أن تخرجوا فلعنكم الله أو مثل ذلك . وربما كان سبب حذف النفى فى القسم مثل هذا

والاستثناء أصله من تركيب الجمل فان ( إلا ) مركبة من ان الشرطية ولا النافية فمثل ( ماجاءنى أحد الا زيد ) أصلها ( ان لم يكن جاءنى زيد فما جاءنى أحد ) غير أن ( ماجاءنى أحد الا زيد ) بعيدة عن هذا الاصل جدا وذلك من ثلاث جهات : أولاها أن معنى « ان » هنا غير المعتاد فان غرضى من قولى ( ماجاءنى أحد الا زيد ) ليس أن اقيد مضمونه بشرط بل المراد أنى أعلم أن زيدا جاء فمعنى ان هنا قريبة مما تعودنا عليه في « لو » فنستطيع أن نشرح مثالنا بـ ( لو لم يجىء زيد لما جاءنى أحد ) وهذا ليس بصحيح تماماً أيضا لأنه يمازجه شيء من التمني ولا يوجد فى الاستثناء . والوجهة الثانية أن الشرط يقدم غالبا لا يؤخر . والثالثة أن نفى ان ليس بـ ( الا ) بل بـ ( ان لم ) على العادة و « الا » أقدم من « ان لم » كما أن « لا » أقدم من « لم » . فـ « الا » فى مثل ( ماجاءنى أحد الا زيد ) وان أمكن اشتقاق معناها من جملة شرطية فلم يبق فيها فى الحقيقة شيء من معنى الشرط ولا يستأنف بها جملة بل هي وما بعدها جزء من الجملة

المستثني منها فيقرب معناها من معنى النفى ولذلك ذكرناها ههنا . وهى فى غير مثالنا أبعد بكثير عن الشرط منها فيه مثال ذلك ( فشربوا منه إلا قليلا منهم ) فلا يمكن تقدير ذلك كجملة شرطية ومثل (مئة إلا واحدا) أبعد عن الجملة الشرطية من السابق . فانتقلت « إلا » من معناها الاصلى الى هذا المعنى قياسا على « ماخلا » و « ماعدا » ولذلك تعمل إلا فى النصب مثل ( شربوا منه إلا قليلا منهم ) كما تعمله « ماخلا » و« ماعدا » لكون خلا وعدا فعلين متعديين . و« إلا » تطابق في الأرامية ellā غير أن ellā لم تبتعد عن أصلها ابتعاد « إلا » عنه ، بيد أن السريانيين قد يجمعون بين ellū وبين en أصلها ولم تفعل العرب ذلك ، مثاله من السريانية la meskah-na la-mhaimanu ella en ettpiset أى ( لا قادر أنا على الايمان إلا ان اقتنعت ) يعني لا أقدر أن أومن الا أن أقنع فتقدير العبارة الارامية ( ما خلا على شرط كوني مقتنعا ) وتقدير العبارة العربية ( ان لم يكن الحال كوني مقتنعا ) فـ « الا » هنا محافظة على معنى شرطى و ellā السريانية لم تحافظ عليه أصلا حتى أنها تحتاج الى ضم en اليها .. وقد وضعت العربية القواعد الدقيقة للاستثناء وأكثرت من حروفه وفرقت بينها فى بعض الأحوال فصار الاستثناء فيها بابا مستقلا بنفسه لا يماثلها فيه إحدى سائر اللغات السامية

---

القسم الخامس : والآن بقى علينا الكلام عن تركيب الجمل بعضها مع بعض وهو جنسان : تسوية وإعمال ، وكلاهما نوعان : عطفى وغير عطفي ، فيكون ذلك أربعة أقسام ، مثال التسوية الغير العطفية ( أسر يومئذ معبد أسره عمرو ابن مالك ) ، والتسوية العطفية كثيرة الوقوع نحو ( جاء فقال ) والوف من أمثالها ، والاعمال الغير العطفى منه الصفة نحو ( جاءنى رجل لاأعرفه ) وكثير من الحال نحو ( قعدت أتفرج ) وغيرهما ، و ( لاأعرفه ) و ( أتفرج ) وأمثالهما ليست بجمل مستقلة كـ ( أسره عمرو بن بن مالك ) في مثالنا الأول بل تقوم مقام جزء من جملة أخرى فيمكنني أن أستبدل ( جاءنى رجل لا أعرفه ) بـ ( جاءنى رجل غير معروف ) و ( قعدت أتفرج ) بـ ( قعدت متفرجا ) فكما أن الاسم يعمل في

صفته المتكونة من كلمة فكذلك يعمل فى الصفة المتكونة من جملة وكما أن الفعل يعمل فى النصب على الحال فكذلك يعمل في الجملة الحالية ، والقسم الرابع أى الاعمال العطفي كثير منه كل مايرتبط بالاسماء الموصولة وان وأن وان واذا ولما الى غير ذلك . فالعطف أحدث من عدمه والاعمال أحدث من التسوية وكثير من اللغات لم يتحصل على غنى كاف من وسائط اعمال الجمل في الجمل ، ولم يوفق الى ذلك غير لغات الأقوام المتمدينين أصحاب الحضارة العالية من جهة الفكر منها اللغة الصينية والهندية القديمة أى Sanskrit واليونانية واللاتينية واللغات الغربية ومنها اللغة العربية غير أنها حسب مزيتها مع الترقى الى تركيبات الجمل المشتبكة المتنوعة الكافية فى إفادة جميع أنواع العلاقات بين الأفكار على اختلافها قد حافظت على بعض أشكال التركيب البسيطة الأولية ايضا ، من ذلك ماذكرناه من عدم العطف فى الاعمال ومن ذلك الاستعانة ببعض حروف التسوية العطفية في الاعمال ايضا كالواو للحال والفاء فى جزاء الشرط ، فالعربية تشبه في ذلك العبرية بعض الشبه والفرق بينهما ان العربية بتحديد وظيفة كل واحد من وسائط التأدية البسيطة الأولية منها والكامله الحديثة ، وبتفريق بعضها عن بعض وبوضع القواعد المميزة بين كل واحد من انواع التركيب قد استفادت مما تستعمله من الوسائل الأولية البسيطة قوة مؤدية تعادل فى القوة مانجده من وسائط تركيب الجمل في اللغات الغربية ولنطلع الآن على بعض تفصيلات هذا النظر العام .

ان من التسوية الغير العطفية بين الجمل فى اللغة العربية بدل الفعل من الفعل مثل ( أسر يومئذ معبد أسره عمرو بن مالك ) وقد ذكرنا هذا المثال آنفا فالغرض من التركيب هنا ذكر فاعل مالم يسم فاعله ابتداء فهذا النوع من بدل الفعل من الفعل خاص بالعربية ويوجد غيره فى غيرها ايضاً مثال ذلك ( كانت قتلت خلادا رمت عليه رحى ) ومثله من السريانية ketbet b'et mennak اى كتبت طلبت منك فالفعل الثانى يشرح الاول ويخصصه واكثر مايكون ذلك فى كل اللغات السامية اذا دل الفعل الاول على حركة وخصوصا اذا كانا امرين

نحو ( قم صل ) ومثله في سائر اللغات السامية أكثر منه في العربية ومثاله من العبرية qumu ṣ u أي قوموا اخرجوا . والعربية لا تضطر الى ترك العطف في كل هذا بل يجوز ( قتلت خلادا فرمت عليه رحى ) و( قم فصل ) وقد يجوز أيضا الاعمال بدل التسوية نحو ( قتلته ترمي عليه رحى ) الا في بدل فعل من فعل فمثل ( أمر أمره فلان ) لا تنوب عنه عبارة أخرى ، ومما أصله تسوية غير عطفية مع كون معناه الحقيقي غير ذلك قولي ( مالي لم أسمع بك ) أو ( ما بالكم بخلتم ) فأصل هذا استفهام وإخبار مستقل عن الاستفهام غير معطوف عليه كأني قلت ( ما بالكم ثم استأنفت فقلت ( اسألكم ذلك لأني أراكم بخلتم ) ثم صار الكل جملة واحدة معناها ( لأي شيء بخلتم ) فتبعت الجملة الاولى الثانية وصارت بمنزلة الجزء منها ..

والعطف في التسوية كثير في العربية وهو الاصل فيها ، وحرف العطف الاصلي هو الواو وهي سامية الاصل ونجد في العربية معها الفاء وأصل معناها « أيضا » ويقابلها في العبرية ap أي ايضا فابتدعت العربية لهذا المعنى كلمة جديدة وجعلت الفاء حرف عطف وذلك ترقيهم ارتفعت به اللغة على غيرها من اللغات السامية وتمكنت من تنويع تأدية العلاقة بين الجملتين المتساويتين وهي مع ذلك ومع وجود عواطف أخرى كثم واو وام ولكن وبل لم تنل غنى اللغات الغربية في هذا الباب بخلاف ما نالته في باب إعمال الجملة في الجملة فلا تحوي عبارات بسيطة بينة غير مشتبهة عن معاني mais الفرنسية و but الانكليزية او car الفرنسية و for الانكليزية الى غير ذلك . واما العواطف المذكورة فـ « ثم » خاصة بالعربية ويظهر انها مشتقة من ثم المقابلة لـ sam العبرية و tammān الآرامية ، و« او » سامية الاصل ، و « ام » حديثة عربية اصلها a-ma كما ان « لم » اصلها la-ma وكم اصلها ka-ma و « لكن » مركبة من « لا » و « كن » المقابلة لـ ken العبرية و ken الآرامية التي معناها « هكذا » فمعنى « لاكن » ( ليس كذا ) ، وبل أصلها جواب عن سؤال وقد ذكرناها

ومن استعمال أدوات التسوية العطفية في الاعمال واو الحال في مثل ( قتل زوجها وهي حامل ) والذي يدل على الاعمال ههنا هو العطف مع تضاد الجملتين

فى طبيعتهما فان الأولى فعلية ماضية والثانية اسمية غير معينة الوقت.. واصل العطف هو عطف المماثلين وأما عطف المتخالفين فلا بد من أن يكون له سبب وهو هنا عمل الجملة الاولى في الثانية ، وتستعمل واو الحال فى تركيبات كثيرة غير هـذا وكلها مقيدة بالقواعد فلا شك أبداً فى كون الواو واو العطف أم واو الحال إلا فى الأفراد القليلة وهـذا من خواص العربية . . ومن استعمال العواطف فى الاعمال الفاء في جزاء الشرط وغيره كما قلنا مثال ذلك ( إن عصى فويل له ) فالقصة فيها مثلها فى واو الحال فان الذى يميز فاء الجواب عن فاء العطف هنا هو تضاد طبيعة الجملتين فالأولى فعلية يعمل فى فعلها حرف الشرط والثانية اسمية لا عمل للشرط فيها . . ولادخال الفاء على جزاء الشرط وغيره قواعد ثابتة في العربية غير أن الفاء قد تدخل على مالا محل لها فيه فى الأصل نحو ( فلما أتانا فأصبح مسروراً ) بدل ( أصبح مسرورا ) وكثر مثـل ذلك في الزمان المتأخر . وقد ذكرنا الفاء الداخلة فى وسط الجملة بين جزء منها مقدم وبين باقيها ، ولما كانت الفاء خاصة بالعربية فلا نظير للتركيبات المذكورة في غيرها من اللغات السامية الا أنها كثيراً ماتدخل الواو على الجواب عن الجملة المعمول فيها بغير قواعد ثابتة واضحة وأكثر ذلك فى العبرية نحو ʾim ʿāsōrīihīe unāṭatta nepes taḥat napes أى إن كان أذى ( يعنى من ضرب الرجل صاحبه ) أعطيت نفسا بدل نفس وليس يميز الاعمال هنا عن التسوية إلا حرف الشرط فيمكن ترجمته ( ان كان أذى وأعطيت نفسا بدل نفس ) ولا نعلم أن التركيب ليس هذا بل هو الذى قدمنـاه إلا بالفكر المؤدى بهذه الجملة ، والعبرية تميل جداً الى استعمال الواو حتى فى الاستئناف فسفر القضاة مثلا يبتدىء بـ uaihi ʾaḥrē mōt Mōse يعني وكان بعد موت موسى الى آخره . ومن الاعمال بالعواطف « الفاء » و« الواو » و« أو » النواصب نحو (وأتني فأكرمك) أو ( ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق) أو ( أدْعَى وأدْعُو )او ( لالزمنَّك أو تُعْطيني ) والاصل فيها كلها العطف والتسوية ولـكون الجملة الثانيـة تابعة للاولى في المعنى عبروا عن ذلك بنصب فعلها فصارت جملة معمولا فيها فى الحقيقة وهـذا

خاص بالعربية

وأنواع الاعمال الغير العطفى كثيرة ويصاحب كل واحد منها نوع من الاعمال العطفى . فالجمل المعمول فيها على العموم تنقسم الى أربعة أنواع: وصفية تقوم مقام الوصف ، واسمية تقوم مقام الاسم الموصوف مبتدأ كان أو خبراً أو مفعولا أو مجرورا ، وحالية تقوم مقام الحال ، وظرفية تقوم مقام ظرف المكان والزمان وغيرها ونعد بينها الشرطية أيضا . . فالجمل الوصفية إما صفة أوصلة وقد فرقت العربية بين الجنسين فالصفة تقتصر على وصف الاسماء المنكرة وتقتصر الصلة على وصف الاسماء المعرفة نحو (جاءنى رجل لا أعرفه) و (اعبدوا ربكم الذى خلقكم ) والجنسان موجودان فى سائر اللغات السامية وان لم تفرق بينهما تفريق العربية فتسقط الموصول بعد الاسم المعرف فى كثير من الأوقات مثال ذلك من العبرية ha eder nittan lak أى القطيع الذي أعطيته وبالعكس ومثال ذلك من السريانية gabra da-mle kulleh garba أى رجل كله ممتلىء بالجرب فأدخات d أي «الذى» بعد الاسم المنكر فى المعنى . وتختلف اللغات السامية فى الاسم الموصول نفسه إلا أن أصله اسم من أسماء الاشارة فى أكثرها منها العربية كما ذكرنا ذلك والآرامية فهو فيها di وأخيرا d والحبشية فهو فيها za وهو فى الأكدية ša وأصلها اشارى أيضا يوافقها še العبرية ، والمألوف فى العبرية ašu وأصلها غامض . والاسم الموصول فى الاصل جزء من أجزاء الجملة العاملة لا المعمول فيها واحتفظت العربية بذلك فأتبعت الاسم الموصول الاسم الموصول به في إعرابه مثال ذلك ( بعد هذين البيتين اللذين مضيا ) وذلك ضد ما تعودنا عليه فى اللغات الغربية القديمة وفى الالمانية أيضا فترجمة المثال فى اللاتينية post duo versus qui praeterierunt] بالنصب المقابل هنا للجر العربى فـ versus و qui] بالرفع لانه فاعل praeterierunt أى مضيا . واكثر اللغات السامية بين هذين الضدين فالاسم الموصول فيها لا يتغير أبدا لا تبعا لما يسبقه ولا لما يتلوه كـ ša الأكدية و ašer العبرية و di او d الآراميتين وكذلك ايضا الاسم الموصول فى العربية الدارجة كـ elli وامثالها . والحبشية وان وجد فيها مؤنث

هو enta وجمع هو ella فهى تميل الى استعمال za فى كل الحالات .. ومما حافظت فيه جميع اللغات السامية على الأسلوب القديم المخالف الذى نشاهده فى اللغات الهندية والايرانية والغربية وقوع الضمير العائد على الاسم الموصوف في داخل الجملة الوصفية مثال ذلك من الاكدية sarru tum sa is dasa sursuda اى ملك قوى أساساه . فالجملة الوصفية كاملة في نفسها لا يكون الاسم الموصول جزء منها وترجمة المثال بالفرنسية un royaume dont les fondements ont été fixés فالجملة الوصفية les fondements ont été fixés ليست بكاملة وتحتاج الى الاسم الموصول dont فى إتمام معناها فهذه القاعدة ثابتة فى اللغات السامية لاشواذ منها أصلا . ولا يحذف الضمير العائد الا اذا كان تقديره سهلا . وكما يجوز أن يجعل الوصف المتكون من كلمة اسما موصوفا كذلك الجملة الوصفية أيضا فان كانت موصولة فلا عجب فى ذلك لان فى أولها « الذى » ومايشاكلها نحو (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وأما الغيرالموصولة فلا تجعل اسما موصوفافى العربية الاماقدذكرناه من مثل (المؤلفة قلوبهم) ويجوز جعلها اسما موصوفا فى بعض سائر اللغات السامية : من ذلك في العبرية u ahre lo io ilu halaku أى فمشوا وراء من لاينفع فـ lo io ilu أى لاينفعون بغير اسم موصول قائم مقام الاسم الموصوف ، ومثاله من الأرامية uihibu lSesbssar smeh أى فوهبوا لرجل اسمه ششبصر فـ Sesbassar smeh أي (ششبصر اسمه) قائم مقام الاسم الموصوف . . ويجوز استعمال اسماء الاستفهام موصولة أيضا فهذا وان وجد فى سائر اللغات السامية فحيزه فى العربية أوسع بكثير منه فى غيرها مثاله من العبرية mi iare iasob أى من خشى فليعد أو ma attem omrim e se أى ما أنتم تقولونه أنا أفعله . و«من» و« ما » كثيرة جدا فى هذا المعنى فى اللغة العربية و« أى » أقل منهما . وأصل معنى من منكر وهو بين المفرد والجمع وان أتبعت دائما كأنها مفرد مثاله (ومن الناس من يقول آمنا بالله ) فيظهر من الجمع فى آمنا أن المراد بمن هو الجمع وهذا المعنى يقرب من معني الشرط فلذلك كثيرا ما عملت «من» عمل حروف الشرط نحو ( ولكن البر من اتقى ) أى إن اتقى الانسان الله تعالى فهذا هو

البر ، وخصوصا إذا استؤنف بمن نحو ( من كان عدو الله ) أى ان كان أحدكم عدو الله . و « ما » وسائر أسماء الاستفهام على هذا النحو . . وقد تضاعف « ما » لتأدية معنى الابهام والتنكير فتصير « مهما » بدل mama . وتلحق ما بغيرها أيضا مثل « أيما » و« متى ما » و« كيف ما » و «أين ما» و«حيثما» وأصل الكل أسماء أو ظروف استفهامية تستعمل كالموصولة وتعمل غالبا عمل حروف الشرط. وكل هذا يكاد أن يكون خاصا بالعربية وإن وجد القليل المشاكل له فى غيرها أيضا مثال ذلك من الأكدية manumma ˀeristušu ša šarri beliia lišpur أى مهما تكن رغبة مولاى الملك فليبعث إلى غير أن الجملة التالية ا manumma اسمية لا شرطية

وأما قيام الجملة مقام الاسم الموصوف فهو على نوعين ، فالقائم مقام الاسم هو إما لفظها - وهذا ماسماه النحويون حكاية - أو مضمونها فالأول مثل ( وإنه بسم الله ) أى أن الكتاب الملقى على ملكة سبأ هو بسم الله إلى آخره يعني الكتاب أى المكتوب متكون من هذه الكلمات ، ومثال آخر ( أهل لا إله إلا الله كثير ) يعني أهل النطق بلفظ الشهادة دون الاخلاص بمعناها ، وهذا نادر جدا الا بعد أفعال القول نحو ( قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الارض خليفة ) فالنسبة المنطقية بين قال وبين الكلام المحكى هى أنه مفعول قال وليس بينهما أداة دالة على ذلك . والحاق الكلام المحكى بفعل من أفعال القول مباشرة هو المألوف فى أكثر اللغات على العموم ويجوز فيها الاخبار عن مضمون الكلام بدل حكايته وهذا مما سنذكره بعد . . وقد فرقت العربية بين النوعين فخصت كلمة قال بالحاق الحكاية بها دون ايراد المضمون فقط والحالة على عكس ذلك في أكثر أفعال القول الباقية ، فاذا استبدلنا كلمة «قال» فى مثالنا بكلمة «أخبر» لزمنا أن نقول ( أخبر الله الملائكة أنه جاعل فى الارض خليفة ) فوجب هنا دخول « أن » ولا يجوز ادخالها بعد كلمة «قال» .وما يختلف به الاخبار عن الحكاية هنا هو ابدال الضمائر فالمتكلم فى الحكاية صار غائبا فى الاخبار . . ومن الكلام الواقع بعد أفعال القول الاستفهام فاذا حكي حكاية قل الفرق بينه

وبين ما قد شرحناه . وأما الاخبار عن مضمون الاستفهام فيحتاج الى أسماء الاستفهام أو أدواته المستأنف بها كاحتياج الحكاية اليها فلو أدخلنا عليه أن أو مثلها لكان يلزمنا الجمع بين أداتين فى أول الجملة وهذا وان وجد - نحو ( سل عنه أنه هل صلى العشاء ) - الا أنه كان غير مقبول فى الزمان القديم ، والمألوف هو مثل ( فنظرت هل ترى أحدا ) بغير أن أو مثلها فهذا من الاستفهام عن الجملة : ومن الاستفهام عن الكلمة مثل ( فانك لاتدرى متى أنت راجع ) ، وإذا اطلعنا على المثالين وجدنا بينهما فرقا وهو ان مفعول فعل السؤال فى الاول هو الجملة الاستفهامية بأسرها وفى الثاني يمكننا أن نعد اسم الاستفهام وحده مفعولا للفعل وصحة هذا الرأى ظاهرة كل الظهور فى مثل ( ولم يتفقوا على أيهم أشعر ) فأيهم هنا مجرورة بعلى فهي جزء من أجزاء الجملة الاولى وهي مع ذلك مبتدأ الجملة الاستفهامية ايضاً فهذا مما فيه وجهان لجزء من اجزاء الجملة كما ذكرناه من ( رجل كثير اعداؤه ) . . ومن هذا الباب التسوية الاستفهامية التي سبق ذكرها مثل ( سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم ) غير ان الاستفهامين فى هذا المثال مبتدأ جملة أسمية لامفعول جملة فعلية . ويقارب السؤال التمني فى مثل ( يود أحدكم لو يعمر الف سنة ) فأصلها الحكاية قائمة مقام مفعول يود وكانت تكون ( لو اعمر الف سنة ) ثم قلب المتكلم الى الغائب ولم يلحق بالجملة حرف من حروف الاخبار كـ « أن » لوجود « لو » فى اولها

واما قيام مضمون الجملة مقام اسم موصوف فمثال ذلك انى اذا كنت مسروراً واردت ان اتكلم عن تلك الحالة وافيد مثلا ماسببها قلت ( سبب كونى مسروراً الى آخره ) فقلبت الجملة التى هى ( اكون مسروراً ) مصدراً فأمكنني بذلك اضافة كلمة سبب اليها وهذه الوسيلة التى تصيير الجملة اسما ناقصة من جهات منها لزوم تغيير بناء الجملة تغييراً تاما فيصير المسند اليه مضافا فى اكثر الحالات الى غير ذلك . ومنها احالة التمييز بين الماضى والحاضر والمستقبل وغير ذلك فان المصدر هو كونى مسروراً سواء اكنت مسروراً فى الماضى ام سأكون مسروراً في المستقبل فلهذا السبب ابتدعت اللغة وسائل اخرى لتصيير الجملة اسما وأقدمها

فى اللغات السامية ادخال اسم موصول عليها والعربية تستعمل «ما» في هذا المعنى ويسميها النحويون ما المصدرية لانها مع الجملة التالية لها تنوب عن المصدر كما شرحنا ذلك فاذا ادخلنا «ما» صار مثالنا (سبب ما اكون مسروراً هو . . . الى آخره) وهذه العبارة غير مألوفة وان كانت جائزة واصلها استفهام وهو سبب ما يعنى سبب اى شىء ثم اجبت عليه فقلت (الشيء هو انى اكون مسروراً) فالفرق بين هذه العبارة وبين «ما» الموصولة العادية ان الجواب عن ما فى مثالنا هو الجملة بأسرها . واذا نظرنا الى مثل من «ما» الموصوله نحو (عرفتُ ما عرفتَهُ) رأينا أن معناه الاصلى هو استفهام وهو (عرفت اى شيء) والجواب (عرفته انت) يعني شيء عرفته انت فالجواب عن السؤال هنا جزء من الجملة فقط ويدل عليه الضمير العائد المتصل بـ (عرفته) ولا نجد ضميراً راجعاً في مثل (سبب ما أكون مسرورا) و «ما» في هذا المعنى نادرة جداً فى سائر اللغات السامية وأكثر استعمالها فيها مضافاً اليها الكاف نحو kama فى الحبشية و kmā فى الآرامية والمألوف فيها كلها استعمال الاسماء الموصولة التى ليس أصلها من أسماء الاستفهام مثل šá فى الأكدية و ăšá فى العبرية و dī او d فى الآرامية و za فى الحبشية واكثر ذلك فى الآرامية مثاله من الآرامية القديمة dī ʿanā iādaʿ اى عارف انا انكم تشترون الزمان iddānā ʾantūn zābnīn يعني أنكم تلتمسون التأجيل وقصة أصل هذا مثل قصة أصل استعمال أسماء الاستفهام في معنى المصدر. ولم تكتف العربية بحرف مصدرى واحد هو «ما» بل اخترعت اثنين معهما «انْ» و «انّ» ويظهر انهما اشتقا من ان وهى سامية الاصل كما ذكرنا سابقاً . وميزت العربية بين «انّ» و «انْ» بادخال «أنّ» على الجمل الاسمية فقط و «انْ» على غيرها ولهذا التفريق خلل فالجملة الفعلية تحتمل القلب الى جملة اسمية فى بعض الحالات فيدخل عليها «انّ» ومع ذلك فقد ذكرنا ان ضمير الشان يُمكّن الناطق من ادخال انّ على الجمل الغير الاسمية ايضا فتكون انْ وانّ مترادفتين متطابقتين فى المعني في بعض الاحوال نحو بلغني أنْ قد جاء زيد او أنّ زيداً قد جاء اوانه قد جاء زيد فالعبارات الثلاث وان لم تتطابق تماما فالفرق بينها يسير

جدا فالاولى وهى ( أن قد جاء زيد ) معناها اخبرونى فقالوا لى قد جاء زيد ، والثانية وهى ( أن زيداً قد جاء ) معناها اخبرونى بكون زيد قد جاء ، والثالثة وهى ( انه قد جاء زيد ) معناها اخبرونى بحادثة وهى كون زيد قد جاء . هذا اذا كان الفعل ماضيا واما اذا كان مضارعا نصبوه بعد « أن » وهو مرفوع بعد « انه » اوفى جملة اسمية بعد « أن » فزادوا بذلك فى التفريق بين ان وان واخرجوا « ان » عن كونها مصدرية محضة فان قولي اريد ان تفعل ذلك يتعدى قولي اريد فعلك ذلك فى ان نصب الفعل يقرب « ان » من « كى » كانى قلت ( اريد كي تفعل ذلك ) اى غرض ارادتى فعلك ذلك كما جاء في القرآن الكريم ( إنما يريد الله ليعذبهم بها ) . فالجمل المصدرية النائبة عن مفعول فعل من افعال الارادة والطلب ومايشاكلها تقترب من الجمل الغرضية فى جوهر معناها ولذلك تتردد اللغات فى التعبير عنها وبعضها يشبهها بالجمل المصدرية المحضة كالفرنسية والانكليزية فانهما تدخلان عليها الحروف المصدرية العادية وهى qui فى الفرنسية و that فى الانكليزية واصلهما اسمان موصولان ، و بعضها يشبهها بالجمل الغرضية كاللاتينية فهى تدخل عليها ut وهي حرف الغرض ، وبعضها تشبهها بتلك من جهة وبهذه من جهة ومنها العربية فانها تدخل عليها حرفا من حروف المصدر هو « أن » غير انها تعمله عمل حروف الغرض مثل « كى » . ولم تقصر العربية هذا العمل على مايشبه الجمل الغرضية من الجمل المصدرية المستأنفة بـ « أن » بل اطلقته على كل ما فعله مضارع وقد توجد شواذ لذلك . ومما يدل على ان « أن » كثيرا ما تتعدى معنى المصدرية الى معنى مستقل مقارب لمعنى كى حذف الحروف الجارة قبلها وهذا كثير فى العربية نحو ( أيعجز أحدكم أن يقرأ ) بدل ( عن أن يقرأ ) و ( يبين الله لكم أن تضلوا ) أى ( عن أن تضلوا ) يعني حماية لكم عن ذلك فيكاد المعنى ان يكون لئلا تضلوا وهذا من غرائب التركيب فى اللغة العربية واذا تساءلنا عن الفرق بين « أنْ وأن » وبين « ما » مع صرف النظر عن الحالات التى تنمى فيها « ان » بوظيفة خاصة بها فتعمل في نصب الفعل وجدنا نَ التطابق بينها كثير مثاله من القرآن الكريم ( ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة )

و ( ذلك بما عصوا ) فـ « أن » و « ما » معناهما واحد ، ومنه (من بعدما جاءهم العلم ) و ( من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي ) وعلى العموم فـ « ما » أندر كثيراً من « أن وأن » ويقل استعمالها تدريجاً مع تطور اللغة العربية غير أنها احتفظت بها في بعض الأحوال نحو ( قل ماوجد مثل ذلك ) وطال ماو بئس ما والجملة المصدرية هى الفاعل في كل ذلك وكل ما وريث ما وعندما وبينما والجملة المصدرية مضاف اليها ههنا . وقد تميز العربية بين « أن وأن » وبين « ما » فى المعنى وأشهر مثال لذلك هو الفرق بين كأن أو كأن وبين كما فـكأن وكأن تفيدان فرض كون الشيء غير ما هو عليه فى الحقيقة وكما تفيد التشبيه والتمثيل الحقيقى مثال ذلك ( وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة ) والجبل لم يكن ظلة أو مثل ظلة بل كان ضدها فى المتانة والرسو والمعنى لو كان الجبل كظلة لكان نتقه ورفعه وزلزلته قريبا من الاحتمال فلأنه لم يكن كظلة كان نتقه من المعجزات . و« كما » مثل ( آمنوا كما آمن الناس ) يعني إيمانا يماثل إيمانهم . وتفترق « كما » عن « كأن وكأن » من جهة بناء الجملة أيضا وذلك أن « كأن » خاصة بالجملة الفعلية و « كأن » خاصة بالجملة الاسمية ولا يقابلها إلا « كما » وحدها وتغلب عليها الجملة الفعلية ، فلكي يكون التوازن تاما ابتدعوا حرفا معناه معنى « كما » وهو خاص بالدخول على الجملة الاسمية وهو « كأن »

وينتج من الامثلة الموردة أن أكثر ما تنوب عنه الجملة المصدرية من أجزاء الجملة هو المجرور بحرف جار ثم بعد ذلك المجرور باسم مضاف والمنصوب على المفعولية ، والاقل وقوعا هو الرفع مسنداً اليه نحو ( أيسرك أنه سمع كلامك ) وماذكرناه من قبل ما الى آخره ، أو مسندا نحو ( ذلك أن وذلك أن ) . وقد تبدل الجملة المصدرية من الاسم وماهو بمنزلته نحو ( ما قلت لهم الا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ) فـ ( اعبدوا الله ) وان دخلت عليها « أن » من الحكاية المذكورة آنفا ودخول « أن » على الحكاية كثير نحو (فأومأ اليهم أن اقعدوا) فالحكاية هنا مفعول أومأ ، ويوجد مثل هذا فى سائر اللغات السامية أيضاً وخصوصاً فى الأرامية العتيقة مثاله من الأرامية العتيقة uken ʾamar leh di haškahat gbar أى

وكذلك قال له أن وجدت رجلا و di وهى الاسم الموصول تقابل أن . ولا يظن أحد أن بين البناء العربى والارامى علاقة تاريخية بالضرورة بل يحتمل أن تكون العبارتان مستقلة إحداهما عن الاخرى فانا نرى إدخال الحرف الخاص بالجمل المصدرية على حكاية الكلام كثيراً فى لغات مختلفة غير متقاربة منها التركية نحو ( بكا ديدى كه يارين بو رايه كل ) أى قال لى أن جي هنا غدا . . والعربية مع قلب الجملة مصدرا أو ادخال ما أو أن أو أن عليها وسيلة أخرى لاقامة الجملة مقام الاسم وهى ادخال ( كون ) عليها نحو ( نبهت على كونه انما قاله مذهباً لنفسه ) أى على أنه قاله ، غير أن مثل هذا من كلام المتأخرين فكانوا يميلون الى ما نسميه العبارة الاسمية يعنى أنهم يؤثرون أسماء المعانى ومن بينها المصادر على غيرها من الأفعال والادوات وذلك لسببين : أحدهما استعداد العربية لذلك فان أسماء المعانى فيها كثيرة جدا وصوغ الغير الموجود منها سهل . والسبب الثانى تأثير التدريس المنطقى والشرعى فيهم فان أكثره متكون من أسماء المعانى وتركيباتها . . وكل ما ذكرناه الى الآن من الجمل المصدرية عطفي يعني يقع فى أوله حرف يعمل الجملة الاولى في الثانية ، وقد توجد جمل مصدرية غير عطفية وأمثلة ذلك نادرة متفرقة إلا فى حالتين سنذكرهما بعد ، وأما الباقى فنحو ( فبدا لهم ليسجننه ) أى قصد سجنه فالجملة هنا مسند اليه ، ونحو ( المروة إذا أعطيت شكرت ) أى المروة هى تشكرك اذا أعطيت شيئا فالجملة هنا مسند ، ونحو ( ألم تكن عاهدتنى عهدا لاتكتمني شيئا ) أى عهداً مضمونه أن لا تكتمنى شيئا فالجملة بدل من عهدا ، ونحو ( أقسم لايخرج من الحبس ) أى عدم خروجه فالجملة مفعول . وكل هذا وأمثاله ليس له أصل ثابت ولا قاعدة معينة فى العربية وهو من بقايا أوائل اللغة التى قد تحافظ عليها العربية مع وجود عبارات خاصة بالمعنى فيها فيجوز فى كل الامثلة المذكورة ادخال حرف بين الجملتين نحو ( فبدا لهم أن يسجنوه ) الى آخره . وغالباً يكون لحذف الأداة سبب وهو فى مثالنا أنه اذا أدخلنا ( أن ) لايمكن تأكيد الفعل بالنون واذا أدخلنا ( أن ) وقلنا بدالهم أنهم ليسجننه صار التركيب ثقيلا وحيل بين بدالهم

وبين ليسجدنه أكثر من الواجب ، وفى مثل ( أفغير الله تأمرونى أعبد ) كان السبب في حذف ( أن ) هو تقدم المفعول فانا إذا أدخلنا أن فقلنا ( أفغير الله تأمرونى أن أعبد ) حالت بين الفعل ومفعوله المقدم حيلولة غير مقبولة . ويوجد مثل كل هذا فى سائر اللغات السامية أيضا غير أن أكثره أندر فيها منه في[1] العربية .

وأما الحالتان اللتان وضعت لهما العربية قواعد ثابتة لاستعمال الجملة المصدرية الغير العطفية فأولاهما مايضاف اليه يوم وحين ومثلهما نحو ( لما كان حين نزل رسول الله بحصن أهل خيبر ) وأكثر ذلك في النصب على الظرف نحو يوم جئت فالاسم هنا مستعد ليصير حرفا كإذ ، ونشاهد مثل هذا فى غير العربية أيضاً مثاله من العبرية kol ime hithalla Kna ʾittam أى كل أيام تمشينا معهم يعنى عشنا معهم ، وقد تضاف فى العبرية أسماء المكان الى الجمل أيضا نحو qiriat hana Dauid أى قرية تعسكر داود معناها القرية التى تعسكر فيها داود كما أن حين نزل رسول الله معناها الحين الذى نزل فيه ، وربما كانت « حيث » اسما في الأصل أضيف الى جملة ثم صارت حرف مكان . والحالة الثانية إلحاق بعض حروف الجر بالجمل بغير توسط أن أوما وهي قليلة فى العربية منها اللام بمعنى كي وحتى ومنذ ومثل ذلك كثير فى بعض اللغات السامية وخصوصا في الحبشية

أما الجملة الحالية فهي مع كثرة وجودها فى العربية وسعة حيزها واختلاف أشكالها لاتستأنف بحرف خاص بها بل تكون اماغير عطفية أو معطوفة بالواو ، وكلتا الحالتين قديمة ونجدهما فى العبرية فمثال الغير المعطوف lo tosipi iiqr u lak rakka أى لاتزيدين يسمونك رقيقة يعنى لا يدومون يسمونك رقيقة ، ومثال المعطوف uaii era elau lahue uhu ioseb petah ha ohel أى فظهر له الرب وهو قاعد على باب الخيمة ، ويوجد بعض ذلك فى سائر اللغات السامية أيضا ، فالمثالان العبريان يوافقان القواعد السائدة في اللغة العربية في أن المضارع فى الاول غير معطوف والجملة الاسمية فى الثانى معطوفة وهذا من أقدم عادات اللغات السامية فى هذا الباب والشواذ منها متعددة فى العبرية وغيرها وهى فى العربية أقل من ذلك .

وأما الماضى فلا نعرف كيف كان استعماله الاصلي فى الجملة الحالية ، والعربية

استخدمت حرف التوقع الخاص بها وهو « قد » فى استئناف الجملة الحاليـة الماضية ملحقا به الواو نحو ( فانتبه وقد شدوه ) .. فللحال طريقتان بسيطتان أوليتان فى اللغات السامية هما على نحو ( خرج يستقبلني ) و ( جاءنى وأنا قاعد ) فالاول متركب من فعلين أولهما ماض والثانى مضارع وفاعلهما واحد ، والثانى مركب من جملة فعلية وجملة اسمية مبتدأها غير فاعل الفعل . ويحتمل أن يكون أصل الأول بدل الفعل من الفعل وقد ذكرنا ذلك فكان يمكننا أن نقول ( خرج استقبلني ) كما ذكرناه من بدل الفعل من الفعل فى ( قتلت خلاداً رمت عليه أرحى ) فكان المعنى اذاً ( خرج وذلك أنه استقبلني ) ثم استبدلوا الماضى بالمضارع لأن المضارع كثيراً مايدل على فعل مصاحب لآخر متابع له فيصير بهذا الاستبدال عبارة عن كون الخروج هو أصل الحادثة والاستقبال تابع له لمعنى من المعانى وهو فى مثالنا أن الاستقبال هو غرض الخروج ، فنرى من ذلك التحليل ان ابهام معنى الجملة الحالية وسعة حيزها من طبائعها الاصلية . . واما الطريقة الثانية وهى ( جاءنى وانا قاعد ) فهى اقرب الى الفهم من الأولى فعطف الجملتين هو المألوف لايحتاج الى تعليل والجملة الاسمية اقرب الى معنى الحال من الفعلية وخصوصاً عند اختلاف المسند اليه فى الجملة الثانية عنه فى الاولى والاحوال من طبيعتها اتباع الحوادث فلا تحتاج التابعية فى مثل هذا الى عبارة خاصة بها .. هذا ما كان عليه الأمر فى الاصل ثم بعد ما كثر مثل ( جاءنى وانا قاعد ) تعودوا على تلقى هذا التركيب اى الجملة الاسمية المعطوفة على فعلية بل على اسمية أيضا مع تخالف ما فى المعنى كأنه عبارة خاصة بالتابعية والحالية . ومع ما بين الطريقتان المذكورتان من الفرق في التركيب وفى الأصل التاريخى فهما متقاربتان وحتى متساويتان فى المعنى غير أن الأولى كثيراً مايمازجها شيء من الغرضية والثانية يمازجها شيء من التضاد بين الجملتين .. وأما النفى فنرى في الجملة الحالية المضارع المنفى بالحرف النافى القديم وهو لايتبع المضارع الغير المنفى فيكون حالا بغير حرف عاطف ، والماضى المنفى يتبع الماضى الغير المنفى في ادخال الواو على الجملة الحاليـة فتستأنف بـ « ولم او وما » ، و « ما »

تستعمل لنفى المضارع أيضا ولا يجوز استغناؤها عن الواو لأن أصلها استفهام لا نفى

والآن بعد شرح أساس الجملة الحالية على العموم نذكر القليل من تفصيلاتها : منها أن الجملة الحالية قد تكون خبراً كما أن النصب في معنى الحال هو أصل النصب فى خبر كان وأخواتها كما ذكرنا ذلك فيما سبق وذلك كثير جداً منه كان يفعل وكان قد فعل الى غير ذلك ولا يجوز أن نقول أن أصل هذه التركيبات من جمل حالية فانه لو كان الأمر كذلك لكان من الواجب أن يقال (كان وقد فعل) بالعطف لا (كان قد فعل) بغير العطف ، فينتج أن الجملة الحالية تختلف عن الاسم المنصوب على الحال في أن نصب كل توابع الفعل ومنها الحال من أصول اللغات السامية يمكننا أن نبني عليه فى بيان سبب غيره ، والجملة الحالية ليست بأصلية ولا بسيطة بل لها أصول مختلفة كما شرحنا ذلك فنضطر الى أن نقرر أن الجملة الخبرية نوع من الجمل التوابع بنفسها قريب من الجملة الحالية وليس مشتقا منها . والجملة الخبرية المدلول عليها هذا غير الجملة القائمة مقام الخبر المذكورة آنفا نحو (المروة إذا أعطيت شكرت) فالجملة القائمة مقام الخبر عوض عن اسم موصوف وبالاخص عن مصدر كما شرحناه والجملة الخبرية فى (كان يفعل) عوض عن وصف منصوب على الخبر أى كان فاعلا .. والجملة الخبرية لا تقتصر على الاسناد الى كان بل تسند الى مفعول أفعال القلوب ايضا نحو (احسبه مات فى خلافة عمر) أو (اراك اليوم جسمك نحف) فلو كان مثل هذا حالا للزم إدخال الواو عليهما وإدخال قد على الأولي . . وكما يتبع المضارع فعل كان كذلك يتبع ليس وعاد وكاد وغيرها نحو (كدت أذهب) ويجوز ادخال أن نحو (كدت ان اذهب) فشبهوا كاد بأراد واخواتها بخلاف كان

واما الجمل الظرفية فكثيراً ماتقوم مقامها جمل مصدرية مع الحاق واحد من حروف الجر بها نحو بعد ما ولأن ، اوجمل حالية ولا يكاد يبقي الا بعض الجمل الغرضية final والشرطية وما يجانسها من الزمانية ، فحرف الغرض فى العربية

كى وقد تضاف اليه اللام فيصير لكى واللام تعبر عن الغرض أيضا إما بنفسها أو مضافة الى أن في لأن ولئلا . ويقابل « كي » فى العبرية ki ومعناها متنوع جداً فهى قد تربط الجملتين المتساويتين المستقلتين إحداهما عن الاخرى ويكون إذاً معناها فان أو بل ، وقد تربط الجملة العاملة بالمعمول فيها ومعناها أن أو أن أو إن أوغير ذلك فهى على غاية من الابهام لاتكاد أن تعبر شيئا إلا الارتباط مطلقا فالعربية حددت معناها وحصرته فصارت قليلة الوقوع بالنسبة الى الأدوات الجديدة المرادفة لها فى الاصل كأن وأن

والشرط قد يستغنى فيه عن الأداة العاطفة للجملتين مثال ذلك ( سمن كلبك يقتلك ) أى إن سمنت كلبك قتلك أو فسيقتلك فالمضارع المجزوم هنا جواب عن الامر ومعناه معنى جزاء الشرط الذى ينوب عنه الأمر وكثيراً مالا يفيد المضارع المجزوم معنى جزاء الشرط فى مثل هذه التركيبات نحو ( أين بيتك أزرك ) فقدر النحويون مثل ذلك بأمر مثل ( قل لى أين بيتك أزرك ) وهذا بعيد ويوجد مافيه تقدير الشرط أبعد منه في هذا المثال نحو ( ليته عندنا يحدثنا ) أى لو كان عندنا فيحدثنا ، فالمرجح أن المضارع المجزوم لايفيد الا معناه المألوف الخاص به اذا ألحقت به اللام فيكون المعنى ( أين بيتك فلأزرك ) و ( ليته عندنا فليحدثنا ) و ( سمن كلبك فليقتلك ) فهذا المعنى هو الأصلى ثم أشتقوا منه معنى الشرط في بعض الأحوال . وأصل التركيب وسبب عدم العطف هو الابدال كأنى قلت مثلا ( ليته عندنا ) ومعنى عنى ذلك أنى أحب أن يحدثنا ، فالمضارع المجزوم هو لبيان معنى ماسبقه على نحو ما شاهدناه آنفا من بدل الفعل من الفعل وهذا المعنى الاصلى ظاهر في مثل ( مر قومك يصوموا نهارهم هـذا ) فالمجزوم هنـا تبيين واظهار لما هو مضمر فى مر ولا يكون هنا شرط فاننا لو قدرناه بـ ( إن أمرت قومك صاموا ) صار المعنى بعيدا عن المراد ولا يمكن أيضا اشتقاق هـذا التركيب من مثل ( أمر قومه فصاموا ) فلوكان هذا أصله لكان يلزم أن يكون ( مر قومك فيصوموا ) أو ( فليصوموا ) ، وأكثر هذا خاص بالعربية ويوجد مثل بعضه فى الأرامية نحو hab lan netteb أى هب لنا نقعد يعني اسمح لنا

أن نقعد وهذا بعيد عن معنى الشرط أيضا

وحرف الشرط فى العربية إن وقد ذكرنا أنه قديم سامى غربى يقابله في العبرية im وفى الأرامية en وفى الحبشية im أو ima ونرى الفعل فى الشرط وإن دل على الزمان الحاضر والمستقبل إما ان يكون ماضيا أو مضارعاً مجزوما نحو ( إن أكرمتنى أكرمتك ) او ( ان تكرمني أكرمك ) والمضارع المجزوم دل على الزمان الماضى أيضا فى الأصل كما ذكرناه قبل ، واستعمال الماضى وما بمنزلته في الجملة الشرطية دالا على الحاضر والمستقبل كثير فى اللغات السامية منه فى الاكدية šumma alpum awelam ikkip-ma uštamit dinum šu rugummam ul išu أى نطح الثور انسانا فقتله فلا يكون حق لهذه الدعوة و ikkip يوازن المضارع المجزوم وقد سبق آنفا ان هذه الصيغة هي العبارة المألوفة عن الماضى فى الاكدية . ومثاله من العبرية im hakamta hakamta lak اى ان كنت حكيما كنت حكيما لنفسك ومن الحبشية emma baika fanneuota hez be ia أى إن أبيت تسريح قومى . وأصل التعبير عن الشرط بالماضي ظاهر فى الاكدية فـ šumma وان كنا ترجمناها بأن فهى لاتوافق إن تماما بل معناها ( افتراضا ) ولا تعمل فى الجملة نوعا من العمل فالجملة الشرطية الأكدية مع جزائها ليست بتركيب اعمال بل هما تركيب تسوية ، فيلزمنا أن نترجم مثالنا ( نفترض القصة الآتية . نطح ثور انسانا فقتله فنقول ليس لأحد حق على أحد فى مثل هذا ) فيظهر أننا لكى يمكننا أن نحكم ينبغى أن نفترض المحكوم فيه ماضيا حدث قبل حكمنا فيه . ونرى من المثال الأكدي أن الأصل هو الماضى فى الجملة الشرطية والحاضر أو المستقبل فى جزائها واكثر اللغات السامية على هذا غير أن العربية اطلقت الماضى على الجملتين باتباع الثانية الأولى والغرض من ذلك تقوية عمل الشرط وربما لم يكن ذلك الا بعد ما نسوا أصل استعمال الماضى فى الجملة الشرطية حاسبين أن يفعل وفعل عبارة عن الحاضر والمستقبل خاصة بالشرط يجوز استعمالها فى الجزاء أيضا ، ومما أدى الى ذلك ان المضارع المجزوم قد زالت دلالته على

الزمان الماضي في أوائل تاريخ اللغة العربية إلا بعد لم . وأما نفي الشرط فهو دائما بلا أو لم وبعدهما المضارع المجزوم ولم يتمكن حرف النفي الجديد وهو «ما» من التداخل في هذا التركيب القديم و«لم» هي النفي المألوف في الشرط. و«لا» تتحد مع «أن» فتصيران « ألا » وهي لا تستعمل في الشرط الا مع حذف فعلها وتقديره مما سبقها نحو ( ان عمت ما كان بيني وبينك وإلا ناجزتك ) يعني إذا أوفيت العهد فلا بأس وإن لم توفه قاتلتك . وأكثر استعمال «إلا» في الاستثناء وقد بينا صدوره عن الشرط آنفا، وقد توجد « إلا » في النشد وذكرنا ذلك ايضا . والعربية شددت قواعد الشرط وصححتها وزادت في ذلك عن غيرها كثيرا وذلك من اخص علاماتها غير انها لم تستفد شيئا من وجود صيغتين في الشرط هما الماضي والمضارع المجزوم فانهما مترادفتان ليس بينهما فرق محسوس في المعنى فهذا من الفضول الذي لا فائدة له ومثله نادر في العربية. وقواعد الجملة الشرطية معروفة ولا نذكر منها الا واحدة وهي أن الجملة الشرطية ينبغي أن تكون فعلية في العربية إلا أنه يمكن تقديم الضمائر المؤكدة على الفعل نحو ( ان أنت فعلته ) ويقدم الفاعل نادراً اذا كان اسما مثاله من القرآن الكريم ( ان امرؤ هلك ) .. وفي اللغات السامية غير العربية تجوز الجملة الاسمية في الشرط مثاله من الارامية hen itekon tidin أي ان كنتم مستعدين و it في itekon هي المذكورة آنفا وهي اسم معناه الوجود فيكون معنى itekon وجودكم و« ان » برافقها « اذا » وهي خاصة بالعربية ومعناها بين الشرط وبين الزمان وعملها يتبع عمل « ان » في كثير حالاته غير ان حداثة « اذا » تظهر جليا في اقتصارها على احدث العملين الخاصين بـ « ان » وهو الماضي دون المضارع المجزوم فانه وان جاز ان نقول ( إن تكرمني اكرمك ) فلا يجوز ان نقول ( اذا تكرمني اكرمك ) بل يلزم ان نقول ( اذا اكرمتني اكرمتك ) . ومما تنفرد به « اذا » عن « ان » كثرة وقوعها على الزمان الماضي، فوضعت العربية لعمل « اذا » قواعد ثابتة مفصلة وفرقت بين « اذا » التي يداخلها معنى الشرط و « اذ » المعبرة عن الحين المعين في الماضي كل التفريق ولا نجد نظير كل هذا

فى غير العربية من بين اللغات السامية

ومما تشارك فيه اللغة العربية أخواتها التمييز بين الشرط المعبر عنه بأن وما يقابلها وجنس ثان من الشرط أداته السامية «لو» ويفترق معنيا الجنسين بشيئين : أولهما أنى إذا قلت (ان أكرمتني) شككت فى — هل يكرمني المخاطب أولا — واذا قلت (لو أكرمتني) كنت عارفا بأن المخاطب لم يكرمني فالفرض المشار اليه بلو فرض ضد الواقع أو المتوقع ، والفرض المشار اليه بأن فرض ما يتردد فى وقوعه والفرق الثانى أن «ان» دائما للمستقبل أو على الاكثر للحاضر و«لو» للماضى وقليلا ما تكون للحاضر والمستقبل — وقواعد عمل «لو» أقل تحدداً من قواعد عمل « إن » وخصوصاً بشأن الجواب عن لو وكثيراً ما نجد فيه اللام المؤكدة نحو (لو جئتنى لأكرمتك) غير أنه يجوز حذفها ، فنرى هنا عبارة معينة نافية للشك فى حالة الحدوث والانكشاف . واللغات الغربية تميل الى حذف الشرط المضاد للواقع أو المتوقع إذا كان معناه مطلقا ، بهما والى الاكتفاء بجوابه وخصوصاً فى الحاضر والمستقبل نحو I should say أو je dirais ويمكن هذا فيها لان لها صيغا من صيغ الفعل خاصة بهذا الجنس من الشرط وجوابه والعربية على ما شاهدنا فيها من عدم وجود عبارة معينة عن هذا المعنى لا تستطيع أن تستغنى عن ذكر لو والجملة التالية لها غير أنا نجد أن اللام فى جواب لو كثر استعمالها مع تطور اللغة العربية وكثر تطبيق لو على الحاضر والمستقبل أيضا ، فيمكننا الآن أن نترجم العبارتين الفرنسية والانكليزية بـ (لكنت أقول) . . وإن الشرطية لا توجد إلا في العربية والعبرية والأرامية وهى فى الأخيرتين lū وأصل معناها التمنى وتستعمل كذلك فى اللغات المذكورة وفى الاكدية وهى هناك lū أيضا ، والجملة التاليـة لها فعلية دائما فى العربية غير ما استؤنف بأن أى (لو أن) وفى غير العربية يجوز كون الجملة التالية لـ «لو» اسمية مثاله من الأكدية lū šulmu ana šarri bēlīia أى لو أن على مولاى الملك سلاما ومعناها سلام على مولاى الملك فيختلف معناها فى الاكدية عنه فى العربية فانها فى العربية انما تفيد التمني الذى لا يتوقع أولا يمكن توافقه ، وهي مطلقة المعنى فى الاكدية . وربما كان بين

أى لو وبين اللام الجازمة قرابة فانا نرى في الاكدية ان lū كثيراً ماتلحق بالمضارع المجزوم الذي يفيد الماضي فى الاكدية على طبق ماتلحق به اللام الجازمة فى العربية مثال ذلك asu isten lillika limursi اى طبيب واحد ليجيء ولينظرها واما lillika فليست مجزومة بل الفتحة الانتهائية تقابل نون التأكيد العربية فى مثل يجيئاًن واتحدت lū بالفعل الذى هو illika و im ursi فسقطت ضمتها

الى هنا تم البحث في موضوع محاضراتنا الاصلى وهو التطور النحوى للغة العربية . ونلحق به ملحقاً نتكلم فيه عن تطور اللغة العربية لا من جهة نحوها يعني أصواتها وابنيتها وتركيبات جملها بل من جهة الكلمات التي تتكون هى منها ونجعل هذا الملحق باباً رابعاً خاصاً بالمفردات

---

# الباب الرابع

## فى المفردات

اذا نظرنا الى ماوفق اليه علماء الشرق والمستشرقون من الكشف عن اللغة العربية وجدناه قليلا ناقصاً بالنسبة الى الواجب والكامل . والنجاح فى باب النحو والصرف اكبر منه فى باب المفردات فالعمل في الكشف عن اللغة قسمان : أولهما الجمع والوصف ، والثانى التحليل والتعليل والتأليف . اما عمل جمع مواد اللغة العربية ووصفها وتدوينها فنجح كثيره فى باب الصرف والنحو وبعضه في باب مفردات اللغة . فانا نرى قدماء النحويين واللغويين دونوا فى كتبهم اكثر ما جاء فى النثر وفى الشعر الحديث .

واجتهد المستشرقون فى سد هذا الخلل وكان توفيقهم فى باب الصرف والنحو أكبر منه فى باب المفردات وذلك لسببين : أهمها ان باب المفردات اوسع

بكثير من باب النحو وعدد كلمات ذلك أكثر مراراً من عدد أشكال البناء والتراكيب المعروفة فى هذا ، والسبب الثانى أن مفردات اللغة كثرت وتنوعت وتغيرت أضعاف ما نجد من ذلك في باب الصرف والنحو وذلك من جهات فانه وإن كانت اللهجات القديمة تتخالف فى بعض أبنية الأسماء والأفعال وتركيبات الجملة فذلك نادر قليل ولم يكد يبقى منه أثر فى اللغة الفصيحة المستعملة فى القرون الأولى بعد الهجرة وعلى العكس فيظهر أن اللهجات القديمة تخالفت تخالفا واسعا شديداً في بعض الكلمات والعبارات وبقى أكثر ذلك مستعملا عند كثير من أصحاب الشعر والنثر المتأخرين ومع ذلك اضطروا الى اختراع كلمات جديدة لاتحصى لتسمية الاشياء والمعانى الجديدة التى لم ترها العرب قبل فتوحات الاسلام ولم تفهمها وهذا التطور لم يزل الى أيامنا فانا اذا نظرنا الى جريدة عثرنا في كل سطر على الكلمات الجديدة أو الكلمات القديمة ولها معنى جديد وان كانت أبنيتها وتركيباتها لاتختلف عما كان مألوفا فى الزمان السابق الا قليلا . فاذا تخيلنا ديوانا للغة العربية بالغا أقصى غاية فى الكمال وقدرنا به الحقيقة كانت النتيجة ماسيأتى : أن ذلك الديوان الكامل كان يذكر فيه كل عناصر اللغة من كل أبوابها وكل عصور تطورها وكل أنواع أساليبها وكان يؤتى لكل واحد منها بشواهد يظهر منها أكان نادراً أم كثيراً وعاما أم خاصا بالنثر أو بالشعر أو بفرع من فروعهما أم كان خاصا بعصر من عصور تاريخ اللغة الى غير ذلك . والحقيقة أن الصرف والنحو وخصوصا أحوال الجملة قد دون على هذا النمط مع بقاء الخلال العريضة العميقة . وأما المفردات فليس لنا قاموس عربي يقضى حاجتنا بل يقرب من أن يقضيها فان الكتب القديمة من اللسان وغيره وإن دهشنا منها وشكرنا مؤلفيها صميم الشكر فلا تأتى بالشواهد إلا للنادر الغريب وتهمل الآثار المنثورة وكلام المتأخرين وماجمعه المستشرقون فى هذا الباب فهو مع كثرته بعيد جدا عن الغاية والذى منع علماء الشرق مع بذل الجهد العجيب في درس اللغة العربية من جهة الصرف والنحو ومن جهة المفردات عن الاعتناء الكافى بالكشف عن تطور اللغة بعد الاسلام سببان مرتبطان أحدهما بالآخر ، أولهما مداومتهم

على السؤال عن الجائز فى اللغة وضده وعلى المنع عن كثير من العبارات . وهذا وان كان واجبا نافعاً فهو عمل المعلم لا العالم والمبالغة غير مضمرة ، فالعالم يفحص عما يكون فى الحقيقة لا عما كان ينبغى أن يكون ، والمعلم لا يظن أن تعليمه أقوى من الحياة فان انمى هـذه النصيحة واجتهد أن يقهر حياة اللغة ويعوقها جازته وغفلت عن تعليمه فيتسع إذا الشق الحاجز بين اللغة الحقيقية الحية وبين مايعلمه النحويون كما نشاهد ذلك فى تاريخ اللغة العربية . والسبب الثانى اعتقاد علماء الشرق أن أكمل ما كانت عليه اللغة العربية وأتقنه وأحسنه ما يوجد فى الشعر القديم وهذا حكم غير علمى وهو صحيح من جهة باطل من أخرى ، فان القول المطلق بأن لغة البـدو قبل الاسلام وفي أوائله كانت أكمل وأحسن من اللغة العربية المستعملة فى المدن في الزمان المتأخر ليس مما يحتمل تبيين صحته بالبراهين العلمية القاطعة لانه يمازجه شيء من الذوق الشخصى كاني قلت أنا أوثر هذا على ذلك وأستحسنه ، وإذا قيدت الاطلاق بذكر الاغراض المقصودة بالـكلام على اختلافها وجدت أن لغة البدو القديمة كانت أدنى بكثير من لغة المتأخرين من جهة بعض تلك الاغراض فان لغة البدو وإن كانت حسنة بارعة الحسن في وصف حيـاة البدو وكل مايهمهم غنية غنى باهراً في جميع ذلك عجيبة الايجاز والقوة فى تمثيل المراد أمام السامعين كأنه حى حاضر فهى مع كل ذلك لا تكفى في تأدية أحوال الأقوام المتمدينين وحاجاتهم وخصوصا أفكارهم الدينية والفلسفية والعلمية وغير ذلك . . فاذا نظرنا إلى أحد فحول الشعراء المتقدمين فلا شك فى أن استقصاء كل ماجاء فى شعره من العبارات واجب وأساس من أساسات علم اللغة العربية . واذا نظرنا الى واحد من الشعراء المجهولين الذين يأتى اللغويون ببعض أبياتهم شواهد على الـكلمات النادرة الموجودة فيها فانى لا أشك فى أن الاشتغال بمثل ذلك عبث بالنسبة الى بعض ما أهمله علماء الشرق إهمالا تاماً واذكر مثلا كتب الامام الشافعى واضع علم الشريعة بمنزلة علم حقيقى متعمد لجمع الآثار والاحكام ففتح بذلك للعربية أرضا واسعة من وسائل التأدية وأغناها غنى زائداً على خدمة كثير من الشعراء لها وليس هو بالوحيد فى درجته ومن

دونه بقليل ومع ذلك فوق كثير من الشعراء فعددهم كثير

ونرجع الى موضوعنا فنقول . إن كل ماذكرناه حتى الآن هو عمل الجمعا والوصف والتدوين وأما عمل التحليل والتعليل والتأليف فلا . وآمل أن تكونو قد رأيتم من محاضراتي أنا وفقنا الى فهم الكثير من مصادر الأصوات والأبنية والتركيبات وتغيراتها التاريخية . وأما باب المفردات فنحن أبعد بكثير من بلوغ غاية عمل التحليل والتعليل منا عن بلوغ غاية عمل الجمع والوصف ، وسبب ذلك مع سعة اللغة العربية وكثرة ألفاظها المانعة من الاحاطة بها أن وظائف التحليل والتعليل لمجموع المفردات متعددة واليكم بأهمها . فاذا بدأنا بالكلمة الواحدة على حدتها لزمنا أن نفحص عن أصلها واشتقاقها ودرجة قدمها أتكون أصلية مما تشترك فيه اللغة مع أخواتها ؟ أم مخترعة حديثة ؟ أم دخيلة ؟ فاذا كان كذلك فمن أي لغة هي ؟ ونفحص عن زمان اختراعها أو استعارتها ثم عن تغيرات لفظها ومعناها ، وإذا كانت قد زالت عن الاستعمال تتبعنا في أي وقت كان ذلك ، فيكون لكل كلمة تاريخ وترجمة لحياتها ويتكون القاموس من مجموع هذه التواريخ . . ثم نؤلف بين الكلمات المفردة على عدد من الطرائق وأهمها اثنتان : فنرتبها أولا على أصولها فنجمع بين كل مايرتقي الى أصول اللسان ثم نضم اليه طبقات مااخترع في الزمان المتأخر أو استعير من لغة أخرى ونتساءل عن موقف كل طبقة وطبقة في التاريخ وخصوصاً تاريخ الحضارة والتمدن والتطور الفكري والأدبي فنستنتج الأسباب الداعية إلى اختراع الكلمات الجديدة او استعارة الدخيلة . وبعد هذا التتبع التاريخي نبحث عن موقف اللغة ومفرداتها من الوجهة الاجتماعية فنتساءل ماهو العام منها وما هو خاص بصنف من أصناف الشعب ومصطلح به بينهم ؟ ومن ذلك التفريق بين النثري والشعري والتفريق بين العادي والفني أو العلمي والتفريق بين العالي والمنحط . . والطريقة الثانية التأليف بين الكلمات من جهة معانيها ومن هذا ماسماه القدماء فقه اللغة والاعتناء الكثير به مما نتعجب منهم لأجله ، غير أنهم لم يوفوه كل الاستيفاء فإنهم وإن كانوا قد جمعوا مثلا كل الكلمات التي ترجع الى الخيل وبينوا معانيها وفرقوا

بينها فقد اعتمدوا في ذلك على الكلمات أولا ثم شرحوا معانيها وكان ينبغي أن يسلكوا ضد هذه الطريقة في كثير من الحالات فيبدأون بالاشياء ثم يتساءلون كيف تسمى ؟ فاذا أردنا مثلا أن نفهم معاني كل الكلمات المتعلقة بالبئر والفروق بينها لزمنا أولا أن نتعرف ماهو البئر وما أنواعه ومن أي الأشياء يتكون الى آخر ذلك فان الشيء أقدم من اسمه في كثير من الحالات فاذا عثر الناطقون على شيء جديد لم يكونوا يعرفونه قبل من الأشياء المادية وكذلك من المعاني اضطروا الى تسميته فاما أن يستعينوا على ذلك بكلمة موجودة قديمة معناها قريب من المطلوب أو أن يخترعوا كلمة جديدة أو أن يستعيروا كلمة أجنبية وأكثر ذلك إذا كان الشيء أجنبيا أيضا يأتيهم من خارج بلادهم واسمه معه فيظهر من ذلك أن تغيرات المعاني جنسان : أولي وثانوي ؛ فالأولى تغير المعنى بتغير تغير في الأشياء الموسومة بالكلمات . والثانوي مايدعوا اليه تغير الأشياء وظهور أشياء جديدة . وتغيرات معاني الكلمات من أهم موضوعات هذا الباب كما أن تغيرات الأصوات والأبنية والتركيبات من أهم موضوعات البحث عن التطور النحوي والفحص عن قوانينه من أجل أغراض علم اللغة : فاذا قابلنا ماكان يلزم أن تتناوله كتب اللغة بما تتناوله في الحقيقة شاهدنا نقصا مدهشا لاحاجة الى تفصيله

ولقصر مابقى لنا من الوقت لايمكننا أن نتكلم عن كل ماوفقنا الى استخراجه من تاريخ المفردات العربية بل نضطر الي أن نكتفي بالقليل من ذلك فلنتكلم بالاختصار أولا عن النسبة بين مجموع مفردات اللغة العربية و بين مانفترض للغة السامية الأم من المفردات ، وثانيا عن الدخيل الذى دخل في اللغة العربية في الزمان القديم وعن أى اللغات استعير

أما الكلمات التي تشترك فيها كل اللغات السامية وبينها العربية والتى تستحق أن تعد بين أقدم عناصر اللغة العربية بناء على ذلك هى بعض أسماء الانسان وأحواله : كأناس وذكر وأنثى وأب وأم وابن وبنت وبكر وأخ وبعل وأمة وضرة . ومن الافعال المتعلقة معني بهذه الأسماء : وَلَدَ ، ثم ملك ونكر . ثم

وَ دَدّ

من أسماء الحيوانات : نمر وذئب وكلب وخنزير وإبل وثور وحمار ونسر وعقرب وذباب، ومعها فعل نبح . ومن أسماء النباتات وأجزائها : عنب وثوم وقثاء وكمون وزرع وسنبلة . ومن أعضاء البدن : رأس وعين وأذن وأنف وفم ولسان وسن وشعر ويد وحفنة وظفر وركبة وكتف وذنب وقرن وعظم ولب وكرش وكبد وكلية ونفس ودم ومثانة . ومن الافعال والاوصاف الراجعة اليها : سمع وطعم وشيب ويمين وموت وخنق وقبر . ثم من أجزاء العالم : سماء وكوكب وشمس وأرض وحقل وماء ومنبع وبئر وعضة وقتار وأثر . ومن الافعال والحوادث التابعة لها : ظل ويوم وليلة وبرق ودلا ولهب . ثم بعض أسماء البيت وأجزائه والآلات نحو : بيت وعمود وعرش وقوس وحظ أصل معناها السهم وحبل وإناء فيتبعها من الافعال رمى . ثم من المأكولات والمشروبات : قمح ودبس وحمة وسكر تعود اليها أفعال مثل طحن وطبخ وبسل وقلا . ثم عدد كبير من الافعال التي لاتخص واحداً من الاشياء المذكورة وبعض الاسماء التابعة لها نحو . كان وشام ونشأ ووضوء وعلا وقدم وقرب وبكا وصرخ ونفخ وأخذ وذكر وسأل وبشر ورحم ومنى ولبس ورحض وبل وحجر ونقل ونقب وصفر وذرى ورعى وسقى وضمد وركب ونظر وفقد وكلأ ونطر وسلم وطاب وبئس وخبل وأبد وثبر ودق وقرص وقدش وخطىء وذبح وبارك وملىء ومثل وقل ووقر وعل وحدث وسفل وفتح وورق . ومن الاسماء : اسم وكل ثم أسماء العدد الى العشرة وبعدها مئة ثم بعض الأدوات وقد ذكرناها كما ذكرنا قبل بعض الاسماء المذكورة هنا أيضا . وبين هذه الكلمات وقليل من الكلمات التي نشك في وجودها في كل اللغات السامية المهمة وبين الالفاظ التي تنفرد بها العربية عن أخواتها عدد من الكلمات التي تشترك فيها أربع أو ثلاث أو اثنتان من اللغات السامية فقط دون غيرها والحكم في هذه الكلمات مشكل فأما إن كانت سامية أصلية ثم نسيت في بعض اللغات السامية وزالت من الاستعمال وتكون خاصة ببعض اللغات السامية فقط كالسامية الغربية والسامية الجنوبية فاخترعته هذه الفرقة عن اللغات السامية بعد تفرقها عن غيرها فاذا جمعنا كل الكلمات العربية التي توجد ولو في إحدى

اللغات السامية غير العربية وقابلناها بمجموع المفردات العربية بعد طرح كل الكلمات الدخلية منه وجدنا أن ماتشارك فيه اللغة العربية غيرها من السامية هو قسم قليل جداً من مجموع ألفاظها مع أن منه عدداً كبيراً من الكلمات الاساسية الواجبة المكونة كنه اللغة . فأما أصل هذه الكلمات الكثيرة الخاصة بالعربية فقد مال بعض العلماء الى أنها أو أكثرها سامية أصلية أيضاً وسقطت من كل اللغات السامية غير العربية ، وهذا بعيد عن الاحتمال فى الغاية ولا يجوز افتراضه إلا على فرض كون اللغة العربية أقرب الى اللغة السامية الأم من أخواتها وحتى كونها هى اللغة الاصلية بينها . وقد بينا فى مواضع كثيرة أن هذا من الأوهام التى لاسبب لها فان اللغة العربية ترقت ترقياً أكثر من اخواتها وارتفعت الى درجة فوق درجتها فكيف يمكن أن تكون مع ذلك أقرب الى أوائل اللغة منها ؟ فلا بد من أن نفترض أن اللغة العربية اخترعت ألوفاً من الكلمات الجديدة ولاعجب فى ذلك بعد ماشاهدناه مراراً متعددة من ميلها الى التخصيص وإلى اختراع العبارات الجديدة المحدودة فكما أنها مثلا اخترعت أدوات جديدة للنفى خاصة ببعض معانيه كذلك اخترعت مثلا كلمات جديدة خاصة بكل من أنواع الابل على اختلافها فنعثر على آثار مزية العربية الخاصة بها فى تاريخ مفرداتها كما وجدناها فى تطور صرفها ونحوها

والموضوع الثانى الذي كان مرادنا أن نتناوله هو دخول الكلمات الاجنبية الي اللغة العربية فلنذكر من اللغات التى أثرت فى العربية فى الزمان القديم الفارسية والحبشية والارامية . والسبب فى تأثير هذه اللغات بالاخص فى في اللغة العربية هو أنها كانت لغات الاقوام المتمدنة المجاورة للعرب فى القرون السابقة للهجرة فاللغة الأرامية على اختلاف لهجاتها كانت سائدة فى كل بلاد فلسطين وسوريا وبين النهرين وفى بعض العراق . واللغة الفارسية كانت مجاورة للارامية والعربية في العراق وكان نفوذها قويا فى شرق جزيرة العرب وجنوبها — واللغة الحبشية ومعها اللغة العربية الجنوبية المقاربة جدا للحبشية كانت تجاور العربية الشمالية فى جزيرة العرب نفسها — ومع ذلك فكانت هذه اللغات لغات

العلاقات التجارية أيضا فان تجار مكة مثلا كانوا يتجرون مع الآراميين فى دمشق ومع الفرس فى الحيرة والمدائن ومع سبأ وحمير فى اليمن وقوافل هذه الاقوام كانت تجتاز جزيرة العرب من جهة إلى أخرى ومع ذلك كانت الارامية من أهم لغات النصرانية التى كان يميل اليها كثير من العرب . وكانت الحبشية من لغات النصارى أيضاً . ونعلم من سيرة النبي علاقات الصداقة بين أتباعه وبين نصارى بلاد الحبش . والارامية كانت لغة الدين التابع للنصرانية قوة ونفوذاً فى جزيرة العرب وهو دين اليهود . والدين الثالث وهو المجوسية كانت لغته الفارسية وهى مع ذلك لغة إحدى المملكتين المتصلتين فى أطراف بلاد العرب واستمرت تلك المملكة مع تخالف سلالات ملوكها أكثر من ألف سنة فلا عجب إن أثرت لغتها تأثيرا قوياً لا فى اللغة العربية فقط بل فى غيرها أيضا خصوصا الارامية . واللغة المملكة المخاصمة للفارسية وهى اللغة الرومية واليونانية وإن لم تباشر العربية فقد أثرت فيها بواسطة لغات أخرى وبالاخص الارامية وكان ذلك من الواجب لان اليونانية مع كونها اللغة الادارية فى مملكة الروم كانت أيضا لغة الحضارة العليا الموجودة حينئذ ولغة الفلسفة والعلوم لانظير لها فى زمانها . والحضارة اليونانية لما فتحت الشرق صادفت هناك حضارة أدنى منها ولكن أقوم بكثير وهى الحضارة الشرقية القديمة فلم تفنها بل امتزجت بها فبقيت آثار لغتها وهى الاكدية وقبلها الشومبرية كثيرة فى اللغات الشرقية . ومن العجيب أن اللغة القبطية لا يكاد يوجد لها أثر فى اللغة العربية ولذلك أسباب تاريخية لا محل هنا لتفصيلها .

وأما الفارسية فالالفاظ التي عربت منها في الزمان المتأخر كثيرة ونحن نكتفى بذكر بعض ما دخل العربية قبل الاسلام أو فى طوره منها اصطلاحات الادارة كالديوان والرزق والمرزبان والدهقان والفرسخ والتاج . ومنها ألفاظ دينية كالدين والجناح والمجوس والنيروز . ومنها أسماء الاشياء الخاصة بالعجم أو المجلوبة من عندهم كالصنج والصولجان والفردوس والفيل والجاموس والمسك وخصوصا أسماء أنواع النسائج كالديباج والاستبرق والابريسم والطيلسان والقمط

ومنها غير ذلك كالسراج والخندق . فلننظر إلى أصل معناها وكيفية تعريبها .
فالديوان هو فى الاصل الكتاب يكتب فيه اهل الخراج والجزية وغير ذلك :
وأهل العطية أيضا وهو مشتق من دبير أى الكاتب . والرزق أصل معناها العطية
اليومية مشتقا من روز بالضمة المجهولة أى o̅ و ik̅ ومعناها قريب من ياء النسبة
فـ rozik معناها اليومية بعينها فالقاف العربية تقابلها الكاف الفارسية هنا وهذا
كثير والكاف فى هذه الكلمة لاتوجد إلا فى اللهجة الفهوية من اللغة الفارسية
أى اللهجة المستعملة فى وقت الاشكانيين Arsakiden والساسانيين وحذفت
فيما بعد ، فهذا مما يدل على قدم تعريب الكلمة ويدل عليه أيضا وجودها
في الارامية مستعارة من الفارسية فهى هناك rozīqā . ومرزبان مركبة من
« مرز » أى الاقليم والولاية و« بان » أى صاحب الشىء والدافع عنه . والدهقان
مشتقة من « ده » أى الضيعة . والفرسخ فى الفارسية فرسنگ فلان صوت الـ
(نگ) لايوجد فى العربية استبدلوه بالخاء . وتاج من الكلمات التى دخلت الارامية
أيضا فهي فيها tāgā وكذلك دين فى معنى الديانة وأمادين فى معني الدينونة فهى معربة
من الارامية وأصلها denu في الاكدية ولعل دين الفارسية فى معني الديانة مأخوذة من
الاكدية denu بعينها مع اختلاف معنييهما . والجناح أصلها گناه فيقابل
الكاف الفارسية هنا وفي تاج وغيرهما الجيم العربية وهذا يدل على أن الجيم
وقت ماعربت هذه الكلمات الفارسية كانت قريبة فى لفظها من الگاف كما بينا
ذلك فى الباب الاول من محاضراتنا والهاء الفارسية تقابلها هنا الحاء العربية
وذلك نادر الوقوع . ثم المجوس مشتقة من magu أى عابد النار ويقابلها فى
الفارسية الحديثة مغ . والنيروز قسمها الثانى « روز » أى النهار وذكرناها آنفا
وقسمها الأول كلمة معناها جديد وهى فى الفارسية الحديثة « نو » غير أن بعض
الدلائل تدل على أنها كانت تلفظ nēv فى بعض اللهجات كما نجدها فى نيسابور
ثم نيسابور فمعنى نيروز هو النهار الجديد أي أول السنة . والصنج أى صفيحة
مدورة من الصفر يضرب بها على أخرى مثلها للطرب هى چنگ فحافظوا فيها على

الـ (تنگ) على خلاف الفرسخ واستبدلوا الجيم بالصاد وهذا كثير . ومنه الصولجان وهي في الفارسية الحديثة چوگان بالضمة المجهولة. والفردوس لا نعرف أصلها الفارسي غير أن اليونانية كانت استعارتها قبل الهجرة بما يقرب من الف سنة وهي هناك paradisos والفيل هو بيل و pila في الارامية . والجاموس مشتق من گاو أي البقر وهو في الفارسية گاوميش بالكسرة المجهولة أي ō وكذلك gaumesa في السريانية والمقطع الثاني من جاموس العربية يقارب المقطع الثاني من مجوس . والمسك مشك في الفارسية وكذلك muska في الارامية فهذا من إبدال الشين بالسين الذي صار أخيراً في بعض الكلمات المعربة قديما كما بينا ذلك في الباب الاول ومثله كثير بين الكلمات الفارسية الداخلة في العبرية ومشك أصلها هندي فدخلت الفارسية ثم الارامية والعربية وقد حدث مثل هذا مرارا . والديباج أصلها في الفهلوية depak فصارت الكاف هنا جيما بخلاف الرزق فقد وجدنا فيها الكاف الفارسية صارت قافا وهذا يدل على ان كلمة رزق أقدم بكثير من كلمة ديباج فان الكاف الفارسية السابقة لها حركة صارت كافا في الاول ثم صارت هاء أو حذفت فـ depak صارت في الفارسية الحديثة ديباه وديبا بالكسرة المجهولة . والاستبرق مشتقة من إستبر أي الشديد والثخين بالحاق ak — وهي كثيرة جداً في الأوصاف الفارسية فأصل المعنى نسيجة ثخينة متينة ثم أطلقت على غليظ الديباج . والابريسم أصلها أبريشم بالكسرة المجهولة وأبدلت الشين بالسين كما سبق . والنمط في الفهلوية namat فأبدال التاء بالطاء كأبدال الكاف بالقاف في بعض ما ذكرناه . وكذلك طيلسان وهي في الفارسية تالشان وإبدال الفتحة الممدودة والكسرة يكون في بعض الكلمات الاخرى أيضا . والسراج أصلها چراغ بالغين بدل الكاف العتيقة وهي في الأرامية sraga فيدل ذلك على أن لفظ الجيم الفارسية كان قريبا من الشين في هذه الكلمة وربما كان سبب ذلك تحركها بالكسرة فصارت سينا في العربية كسائر الشينات في الكلمات المعربة قديما . والخندق أصلها khandak أي محفور وهي كنده في الفارسية الحديثة بالكاف بدل الكاف والهاء اللتان تقابلهما في الفارسية الحديثة الخاء فذلك

من اختلافات اللهجات وهو كثير فى الفارسية ونجد الخاء فى بعض الكلمات المتعلقة بـ (كنده) منها خان أى الفندق وخانه أى البيت ... وأما الكلمات الفارسية التى توجد فى الأرامية أيضا فيمكننا أن نقول إما أن الأرامية توسطت بين الفارسية والعربية فدخلت الكلمة اللغة الأرامية أولا ثم عربت مع سائر الالفاظ الأرامية المعربة أو أن الكلمة دخلت كلتا اللغتين مباشرة مستقلة إحداهما عن الاخرى فلابد من تحقيق ذلك فى كل كلمة وكلمة وهذا صعب بل محال فى كثير من الحالات

وأهم الكلمات الحبشية الموجودة فى العربية هى العائدة الى أشياء دينية كحواريون ونافق ومنافقون وفطر ومنبر ومحراب ومصحف وبرهان وهي مع بعض الألفاظ النادرة التى جاءت فى القرآن الكريم وفى الحديث تشهد بالمناسبات الصحيحة بين المسلمين وبلاد الحبش قبل الهجرة ، وبعض الكلمات الأخرى التى يمكن اشتقاقها من كلمات حبشية ربما كانت في الحقيقة يمانية فانه للقرابة بين الحبشية واللهجات اليمانية يجوز أن نفترض كثيرا من المفردات الحبشية للغة العربية الجنوبية أيضا فمن ذلك : خوخة ومشكاة وسكة فى معنى الطريق الكبير ومائدة وبغل . وقد عربت فى بعض الأوقات كلمات عربية جنوبية لاتوجد فى الحبشية منها تارخ . فحواريون جمع ḥauuareia أى الرسول من ḥora أى سارومشى . ونافق مأخوذة من nafaqa أى شك وداهن ومنها تشتق manafeq أى تابع لطائفة مخالفة للعامة وفطر كذلك فى الحبشية لفظا ومعنى . ومنبر أصلها manbar أى المقعد . ومحراب ربما كان أصلها meḥram أى المعبد فأبدلت الميم الثانية باء لتخالف بينهما . ومصحف وتروى الميم بالحركات الثلاث أصلها masḥaf أي الكتاب مشتقا من ṣaḥafa أى كتب . وبرهان مشتقة من مادة (بره) وهى تنوب فى الحبشية عن (بهر) فى معنى النور والضوء فأصل معنى برهان هو النور والتنوير . وخوخة أى الكوة تؤدى النور الى البيت من ḥōḫat فى هذا المعنى بعينه . ومشكاة من maskot أصلها maškot ومعناها الكوة أيضا ورسم المقطع الثانى بالواو فى القرآن الكريم يدل على أن حركته لم تكن

فتحة ممدودة في الاصل بل كانت ō . وسكة معربة من sakkuat ومائدة من ma'ed ، وبغل من baql فأصبحت القاف رخوة تشبيها لها باللام ، وتاريخ مشتقة من uarh أى القمر فأصلها توريخ وقد تجىء كذلك ومعناها الحساب بالشهور وكل هذا يحتاج الى ملاحظة فانا إذا وجدنا كلمة عربية تساوى كلمة غير سامية فارسية مثلا فلا بد من كونها دخيلة في إحدى اللغتين فأخذتها العربية عن الفارسية أو بالعكس أو تكون دخيلة في كلتيهما فأخذناها من لغة ثالثة .
وإذا ساوت كلمة عربية كلمة سامية حبشية أو أرامية أو غير ذلك فالاقرب الى الاحتمال أن الكلمة سامية أصلية أو خاصة بفرقة من اللغات السامية فورثتها كلتا اللغتان الاختان من أمهما فلأى سبب يجوز أن نقول إن الكلمات المذكورة التى تشارك العربية فيها الحبشية ليست بأصلية فى كلتا اللغتين بل هى حبشية الاصل واللغة العربية استعارتها فالجواب انا نستنتج ذلك من تحقيق لفظ الكلمة ومعناها وكيفية استعمالها فى اللغتين ومن العلاقات بينها وبين سائر ألفاظها وأهم الحجج وجود اشتقاق ظاهر بين للكلمة فى إحدى اللغتين مع عدمه فى الاخرى فـ ( حواريون ) مع كون بنائها غير مألوف فى العربية فلا يمكن اشتقاقها من ( حار ) لأن ماهو أقرب الى معنى الحواريون من معانى هذه المادة وهو الرجوع أبعد عنه بكثير من معناها في الحبشية وهو السير والمشى كما قلنا . ولا علاقة فى العربية بين النفاق وبين سائر معانى مادة ( نفق ) وهى فى الحبشية تدل على التقسيم والتنصيف فالمنافق هو المقسم القلب قبل الايمان فظاهره يخالف باطنه .
وفطر لم تؤد معنى الخلق فى العربية قبل مجيئها فى القرآن الكريم وأصل معناها العربى هو شق وهى فى الحبشية مألوفة فى معنى الخلق و nabara فى الحبشية هي الكلمة المعتادة للتعبير عن العقود ولا اشتقاق المنبر فى العربية ولا المحراب وأما مصحف وصحيفة وغير ذلك مما اشتق من مادة ( صحف ) فيدل معناه على كونه دخيلا فان العرب لما أخذوا الكتابة من جيرانهم الذين سبقوهم الى التمدن يحتمل أن يكونوا قد أخذوا منهم الاسماء الدالة على التمدن فكان ينتظر إذاً أن تكون المصحف أرامية كما أن الخط العربى أرامي الاصل غير أنا لا نجد

فى الارامية كلمة تقابل « مصف » فنظر الي اليمن و بلاد الحبش لان الكتابة كانت معروفة مستعملة هناك أيضاً وكان بعض العرب يكتب بالحروف اليمانية قبل أن يألفوا الحروف الارامية . وبرهان منفردة فى العربية ليس لها فيها قرابة إلا ما اشتق منها كبرهن . وكذلك خوخة ومشكاة وسكة ومائدة وتارخ . وأما مشكاة فذكر اللغويون القدماء أنفسهم أنها حبشية

والكلمات الارامية المعربة كثيرة لاتكاد أن تحصى وتختلف منابعها فبينها يهودية ينبغى أن تكون قد أخذت لهجة من اللهجات اليهودية الارامية ومنها نصرانية يحتمل أن يكون منبعها لهجة النصارى المستعملة فى بلاد سوريا وفلسطين وهي غير اللغة السريانية المشهورة التى ما بين النهرين الى شمال سوريا فقط . وبين الكلمات الارامية المعربة ما يدل معناه على صدوره عن إحدى الطوائف الصغيرة المتفرقة في العراق خصوصا المندائية والتفريق بين هذه المصادر وتعيين الصحيح منها صعب وقد يوفقنا الى ذلك لفظ الكلمة نفسها مثال ذلك قسط فهى فى السريانية qusta بالتاء وفى اللغة المندائية kusta بالكاف فلا يحتمل أن تكونا مصدرها فلا يبقى إلا الارامية اليهودية فالكلمة فيها qusta وهى كذلك فى الارامية النصرانية المستعملة في سوريا وفلسطين قديما ، غير أن هذه الملاحظة لا تفيدنا شيئاً لأننا بينا من قبل أن هاتين اللهجتين أكثر تأثيراً في العربية ولا يمكننا أن نميز بينهما بلفظ الكلمة .

فاللهجات الارامية المذكورة غير السريانية هى التى اقتبست منها اللغة العربية فى الدور الاول من تأثير الارامية فيها وهو زمان الجاهلية وأوائل الاسلام وتختلف فى أثنائه أزمان تعريب الكلمات الارامية اختلافا عظيما وقد ذكرنا نبذة من ذلك فيما سبق . والدور الثانى هو أول زمان الدولة العباسية إذ كان السريانيون معلمى المسلمين فى العلوم الفلسفية والطبيعية والطب وغير ذلك وكانت اللهجة الارامية المؤثرة فى العربية حينئذ اللغة السريانية المشهورة وكان تأثيرها بالكتب أكثر منه بالمشافهة ، ثم بعد ما ابتدأ الناقلون بالرجوع الى الكتب اليونانية نفسها ونقلها الي العربية بدل استخدام التراجم السريانية زال نفوذ

اللغة السريانية تماما ، واليكم أمثلة قليلة من فيض وافر وسنقتصر فى انتخابها على الدور الأول من الدورين المذكورين فمنها النباتات الكثيرة التى لا تنبت فى جزيرة العرب كالرمان والزيت ومنها الخمر والكبريت والمرجان والبلور والسم ، ومنها كثير من أجزاء البيت والآلات كالباب والقفل والزجاج والكيس والسكين والسيف والخاتم ، ومنها بعض ما يتعلق بادارة الممالك كالسلطان والأمة والعالم والمدينة والسوق والقسط ، ومنها السبيل والساعة ومنها أكثر ما يرجع الى الكتابة والقراءة والتدريس بناء على كون العرب أخذوا الخط نفسه من الاقوام الاراميين ومن ذلك كتب وكتاب وقرأ والنقطة والصورة والتفسير والتلميذ ، ومنها كثير من الالفاظ الدينية كرحمن وقيوم وسكينة وفرقان وملاك وصلى وصام وتاب وزكا وزكاة وكفر وعيد وصلب وصليب وزنديق ورجز ودجال ، وقصر الوقت لا يسمح لنا بتفسير الأمثلة المذكورة كلمة بعد كلمة فنكتفى ببعض الملاحظات المهمة منها أن الحاء الأرامية تنوب عنها الخاء فى بعض هذه الكلمات كالخمر والخاتم وهما فى السريانية ḥamrā و ḥatmā غير أن الحاء تلفظ خاء في بعض اللهجات السريانية والارامية على العموم فيلزم الافتراض بأن العربية اقتبست هذه الكلمات من واحدة من تلك اللهجات . والشين الأرامية كثيرا ما تنوب عنها السين العربية نحو سلطان من šulṭānā وقسط من qušṭā وسوق من šūqā وسبيل من šbīlā وساعة من šāʿtā وفسر من pšar و paššar وسكينة من škīntā وقد ذكرنا سبب ذلك قبل ، غير أن فيه احتمالا ثانيا وهو أن العرب عند تعريب الكلمة لم يستعيروها حرفا بحرف بل استبدلوها بالكلمة المقابلة لها فى العربية من جهة الاشتقاق وهذا ليس ببعيد ونشاهد مثله فى أيامنا حادثا بين العربية الدارجة فى الشأم وبين اللهجة الارامية المستعملة فى بعض ضياع فى جبل قلمون وخصوصاً فى « معلولة » مثال ذلك أن ( جرب ) أصبحت garreb فى هذه اللهجة وذلك أن الـ g الارامية العتيقة صارت غينا فى لهجة « معلولة » فلذلك وقت ما استعاروا كلمة ( جرب ) استبدلوا الجيم بالغين . فكذلك يحتمل مثلا أن العرب وقت ما عربوا كلمة šulṭānā أو škīntā استبدلوا الشين بالسين لان مادتي ( شلط )

و ( شكن ) الاراميتين يقابلهما في العربية ( سلط ) و ( سكن ) ومثال ذلك من بين الكلمات الحبشية المعربة طاغوت أصلها tāᶜōt الحبشية ولذلك أصبح الحرف الثاني في العربية غينا وهو عين في الحبشية . . . وأما التمييز بين الالفاظ المعربة من الارامية وبين الالفاظ العربية الاصلية المقابلة لكلمات أرامية مقاربة لها في الاصل فقصته كقصة مثله في الكلمات المأخوذة من الحبشية فلا نعود الى ما بيناه هناك ونكتفي ببعض الامثلة المهمة : منها تلميذ وثاب وزكاء من حيث أن لفظها يدل على استحالة كونها عربية أصلية ، وذلك أن تلميذ مادتها السامية ( لمد ) بالدال لا الذال فهي في الاكدية lamādu وفي العبرية lāmaḏ أي تعلم ، ولو كانت لام هذا الفعل ذالا في الاصل لكان من اللازم أن تكون زايا في الاكدية والعبرية لان الذال الاصلية انقلبت زايا في هتين اللغتين . وأما الذال في lāmaḏ العبرية وفي talmīḏā الارامية أيضا فقد أبدلت من الدال بحيث أن كل الحروف الشديدة إلا المطبقة منها أصبحت رخوة في العبرية والارامية إذا سبقها حركة وإذا سكن الحرف السابق لها بقيت على حالها شديدة فلذلك نجد في العبرية مثلا lomdī أى تعلمي بالدال . فنرى أن العربية استعارت الكلمة محتفظة في ذلك بلفظها عند الاراميين غير راجعة الى مادتها الأصلية كما رأينا ذلك في كثير من الكلمات التي أحد حروفها الشين ، فيدل ذلك على انفراد كلمة التلميذ عن غيرها في الارامية وفي العربية وعدم كلمات أخرى مشتقة من مادتها والامر كذلك في الحقيقة فمادة ( لمد ) وإن وجدت في العربية إلا أنها نادرة جدا ولا علاقة بين معناها ومعنى التلميذ ، فانا نجد ( لمده ) تعني تواضع له بالذل . وليس في الارامية lmd في معني التعلم الا في بعض ما يحتمل أن تكون العبرية أثرت فيه ولا توجد في السريانية أصلا . والذى يؤكد ما قلناه من كون انفراد « تلميذ » في اللغتين سبب احتفاظ العرب بالذال فيها أننا نراهم عند تعريبهم الكلمات الارامية أرجعوا الحروف الرخوة الى اصلها الشديد في أكثر الاوقات ، مثال ذلك من الكلمات المذكورة خاتم من ḥaṯmā ومادتها ( ḥtm ) فمضارعها ( neḥtum ) بالتاء ، أو سكينة من škīnṯā مادتها ( škn )

فمضارعها فى الارامية اليهودية ii škan واما تاب فمادتها الاصلية ثوب فهى في العبرية šub لان التاء السامية صارت شينا فى العبرية ومعناها الاصلى الرجوع ونجد تاب بالتاء فى هذا المعنى نفسه فى العربية واصبحت الثاء تاء فى الارامية ، فنستدل على وجود التاء فى تاب بدل الثاء على كونها أخذت من الارامية . وزكا أصل فائها ذال فهى فى الاكدية zaku وفى العبرية zaka لان الذال السامية صارت زايا فى هتين اللغتين واما الارامية فكان من المنتظر أن تكون فيها dki أو dka لان الذال السامية أصبحت فيها دالا والكلمة فى الحقيقة موجودة على هذا اللفظ في معنى نظف غير أن اليهود لفظوا بها بالزاى فى معنى برىء من الذنب وعدل واشتقوا منها zakuta فى معنى العدل ثم العمل الصالح فعربت الكلمتان فى بعض هذه المعانى . وأما سبب لفظها بالزاى عند اليهود فربما كان من تأثير اللغة الاكدية في الارامية فانا نجد zaku الاكدية قد خصت بالمعنى الحكمى والقضائي فالتفعيل منها أى zakku أطلق على التبرئة والاطلاق فى القضاء والشرع البابلى وما يتعلق به أثر تأثيرا نافذا فى اقوام الشرق القديمة وخصوصا الاراميين : فيدل لفظ الكلمات المشروحة على كونها أرامية الاصل ويوجد مايدل بناؤه أو معناه هذه الدلالة . اما البناء ففى مثل الرحمان والقيوم والمدينة . واما المعنى ففى مثل السكينة والفرقان والزنديق والرجز والدجال فرحمان وان اشبهت الصفات العربية في وزن فعلان فهى تخالفها في أنه يداخل معناها شيء من الاسمية والعلمية كما جاء فى القرآن الكريم ( الرحمن على العرش استوى ) وهذا نفس معني الالف والنون اللاحقين فى الارامية : وقيوم ارامية البناء تماما فهى فى الارامية qaiiam غير أن الفتحة الممدودة تلفظ o فى بعض اللهجات الارامية وتدل قراءة ابن مسعود ( القيام ) على اللفظ الاصلى بالفتحة والمدينة فى العربية فعيلة من ( مدن ) فجمعها مدن وهى فى الاصل مفعلة من دان يدين أى حكم ومعناها الايالة التابعة لمحكمة واحدة ونجدها في الارامية على هذا المعني وسكينة وهى škinta أصلها مصدر أى السكون والنزول فى محل فخصت عند اليهود بسكون الحضرة الألهيه وتنزلها فى العالم وفى نفس الانسان . والفرقان

وهي purqānā مشتقة من praq أي أنقذ وحرر و purqānā عند النصارى التخليص والفداء عن الذنوب وجزائها ، فالطوائف الموسومة : gnostikoi gnostiques لانهم كانوا يعتقدون أن وسيلة التخليص هي العلم الالهي المنزل أطلقوا purqānā على الوحي . والزنديق أصلها zaddīqā بالنون عوضا عن التشديد وذكرنا هذا ، والزاي المجهورة في zaddīqā أبدلت من الصاد المهموسة في saddīqā تشبيها لها بالدال المجهورة وكانت هذه الكلمة عند المانوية Manichéens لقب المختارين المدخلين في معرفة اسرار دينهم واطلقها العرب على المانوية كلهم وعلى أصحاب بعض الطوائف المقاربة للمانوية . والرجز هي rugzā أي الغضب وإبدال الضمة بالكسرة من ابدال الحركتين المذكور آنفا وقرأها ابن محيصن رجز على أصلها الارامي ودجال هي daggālā أي الكذاب . . ففي كل هذه الحالات وفي كثير غيرها عربت كلمات ارامية لا علاقة بينها وبين كلمات عربية أصلية فانا وان وجدنا مثلا مادة ( رجز ) في العربية فمعناها يخالف معنى rugzā الارامية ومعنى رجز المعربة مخالفة تامة فانه من المعروف أن رجز أي أنشد الارجوزة وفي بعض الحالات الاخرى كانت كلمة عربية مرادفة للارامية موجودة فاستعملوها لتأدية معني جديد تفيده تلك الكلمة الارامية مع المعني الاصلي مثال ذلك أن ( سلام ) كلمة عربية أصلية قديمة ومعناها الصحة والصلح ثم بعد ماراو للكلمة الارامية المرادفة šlāmā معني مجازيا دينيا أطلقوا السلام عليه ايضا . ومثله كثير وخصوصا في باب الديانة من ذلك : العلم والجهل والعبد والشهيد وهذا نوع مهم من أنواع استعارة الكلمات وهو استعارة المعني دون اللفظ وقد يكون لهذا نظير بين الحبشية والعربية أيضا ومثاله الصومعة فهي كلمة أصلية معناها البرج والبناء العالي ثم اقتبسوا معني ثانيا من ṣomaʿt الحبشية أي مسكن الراهب . وكذا الشيطان كان عند العرب جنسا من الجن ثم خصوا الكلمة بابليس تابعين في ذلك اسمه الحبشي وهو šaiṭōn . وبعض الكلمات الارامية المعربة لم تدخل في اللغة العربية مباشرة بل بتوسط لغة أخرى . من ذلك الزنديق فان العرب أخذوا هذه الكلمة من العجم الذين أخذوها من الاراميين وذلك لان

المانوية فى أوائل الاسلام لم تكن شائعة إلا عند العجم : ومنها مادخل العربية بواسطة الحبشية من ذلك قدوس فأصلها الأرامي qaddis واستبدله الحبشيون qeddus تبعا لكثرة بناء فعول عندهم : ومن ذلك تابوت أصلها الارامى tebuta وهى فى الحبشية tabot . وجهنم من gehinnam الارامية و gahannam الحبشية . وكل هذا نادر وضده كثير وهو دخول كلمات أجنبية فى اللغة العربية بتوسط الارامية وقد ذكرنا أنها توسطت بين الفارسية والعربية فى بعض الحالات وأهم من ذلك توسطها بين العبرية والاكدية واليونانية من الجهة الواحدة وبين العربية من الاخرى. أما العبرية فمثال الكلمات الارامية التى أصلها عبرى mal'aka من mal'ak وهو الملاك : ونجد سكينة وأمة فى العبرية أيضا وهما هناك skina و umma غير أنه من المشكوك فيه هل دخلتا الارامية وأصلهما عبرى أو العكس ومثل هذا كثير فى الكلمات اليهودية وفى بعضها يظهر أن العبرية نفسها أثرت فى العربية أيضا مع الارامية مثال ذلك توراة فهى في الارامية oraita وفى العبرية tora فيظهر أن أولها أخذ من العبرية وآخرها من الارامية ويوافق رسمها فى القرآن بالياء لفظها الارامى ، وفى بعض الكلمات المشتركة بين العبرية والارامية يجوز كونها دخيلة فى كلتيهما منها الزيت فهو zaita فى الارامية و zaiit فى العبرية والكبريت وهو kebrita فى الارامية و goprit فى العبرية غير أنه لاشك فى أن العرب استعارت الكلمتين من الارامية لاالعبرية وكثيرا ما يصعب استنتاج أصل الكلمات التى تحولت من لغة الى لغة وطريق تحولاتها مثال ذلك البلور فنجد هذه الكلمة فى لغات متعددة حتي الهندية ولا يظهر أصلها وطريق شيوعها

والكلمات الاكدية الموجودة فى اللغة الارامية ثم العربية مهمة جدا نجد بينها بعض مايوجد عند العرب من اقدم عناصر الحضارة الشرقية منها الدين أى القضاء والحكم والسبت وسطر أى كتب والتلميذ والترجمان والتاجر والمسكين والجسر والنجار والآجر والفخار والجص والنفط والاتون والتنور والكانون والكور اى مجمرة الحداد والقفة والارجوان والتل وبينها شومرية منها الهيكل

والكرسي والآسي أي الطبيب والكر اي مكيال مستعمل في العراق

والكلمات اليونانية تعددت في العربية في الزمان المتأخر ومن اقدمها إبليس والجنس والزوج والقرطاس والازميل والفندق واللص : ومنها لاتينية دخلت في اللغة اليونانية ثم الارامية ثم العربية ومنها الصراط والميل والقصر والقنطرة والقنطار والدينار وبعض الكلمات اليونانية واللاتينية وصلت الي العربية عن طريق اللغة الحبشية او الفارسية مثال ذلك الانجيل وقرأها الحسن البصري وغيره انجيل وهي في الحبشية angil واصلها اليوناني euangelion والقلم وهو في الحبشية qalam وفي اليونانية kalamos والدرهم مأخوذ من الفارسية وهو هناك كذلك والاصل يوناني أي drachme

هذا ما كان مرادي ان ابينه لكم تلخيصا فقيسوا بالقليل المذكور الكثير الذي لم يمكنني ذكره .

# الفهرس


| صفحة | |
|---|---|
| ٣ | مقدمة |
| ٥ | الباب الاول في الحروف |
| ٥ | (١) الحروف الصامتة |
| ٥ | ترتيب الحروف على المخارج |
| ٩ | الحروف التى يختلف نطقها الحالى عن نطقها القديم |
| ١١ | الاشارات المستعملة لتأدية الحروف السامية |
| ١٦ | الاطباق |
| ١٨ | التشابه |
| ٢١ | التخالف |
| ٢٢ | التقديم والتأخير |
| ٢٤ | إبدالات الحروف الصوتية |
| ٢٥ | أحوال الهمز |
| ٢٩ | أحوال الواو والياء |
| ٣٢ | مناقشة ماذكره نحويو العرب عن الحروف الصامتة |
| ٣٣ | (٢) الحروف الصائتة |
| ٤٢ | تقصير الحركات الممدودة |
| ٤٥ | الترخيم — الضغط |
| ٤٧ | الباب الثانى في الأبنية |
| ٤٧ | (١) الضمائر |

| صفحة | |
|---|---|
| ٥٣ | أسماء الاشاره |
| ٥٥ | اسم الموصول ـ اسم الاستفهام |
| ٥٦ | (٢) الافعال |
| ٥٨ | أبنية الفعل |
| ٦١ | أبنية الافعال المعتلة |
| ٦١ | (٣) الاسماء |
| ٦١ | الاسماء الثنائية |
| ٦٨ | صرف الاسماء |
| ٦٩ | جمع التكسير |
| ٧٢ | جمع الصحيح |
| ٧٥ | الاعراب |
| ٧٦ | إعراب الخبر |
| ٨١ | الباب الثالث في التركيبات |
| ٨١ | (١) شبه الجملة |
| ٨٦ | (٢) الجملة البسيطة |
| ٨٨ | الجملة الاسمية |
| ٩١ | الجملة الفعلية |
| ٩٣ | (٣) تركيب الكلمات داخل الجملة |
| ٩٣ | توابع الاسم |
| ٩٦ | البدل والتوكيد والوصف |
| ٩٨ | الاضافة |
| ١٠٧ | قواعد الاتباع |
| ١٠٨ | (٤) أنواع الجمل |
| ١٠٨ | الاستفهام |

صفحه

١١٠ النفى
١١٦ الاستثناء
١١٧ (٥) تركيب الجمل
١٢٣ قيام الجملة مقام اسم موصوف
١٢٤ قيام مضمون الجملة مقام اسم موصوف
١٣٦ الباب الرابع
في المفردات
١٤٠ الكلمات التى تشترك فيها كل اللغات السامية

صفحه

١٤٢ دخول الكلمات الاجنبية الى اللغة العربية
١٤٣ الالفاظ التى عربت من الفارسية
١٤٦ الكلمات الحبشية الموجودة في العربية
١٤٨ الكلمات الارامية المعربة

# الخطأ والصواب

| صفحة | سطر | الخطأ | الصواب |
|---|---|---|---|
| ٤ | ٥ | verglisdenden | verglischenden |
| ٥ | ١٦ | نبدأ بالباب | نبدأ بالقسم الاول من الباب |
| ٧ | ٢٢ | القلقة | القلقلة |
| ١٢ | ١٩ | d | ḏ |
| ١٣ | ١٦ | t > d | ḏ > ṭ |
| ١٤ | ١٤ | semu | šēmū |
| ١٤ | ١٥ | sama | šāʿma |
| ١٤ | ١٦ | s | ś |
| ١٤ | ١٧ | eser فى العيرية و oser | ʿeser فى العبرية و ʿōser |
| ١٤ | ١٩ | فعشر فيها sar | فعشر فيها ʿsar |
| ١٥ | ٥ | s > s | ś > s |
| ١٥ | ١٣ | sarita | šārīṯa |
| ١٥ | ١٤ | sia a ( علامة i | šiʿa a ( علامة i̭ |
| ١٥ | ١٥ | satana | śāṭānā |
| ١٥ | ١٧ | sarita | šārīṯa |
| ١٥ | ٢٠ | sakkina | śakkīna |
| ١٥ | ٢٠ | sraqraqa | šraqraqa |
| ١٦ | ١٥ | t s | ṯʾsʾ |
| ٢٠ | ١٠ | immadi | ʿimmāḏī |
| ٢١ | ٣٤ | quppda | quppḏā |
| ٢٢ | ٢٢ | im | ʿim |
| ٢٣ | ١٨ | seda | ṣēḏā |
| ٢٤ | ١ | tnma | tūmā |
| ٢٤ | ١٨ | hinsu وفى العبريه hlasaiin | ḥinṣu وفى العبرية ḥlaṣiin |

| صفحه | سطر | الخطأ | الصواب |
|---|---|---|---|
| ٢٤ | ١٩ | hansa | hansa |
| ٢٤ | ٢٠ | sallahat | sallahat |
| ٢٤ | ٢١ | sahna أو slaha | sahna أو slaha |
| ٢٤ | ٢١ | sahl | sahl |
| ٢٥ | ١٢ | i tir | i tir |
| ٢٧ | ٢٣ | ma"ti | ma it |
| ٢٨ | ٨ | satahu بدل | sat ahu بدل |
| ٢٨ | ٩ | al-mauudatu | al-mauudatu |
| ٢٨ | ١٠ | al-mauduatu | al-mau udatu |
| ٢٨ | ٢٢ | anat ر tani | ahtana-tauil |
| ٣٣ | ٦ | hamistu | hamistu |
| ٣٧ | ٥ | ly des | l ydes |
| ٣٩ | ٤ | aia | aia |
| ٣٩ | ١٦ | aia | aia من |
| ٤١ | ١٠ | iiptah | iiptah |
| ٤١ | ١٠ | ieftah | ieftah |
| ٤١ | ٢٤ | re eia | re eia |
| ٤٢ | ١٠ | ramaiat | ramaiat |
| ٤٢ | ١١ | ramiiin | ramiiin |
| ٤٩ | ٣ | -ti | -ti |
| ٥٦ | ٢٤ | iifoteh iiftah | iifoteh iiftah |
| ٥٧ | ٦ | uaiiqbor | uaiiiqbor |
| ٥٩ | ٢١ | etqri | etqri |
| ٦٠ | ٢١ | astar aia | astar aia |
| ٦١ | ١٠ | nerat | nerat |
| ٦٢ | ١٦ | tina | ti na |

| صفحة | سطر | الخطأ | الصواب |
|---|---|---|---|
| ٦٢ | ٢١ | hemta | hemta |
| ٦٢ | ٢٥ | su n | su u |
| ٦٣ | ٥ | laialiiu | laialiiu |
| ٦٧ | ١٢ | gtil | qtil |
| ٦٧ | ١٥ | laima | laima |
| ٦٩ | ١٥ | qaria | quria |
| ٧٠ | ٩ | imlakim | mlakim |
| ٧ | ١٢ | spahot | spahot |
| ٧٠ | ١٦ | abau | aba u |
| ٧٢ | ١٦ | ı isi | ni si |
| ٧٣ | ١ | amahota | amahot |
| ٧٦ | ١ | arib | qarib |
| ٧٩ | ٢٥ | selasa نحو isra | selasa نحو isra |
| ٨٠ | ١٣ | sib im is | sib im is |
| ٨٨ | ١٧ | qalt | bait |
| ٩٢ | ٨ | mio | moi |
| ٩٣ | ١٨ | al | al |
| ٩٦ | ٢١ | moi mi ‘a bra | arba im iom |
| ٩٦ | ٢٣ | abika iamim | abika iamim |
| ٩٩ | ١١ | ba al habbiir | ba al habbiit |
| ٩٩ | ١٤ | gid zaiin | gin zaiia |
| ٩٩ | ١٥ | hati atza-hegb | hati at za-hezb |
| ١٠٢ | ٧ | et | et |
| ١٠٣ | ١٥ | etha orkitob | etha or ki tob |
| ١٠٥ | ٥ | ad | adi |
| ١٠٦ | ٢٣ | uaiiippah | uaiiiqqah |

| صفحة | سطر | الخطأ | الصواب |
| --- | --- | --- | --- |
| ١٠٧ | ٨ | atar | batar |
| ١٠٨ | ٣ | nattà rok Lisra el | uatta rok Iisra el |
| ١٠٨ | ٦ | والنقص | والنفى |
| ١٠٨ | ٢١ | وبعضها | ولبعضها |
| ١١٠ | ٤ | hehakam | hehakam |
| ١١١ | ٥ | itai و في العبرية ies | itai و في العبرية ies |
| ١١٦ | ٧ | تغرق | تفرق |
| ١٢٢ | ٦ و ٧ | etefixes | été fixés |
| ١٢٢ | ١٩ | iasod | iasob |
| ١٢٢ | ٢٠ | a se | e se |
| ١٢٥ | ١٦ | iddana | iddana |
| ١٢٩ | ٢٠ | lahue unu | lahue uhu |
| ١٤٠ | ٢٥ | ولد ، ثم | ولد و ود ، ثم |
| ١٤٤ | ١١ | والفرسل | والفرسخ |
| ١٤٦ | ٢١ | sàhafa | sahıfa |
| ١٤٦ | ٢٤ | hohat | h o hat |
| ١٤٨ | ١٢ | يوقفنا | يوفقنا |
| ١٤٩ | ١٢ | تناوب | تنوب |
| ١٥٠ | ٢٣ | الـكمات | الكلمات |
| ١٥٠ | ٢٥ | ( nehtum ) فمضارعها ( htm ) | ( nehtum ) فمضارعها ( htm ) |
| ١٥١ | ١١ | zakn | zaku |
| ١٥٢ | ٢ | الموسمة | الموسومة |